ديسمبر ١٩٩٠ - جمادى الاولى ١٤١١

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest December '90 N° 145

الحب والوفاء يغنيان الزواج ٩
ألمانيا: الوحدة قدرها ١٤
مطاردة في الجو ٢٠
لا تخلطوا بين الزكام والانفلونزا ٢٦
دروس في الاخلاق ٣١
من ينقذ جنوب افريقيا؟ ٣٣
آلة النصر (قصة قصيرة) ٣٩
حكايات طريفة ٤٣
امتحنوا معلوماتكم الغذائية ٤٦
جون لوكاريه، جاسوس حقيقي ٥٠
لا تدعوا الكآبة تدمر حياتكم ٥٦
لكل مجتمع نفاياته ٦١
واحة سلام في مجاهل افريقيا ٦٦
فان غوغ: الايام الاخيرة ٧٣
امرأتان في طوفان جارف (مأساة واقعية) ٨٠
الحمّام ألطف مكان ٨٦
صديقة الشمبانزي ٩١
كتاب الشهر: الطريق الى الحرية ٩٩
أمثال في الطقس ٣

حديقة أفكار ٧ - أصداء من عالم الطب ٣١ - دائرة المعارف ٥٩

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

المانيا "العظمى" لا نازية ولا شيوعية

(ص ١٤)

الزواج يتغير مع الأيام!

(ص ٩)

لا تخلطوا بين الزكام والانفلونزا

(ص ٢٦)

جان لوكاريه الجاسوس

(ص ٥٠)

فندق الشام

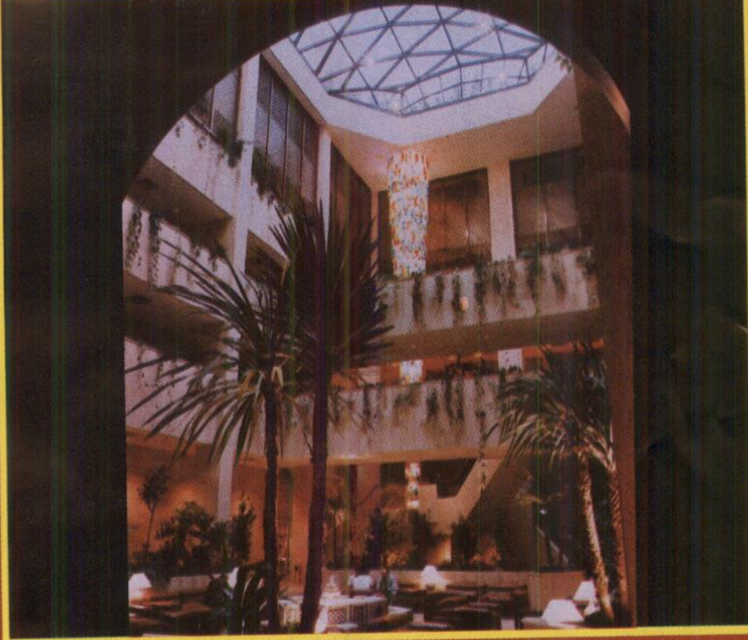

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . . ولاتنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام - ص.ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

المختار

من ريدرز دايجست

مجـلة شهريَّـة

رئيس التحرير – المدير المسؤول: **ادمون صعب**.

مديرة التحرير: **راغدة حداد**. أمينة التحرير: **نهلا رزق**. محررة مساعدة: **لورا نفاع**. الاشتراكات: **فريال علاف**.

مدير القسم الفني: **جورج غالي**. الخطوط: **عبد القادر اسماعيل**.

الامتياز: **شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس**. الناشر: **شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت**.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: **الدكتور لوسيان دحداح**.

المدير العام المعاون: **داني دحداح – باز**.

التحرير والادارة: **بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان**.

التلكس (الموقت): **MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE**

التنضيد والتنفيذ: **المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت**.

الطباعة: **المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان**.

التوزيع: **الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت**.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

© 1990 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE

Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

December '90 N° 145 (New Series) Vol. 13

ريـدرز دايجسْت

المؤسسان: **دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس**.

الطبعاتُ الدوليّة

رئيس التحرير: **كنيث غيلمور**. مدير التحرير: **فرنسيس ج. شيل**. المدير العام: **جورج ف. غرون**.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضاً في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئياً او كلياً، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

لبنان ١٠٠٠ل – سورية ٤٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ١،٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – اليمن ٨ر – عدن ١٥د – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٧٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

دعي طفلك ينمو مع سيريلاك
سيريلاك
Cérélac
Infant milk cereal
Wheat-Banana
بالقمح والموز
Rice
بالأرز
Wheat-4 fruits
بالقمح مع ٤ فواكه
Nestlé
Wheat- قمح
سيريلاك
الطعام الأول لطفلك
عندما يبلغ طفلك شهره
لا يعود الحليب وحده
عليك بوجبة من
سيريلاك متوفر بعدة أنواع
طفلك. سيريلاك يحتوي على
الغذائية الأساسية
لطفلك نموا
وسليما.
Nestlé

أمثال في الطقس

لكل مثل حكاية، وفي كل خرافة علم حقيقي

لم يكن البحارة والمزارعون القدماء يستعينون بأقمار اصطناعية أو أدمغة الكترونية للتكهن بأحوال الطقس، بل كانوا يراقبون السماء والرياح والغيوم. ومع الوقت نشأت مفاهيم شعبية وصاغ الناس أقوالا مأثورة لتذكرها.

نحن ندرك الآن أن وراء التراث الشعبي علما حقيقياً. وهنا أقوال مأثورة[١] أثبت الزمان صحتها ودعمتها حجج علم الارصاد الجوية.

"خربشات" الدجاج وأذناب الافراس تنزل أشرعة السفن[٢]

تشير "خربشات الدجاج وأذناب الافـراس" الى الغيوم الطخـرورية الشديدة الارتفاع والشبيهة بالصوف. عندما يكون الطقس صحواً، راقبوا الاجواء العليا لمشاهدة هذه الكتل من الغيوم الهشة التي تشبه مجموعات من الفواصل (،). وهي تسبق رياحاً ذات ضغط منخفض، وتأتي غالباً بعد صحو وضغط مرتفع.

وثمة قول شائع آخر بمعنى: "كلما انخفضت الغيوم، أوشكت على المطر."[٣]

ومعهود أن "خربشات الدجاج" تنذر بالمطر قبل هطوله بخمس عشرة ساعة، ولكن تذكّروا: "المطر الذي يُرصَد قبل هطوله بوقت طويل يستمر طويلا، أما ذلك الذي يُرصد قبيل هطوله فيمضي بسـرعة."[٤] واذا استغـرقت الغيوم

(١) هي ترجمات لسجعات باللغة الانكليزية.
(٢) Hens' scratchings and mares' tails make tall ships carry low sails.
(٣) The lower they get, the nearer the wet
(٤) Long foretold, long last; short notice, soon past

© 1989 BY ANDY DAPPEN. CONDENSED FROM BACKPACKER (AUGUST '89), EMAUS, PA.
PHOTO: © LARRY LEFEVER / GRANT HEILMAN

المنخفضة الملبدة وقتاً طويلا للوصول، فان "جبهتها" البطيئة تستغرق وقتاً أطول لتمضي. واذا انخفض مستوى الغيوم بسرعة، فان فترة المطر ستكون قصيرة ولطيفة.

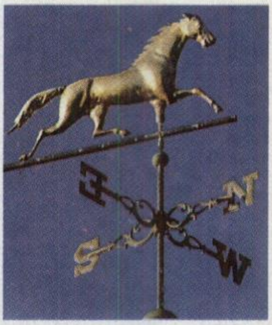

الريح المرتدّة تنبىء بدنو العاصفة. والريح الممتدة تنبىء بصفاء السماء.(٥)

تسمى الرياح تبعاً للجهة التي تنطلق منها. فالرياح الغربية تهب من الغرب الى الشرق، وهكذا. ورياح الصحو تهب عادة من الغرب أو الشمال، في حين تعصف رياح المطر عادة من الجنوب الغربي أو من الجنوب أو من الشرق. فاذا لاحظتم أن الرياح ترتدّ بتّاً - أي في اتجاه معاكس لحركة عقارب الساعة - فتتحول من غربية الى جنوبية - غربية مثلا، فتوقعوا أن يسوء الطقس. كذلك، اذا كان الطقس ممطراً وتقدمت الرياح شزراً - أي في اتجاه حركة عقارب الساعة - من جنوبية - غربية الى غربية مثلا، فترقبوا تحوّلا نحو الافضل.

اذا احمرّت السماء صباحاً فليتنبَّه البحّار. واذا احمرَّت ليلا فليبتهج.(٦)

يقتضي الصحو كتلا هوائية ذات ضغط مرتفع تتكون من هواء جاف راكد مشبع بالغبار والضباب الرقيق. والنور الواقع بزاوية ضيقة من الشمس الشارقة أو الغاربة يبدو أحمر في هواء كهذا. لذلك فان مشهداً "نارياً" عند الغروب يشير الى هواء مرتفع الضغط على بعد مئات الكيلومترات غرباً، أي في الجهة التي تأتي منها رياح الصحو السائدة في النصف الشمالي من الكرة الارضية. وعلى نقيض ذلك، يشير الفجر القرمزي الى أن الهواء المرتفع الضغط قد عبر شرقاً، مما يرجح احتمال هطول المطر.

هالة حول القمر: مطر قبل الظهر. هالة حول الشمس: مطر قبل انقضاء الليل.(٧)

هذا ما يقوله الشاعر الشعبي دون هاغرتي مؤلف كتاب "سجعات تنبىء بأحوال الطقس."(٨)

تبعثر حبيبات الجليد الجوي نور الشمس والقمر مشكلة دوائر أو هالات. وغالباً ما تشير الغيوم الطخرورية

---

(٥) A backing wind says storms are nigh. A veering wind will clear the sky.

(٦) Red sky at morning, sailor take warning; red sky at night, sailor's delight.

(٧) Ring around the moon, rain by noon; ring around the sun, rain before night is done.

(٨) Rhymes to Predict the Weather

PHOTO: © VIVIAN MOOS / THE STOCK MARKET

المرتفعة التي تكوِّن معظم الهالات، الى أن طقساً ممطراً سيحل بعد فترة تراوح بين ١٢ و١٨ ساعة. وتبدو الهالات أحياناً كأنها تكبر بانخفاض مستوى الغيوم وهبوط الضغط الجوي. وثمة قول آخر: "كلما كبرت الهالة اقترب المطر."[٩]

عندما يتبلل العشب بالندى، لا تمطر السماء أبداً.[١٠]

صفاء السماء في الليل يخفض الحرارة الى درجة كافية لتكثيف الرطوبة وتحويلها ندى. فاذا سقط ندى كثيف في ليلة صيف، فتوقعوا نهاراً صحواً.

ولكن "اذا جف العشب قبل بزوغ الصباح، فتوقعوا مطراً قبل حلول الظلام."[١١] هذا صحيح خصوصاً متى ارتفعت درجة الحرارة خلال الليل نتيجة ازدياد كثافة الغيوم. وثمة قول طريف: "اذا زارت الليل حُمّى، فانه يبكي في الصباح."[١٢]

ضباب الصيف يشوي الجرذ.[١٣]

هذا القول صحيح في غالب الاحيان. فالسماء الصافية في ليالي الصيف تشعّ حرارة وتخفض درجة الحرارة السطحية الى أن تتكثف الرطوبة في الهواء الوطيء الى ضباب على الارض. ونادراً ما يتشكّل ضباب فوق الارض ما لم يكن الهواء شبه ساكن. والسماء الصافية والهواء الساكن خاصتان في المناطق المرتفعة الضغط. وفي الصباح تغدو الشمس المشرقة في السماء الصافية قادرة على "شيّ" أي جرذ يخرج من مزبلته.

عندما يهبط الميزان تهيأوا لهبوب العاصفة. وعندما يرتفع، أخرجوا طائرات الورق.[١٤]

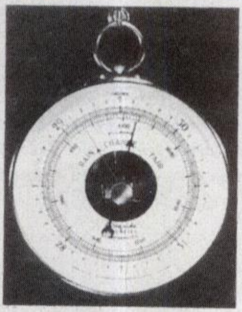

يحلّ الطقس الرديء في كتل هوائية ذات ضغط منخفض. ومراقبة البارومتر (ميزان الضغط الجوي) ومسار الغيوم (اذا كانت تهبط أو ترتفع) وتقلبات الرياح تتيح لكم التحكم بأهمّ ثلاثة متغيرات في

(٩) The bigger the ring, the nearer the wet
(١٠) When the dew is on the grass, rain will never come to pass.
(١١) When grass is dry before the morning light, look for rain before night.
(١٢) If night has a fever, it cries in the morning
(١٣) Summer fog will scorch a hog
(١٤) When the glass falls low, prepare for a blow; when the glass is high, let your kites fly.

PHOTO: © DAVE DAVIDSON / THE STOCK MARKET

علم الارصاد الجوية. وثمة اشارات أخرى تنذركم بهبوط في الضغط الجوي، مثل الصداع واحتدام التهاب المفاصل والنعاس.

اذا شممت رائحة مميزة تفوح من الارض فاعلم أن العواصف على الطريق.[١٥]

يطلق النبات زيوتاً في الجو. وتشير الابحاث الى أنه كلما ارتفعت درجة الرطوبة ازدادت كمية الزيوت التي يطلقها النبات. وهذا هو مصدر الرائحة المميزة التي ننشقها فنقول: "اشتمّ رائحة مطر اليوم."

لقد ساعدت هذه الامثال الاجيال الماضية، لكن العقلاء القدماء لم يعتمدوا على واحدة منها بمفردها، بل كانوا يحاولون التأكد من تطابق مجموعة من الاشارات. ويلخص هاغرتي الامر على نحو بديع فيقول: "مؤشر واحد يقتضي حظاً لكي يصحّ. ومؤشران اثنان يقللان احتمال الخطأ. واذا لاحظتم مؤشراً ثالثاً، فيمكنكم الركون الى صدق السجعة."[١٦]

وتذكروا أن هذه التكهنات الطقسية ليست معصومة عن الخطأ. واليوم، كما في الماضي، تبقى الحقيقة المطلقة الوحيدة عن الطقس أن ليس من حقيقة مطلقة.

أندي دابن ■

(١٥) If with your nose you smell the day, stormy weather's on the way.

(١٦) One indicator makes lucky your guess. Two indications make errors much less. So take the weather sign at its word, if you look again and see a third.

زوائد!

وقف أبي يتأمل القارب الجديد الذي اشتراه جارنا. ولما كان يعلم أن زوجته "محافظة" جداً في سبل انفاق المال سأله: "إنه قارب رائع حقاً، هل كلفك كثيراً؟"

أجاب جارنا: "ثمن القارب ليس غالياً، انما الزوائد هي المرهقة."

سأله أبي: "أتعني أشياء مثل المقطورة والمزالج المائية وسترات النجاة؟"

أجاب جارنا متنهداً: "كلا، إنما أعني السجادة الجديدة وخزائن المطبخ والأثاث الجديد في غرفة الجلوس."

ج.س.

مطار زحل

يقول الفكاهي مارك راصل: "ثمة نظرية علمية أحبها كثيراً، ومفادها أن الحلقات المحيطة بالكوكب زحل مكوّنة من الحقائب المفقودة في المطارات."

ر.ب

حريقة أفكار

- **كلما ازداد عطفك على الآخرين قلت حاجتك الى عطف الآخرين عليك.**
  مالكوم فوربس، ناشر وكاتب وسياسي امريكي

- **الصورة الموفقة تحبس لحظة عن الهرب.**
  يودورا ولتي، كاتبة امريكية حائزة جائزة "بوليتزر" الادبية

- **قلّة من الأماني تتحقق من تلقائها.**
  ج.س.

- **ربما كانت السياسة المهنة الوحيدة التي لا ضرورة للاعداد لها.**
  روبرت لويس ستيفنسون، روائي وشاعر بريطاني

- **كلام الغضب يسبق أسرع الجياد.**
  مثل صيني

- **السياج ذاته الذي يمنع الآخرين عنك يحبسك أنت.**
  ب.ك.

- **شرف الشجاعة في المحاولة الفاشلة يعادل شرف الشجاعة في المحاولة الناجحة.**
  آن لندبرغ، كاتبة امريكية وزوجة الطيار تشارلز لندبرغ

- **المشاكل قناع الفرص السانحة.**
  ف.ت.

- **الظَرْف الحقّ يشبه طبقاً ممتعاً، كالكافيار، فلا تمرغوه بكثافة كالمربى.**
  نويل كاورد، ممثل وكاتب مسرحي بريطاني

يالها مِن نكهةٍ غنيّةٍ ولذيذة !
Carnation®
Coffee-mate®
كريمة مُبيِّضة للقهوة
كوفي - ميت يجعَل طعم قهوتك سَلِساً لذيذاً
ويُغنيك عَن المواد الدسِمة
كارنيشن
كوفي - مِيت
يُضفي إلى قهوتك نكهة غنِيّة
مِن إنتاج Carnation كارنيشن
Carnation
Coffee-mate
NON DAIRY CREAMER
For better coffee flavor

Reader's Digest
المختار
ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩٠
جمادى الاولى ١٤١١
السنة الثالثة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

الحب والوفاء يغنيان الزواج

مدّوا يد العون الى أزواجكم
وشدّوا أزرهم على الدوام. فالتغير السليم لا يأتي الا بالتراضي

ذات أمسية بعد زواج جورج وبيتي بوقت وجيز، وصل بهما الحديث الى فيلم سينمائي شاهداه. كان رأي بيتي أن بطل الفيلم فائق الجاذبية، الا ان جورج لم يشاطرها هذا الرأي.

قالت بيتي: "لا أردّ جاذبيته الى مظهره فحسب، انه قوي لكنه طيب النفس مرهف الحس. وهذا ما يجذبني الى الرجل. ومع أنك لا تتصرف هكذا دوماً يا جورج فانك في الحقيقة قوي واثق بنفسك. واني أحبك لذاك."

قوي؟ واثق بنفسه؟ فاجأ الأمر جورج، فهو لم يصف نفسه قط بمثل هذه التعابير. فلطالما اقتعد مكانه والآخرون يأخذون القرارات عنه ويذهبون الى حد توعُّده أحياناً. وهو يقول مستذكراً: "فجأة

تفكرت في أن هذه الخلال موجودة فيَّ. وعزمت منذ تلك اللحظة على السعي الى الظهور مظهر القوي الواثق بنفسه مهما يكن شعوري في أي ظرف."

في اليوم التالي وقعت مشادة عند منضدة الدفع في أحد المتاجر، وكان جورج المتوتر الاعصاب طرفاً فيها. لكنه لم يتخاذل. ولم يمضِ وقت قصير حتى ظهرت قوته الكامنة في البيت وأمام الناس وفي العمل. وكانت زوجته تشد أزره على الدوام.

يقول روبرت هـ. لاور أستاذ السلوك البشري في "الجامعة الدولية" في سان دييغو بكاليفورنيا معقباً على ما جرى: "لو أن بيتي قالت لجورج: "لم لا تكون مثل بطل الفيلم؟" لجرحت مشاعره ودخلت في جدل عقيم ولما طرأ تحسن على حال زوجها. لكنها بثنائها عليه وابلاغه ما تريد ساعدته على التبدل."

ويقرّ جورج اليوم بعد مضيِ عدة سنين: "رأت بيتي فيَّ خلالا غفلت عنها. وما كنت لأغدو ما أنا عليه لولاها."

ويضيف لاور أن جورج وبيتي اكتشفا سر الزواج الناجح، وهو مد الشريكين يد العون كل الى الآخر لينموا وينضجا. وقد عكف لاور وزوجته جانيت على دراسة أحوال ٣٥١ زوجاً، وزوجاتهم، مضى على اقترانهم ١٥ عاماً على الأقل، فوجدا أن الخاصة الاكثر شيوعاً في الزيجات السعيدة قدرة الزوجين على التعرف الى المناقب الكامنة في كل منهما وتغذيتها. يقول لاور: "التحسُّن والتعلُّم المشتركان لا غنى عنهما لزواج راسخ." وهذا ما يتفق عليه الخبراء في الزواج. ويعتبر هوارد ماركمان مدير مركز الدراسات الاسرية والزوجية في جامعة دنفر أن "الهدف الأول الذي ينبغي للزواج نشدانه هو تحسُّن الشريكين كلّ على حدة، ونضجهما معاً."

والزواج ميثاق بين انسانين يرمي الى احتضان هذا التحسُّن المشترك وقد ورد في كتاب "فترة الانتقال"* للعالمة النفسانية جوديث باردويك: "كلما زاد الزوج ثقة بالعلاقة الزوجية أطلق العنان لرغبته في التغيُّر ضمنها."

وفكرة التعلُّم والنمو المشتركين في ظلال الزوجية منعطف ينأى عن الانانية التي شاعت في العقود الاخيرة اذ سعى كل امرىء الى إشباع ذاته، فاذا شعر بحاجة الى حيِّز ينمي فيه شخصيته كان ينشده خارج نطاق الزواج. ووجهة النظر هذه المترعة بالأنانية لم توهن روابط الزواج فحسب، بل أضرت بنسيج مجتمعنا القائم على عرى العائلة. وها هم الازواج والمحامون قد أدركوا أن السبيل لتقوية الافراد هو تعزيز الزواج ذاته.

خذوا حال بيل وليندا ماكونهي مثلا: بيل طبيب يعمل في غرفة الطوارىء، هادىء، متحفظ، يهوى التزلج والغوص. أما ليندا فمستشارة نفسانية، منفتحة، تجاهر بعواطفها ولا تخفيها، وتصف نفسها بالمطرقة تهوي على آنية الفخار تهشمها. انفصل الزوجان قبل عشر سنين اعتقاداً منهما أن طباعهما متعارضة. واذ

جمعهما لاحقاً برنامج للمشورة الزوجية اهتديا الى الوسيلة الناجعة لتمتين علاقتهما: أن يعين واحدهما الآخر. وقد انخرطا منذئذ في برنامج لاغناء الزواج حيث يعينان أزواجاً آخرين. تقول ليندا: "يخاطر بيل جسدياً، وأخاطر أنا عاطفياً. اني ألهج بما أشعر ولي ملء الثقة بأن الآخرين يصغون. وقد اقتنع بيل في نهاية المطاف بأن لا ضير في إعراب المرء عن عواطفه لزوجه وللآخرين، فأخذت شخصيته بالتفتح. أما أنا فتعلمت أن أفكر قبل أن أتكلم. وعلّمني زوجي في ما بعد متعة ركوب المخاطر، مع أني ما زلت أتزلج بحذر يثير سخرية ابني."

لكن مساعدة الشريك في التحسن تختلف عن السعي الى اصلاحه، وهذا ما تحذر منه ساره كاترون أستاذة علم النفس في جامعة وايك فورست بولاية نورث كارولينا. واعادة صوغ الشخصية كلياً أمر بعيد المنال. تقول الاستاذة: "بعض التحوّلات يعصى بلوغها." كما أن ثمة خيطاً واهياً بين التلاعب بالزوج وحضِّه على الاهتداء إلى مزاياه وتنميتها بنفسه.

والزواج المستند إلى التعلُّم المتبادل والتحسن المشترك يمكن بلوغه بالالتزام والثقة والحب. وهاك سبل لتحسين حالك وحال زوجك:

كن صديقاً. يقول ماركمان: "حين تفكر في تحسنكما معاً، يغدو للصداقة مغزى. فالصديق هو من تمحضه ثقتك وتأتمنه. انه من يحبك مهما حدث، ويصغي اليك، ويستخرج منك مناقب لا قدرة لك على الافصاح عنها لولاه."

ومما يؤسف له أن أزواجاً كثيرين لا يتصرفون كالاصدقاء. انهم يسعون إلى تثبيط عزائم شركائهم وشتمهم واهانتهم والهزء بهم وانتقادهم. تقول ليندا ماكونهي ناصحة: "لا تهاجمن زوجك، بل قل له: كم يسعدني ان أراك متنبهاً اليّ." ولا تقل: "تباً لك، انك لا تصغي أبداً."

إن التشجيع يصدر طبيعياً عن بعض الناس. خذوا ديف وماري مثلاً: خلال عطلتهما في بريطانيا بعد سنة من زواجهما اشتريا فنجانين تذكاريين لشرب القهوة لهما قبضة في شكل أسد مجنح. وفي يوم من الايام انكسر أحد الفنجانين. وفي المساء صبّ ديف القهوة في الفنجان المتبقي وسلمه الى ماري قائلاً: "الاسد المجنّح لك الليلة، فأنت أهل له."

سألته: "ولِمَ يكون من نصيبي أنا؟"

فأجاب: "لأنك لم تدعي مديرتك تتنمّر عليك اليوم." وكانت ماري علقت في شجار مع مديرتها ظهيرة ذلك اليوم.

ومنذ ذلك اليوم، وحتى انكسار الفنجان الثاني، دأب ديف وماري على الجدل كل ليلة في من هو جدير بـ"جائزة الاسد المجنّح": "أنت تفوزين بها لأنك ساعدت أختك ولم تكوني مضطرة الى ذلك." "لا، أنت جدير بها لانك أتممت مشروعك قبل موعد انجازه." وفي نهاية المطاف يقر واحدهما بحجة الآخر، ويقدم الفنجان إلى المستحق في احتفال.

تقول ماري: "لكم أولعت بجائزة الاسد المجنح تلك. فأنا سليلة عائلة كبيرة، ولم يُحتفَ بي قط على هذا النحو. لقد زادني هذا الرمز ثقة بنفسي وعزز صوابية مواقفي."

اصرف وكدك الى الامور المهمة. تنصح بيتسي ويلارد من "جمعية اغناء الزواج": "ركزوا على الخلال ذات الشأن، كالرفق والمسؤولية، ولا تصروا على محاولة تحسين آداب المائدة عند أزواجكم."

اسأل نفسك عما اذا كان ما يزعجك تكدّر طفيف يمكن أن تعتاد قبوله أم شأن جوهري في حياتك الزوجية. ثمة امرأة لم تطق الموسيقى الشعبية التي كان زوجها يهوى عزفها. لكنها تشرح حالها قائلة: "كلما مضّتني الموسيقى وشتتت أفكاري تذكرت أن زوجي يراعي شعوري في أمور أخرى."

الإقناع باللين. تقول ساره كاترون: "تنشأ العلاقات وتتفتت بخطوات صغيرة." ويردف روبرت لاور: "مفتاح التعلم المتبادل هو الحضّ الرفيق التدريجي."

دنيز، على سبيل المثال، تريد أن تمتهن عملا. لكن زوجها جيف متصلّب ولسان حاله يقول: "لا أريد زوجة تعمل." ولم تعاند دنيز زوجها، بل تطوعت في أحد المستشفيات، فلم ينتقص تطوعها من دور زوجها معيلا للعائلة. ثم حضرت دروساً "تساعد في العمل التطوعي." وبما اكتسبته من مزايا ومهارات استخدمت في وظيفة بدوام جزئي، وتسلمت في نهاية الامر منصباً في احدى المؤسسات بدوام كامل. وتبين لجيف أن دنيز غدت أسعد لانها عملت، مما زاد حياتهما الزوجية سعادة. وكان هو من حضها على قبول عملها الجديد وطفق يتباهى بمهنة زوجته.

كن نموذجاً يحتذى. اعترف احد الرجال في "مركز إغناء الزواج" في سان رافاييل بولاية كاليفورنيا: "زوجتي تراعي شعور الآخرين. واني اذ أراقب أفعالها أسعى الى مراعاة المشاعر بدوري."

ان كنت تبغي أن تصبح زوجتك اكثر تحملا للمسؤولية، اضرب لها نفسك قدوة. وان رميت الى تنمية فضيلة الرأفة، أظهر رفقك بالآخرين، وان كانت الشجاعة مبتغاك، بيِّن ثباتك في الأحوال العصيبة.

جاهر بعواطفك. وصفت امرأة زواجها بالخاوي، ولامت زوجها لانه لم يفلح في تطييب خاطرها بعد وفاة ابنتهما قبل سنوات. وهي أخبرت روبرت لاور: "تمر أوقات أهفو فيها الى ضمّة من جيم."

فسألها لاور: "هل أخبرته بذلك؟" أجابت: "لا، عليه أن يدرك الأمر."

تحدث لاور الى زوجها في الأمر، وهو يقول: "كان جيم راغباً في ما تريد زوجته. لكنه مفتقر الى التدرب على اليقظة لاحاسيس زوجته وطلباتها. كما

أنها هي أيضاً في حاجة الى الافصاح عما يعتمل في صدرها."

لا تخشَ التغير. يتبدل الافراد وتتبدل العلاقات بمرور الزمن. وعلى المرء ان يحذق التغير في الاتجاه الايجابي. قد يناهض الزوج نمو شخصية زوجته مخافة ألا يبقى هو السيد في البيت. وقد تتنغص الزوجة من ترقية زوجها في العمل مخافة أن تتخلف عنه فيهملها. يقول لاور: "يتشكى البعض من ازواجهم قائلين: أنت لست من تزوجت. لكن الزوجين السعيدين يدركان أن التغير مدعاة للاحتفاء لا للنواح والتفجع."

الرابط المقدس يجمع المرأة والرجل فيوكلان النفس واحدهما الى الآخر ويحسِّن كل منهما الآخر بالحب والبقاء على العهد. تقول ليندا ماكونهي: "الأمر شبيه برفع حمل ثقيل، يغدو حمله أسهل ان تكاتفتما."

ادوين كيستر الابن
وسالي فالنتي كيستر ■

طيّار

أنا مدرب طيران. وخلال تدريبي أحد الطلاب لاحظت أنه يلاقي صعوبة كبيرة في الهبوط، اذ كان يرتبك في تقدير المسافة المناسبة من الارض قبل أن يشدّ المقبض ويرفع مقدم الطائرة.

لكني دهشت حين هبط على نحو رائع خلال التدريب الليلي. ففي كل مرة كان يقترب من الارض كنت أتهيأ للامساك بجهاز القيادة، لكنه في اللحظة الحاسمة كان يشدّ المقبض ويهبط على نحو ممتاز.

سألته عن المقياس المرئي الذي يعتمده مع أن معظم المؤشرات غائبة في الظلام. أجابني أنه يتجه في خط مستقيم نحو الأنوار في نهاية المدرج، وينتظرني حتى أتصلّب في مقعدي وأهمّ بتسلّم القيادة، فيشدّ المقبض ويهبط بأمان.

أ.ب.

البذلة والوظيفة

اشترى زوجي بذلة جديدة آملا أن يترك انطباعاً حسناً لدى مقابلته مدير شركة طالباً وظيفة.

وخلال المقابلة كان زوجي منسجماً في الحديث، فمال الى طاولة المدير وألقى يده عليها، وللحال لفتت انتباههما بطاقة السعر التي كانت لا تزال مربوطة الى الكمّ. فاستدرك زوجي الموقف المحرج بنباهة قائلا: "حسناً، اذا لم أحصل على الوظيفة فسيكون في امكاني اعادة البذلة الى المتجر."

ك.ر.

وَقعوا في هوَى الحريّة

الوحدة الالمانية
مبعث قلق لشعوب كثيرة
ولكن ثمة من يتفاءلون
بأن المستقبل
لن يشهد أوروبا ألمانية
بل ألمانيا أوروبية تنشد السلام

الواقف على قمة التل المشرف على وادي ثورينجيان يوحي له المنظر درساً تاريخياً مؤثراً، والحقول المنبسطة تحته بألوانها الذهبية والزمردية توحي هي الاخرى طمأنينة خادعة. فهنا كان موقع معسكر الاعتقال "بوكنفالد" حيث قتل النازيون ٦٠ ألف سجين بين العامين ١٩٣٧ و١٩٤٥. وعلى مقربة من المكان تجثم قاعدة عسكرية سوفييتية ضخمة ترمز الى الوجود الاجنبي في المانيا الشرقية منذ ٤٥ عاماً.

خلف هذه الحقول تقع مدينة فايمار حيث عاش الاديب غوته - شكسبير المانيا - والروائي فريدريك شيلر والمؤلف الموسيقي فرانتز ليست. في هذه المدينة تنتصب القاعة حيث كان آخر نظام ديموقراطي في ألمانيا يعقد اجتماعاته بين العام ١٩١٩ والعام ١٩٣٢ عندما سقطت في أيدي النازيين. وترمز فايمار الى أفضل ما في الحضارة الالمانية، والى الامل المستقبلي.

لم يعد من وجود لالمانيا الشرقية الآن. لقد اختفت الحدود التي كانت تفصل الالمانيتين وخلت أبراج المراقبة وأزيلت الاسلاك الشائكة. العالم كله يعرف أن هذه الاراضي الممتدة من فرنسا الى بولونيا، بتراثها المنفصم بين رأسمالية وشيوعية أصبحت في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠ "ألمانيا" صرفاً من جديد.

أي شكل ستتخذه هذه الالمانيا الجديدة؟ ان البلاد التي أنجبت أدولف

هتلر ولودفيغ فان بيتهوفن وكارل ماركس وألبرت أينشتاين واخترعت غاز الاعصاب وسيارات "ب م ف" وأول جهاز للاشعة السينية (اكس) وأضرمت حربين عالميتين، ستصبح من جديد، وبسرعة، القوة الرئيسية في أوروبا.

فمن هم ألمان المستقبل الآتي؟

أزهار تتفتح. مدينة هالي هي مركز الصناعة الكيميائية في ما كان لفترة قريبة "ألمانيا الشرقية." في هذه المدينة كنيسة شاهقة من العصور الوسطى ومنازل أنيقة تشهد على ثراء الماضي. أما تركة الحكم الاخير فتتمثل في شوارع قذرة مليئة بالحفر وسطوح متداعية وأراض خلاء. لقد آلمتني رئتاي وأحسست حريقاً في عيني وأنا أستنشق هواء قد يكون الاكثر تلوثاً في العالم.

خارج المدينة، في مجمع ضخم من المساكن الحقيرة، التقيت فيليم رومر الذي يدرّس الهندسة الزراعية في جامعة مارتن لوثر. صافحني بحرارة وهو يقودني الى شقته الضيقة النظيفة. وعندما سألت رومر وزوجته آن روز عن رأيهما في اعادة توحيد ألمانيا، بدآ، كعادة الالمان، بسيل من مشاعر القلق. انهما قلقان على الآلاف من العاطلين عن العمل، ويتساءلان هل في مقدور شعب تدرب لسنوات طوال على تلقي الاوامر، أن يفكر لنفسه. وأخيراً هناك الاسعار وارتفاعها الجنوني بعد توحيد النقد. المستقبل يقلقهما، لكني لمست تحت مشاعر القلق فيضاً عارماً من الابتهاج: أمور كثيرة غير عادية أصبحت الآن ممكنة. فابنهما المراهق يستعد للسفر الى بريطانيا لقضاء أسبوعي اجازة، الامر الذي كان بعيد المنال في الماضي القريب. كما يستطيع فيليم رومر أن يحاضر في جامعات فيينا وغوتنغن وحيث يشاء.

لم يعرف آل رومر سوى النظام التوتاليتاري، أولا في ظل النازية وبعد ذلك في ظل الشيوعية. الآن، وللمرة الاولى في حياتهم، يستطيعون التحدث الى الاجانب. ومال رومر فوق الطاولة ليقول: "انها تجربة جديدة كلياً."

وقبل انصرافي أعطاني رومر بطاقتين من صنع يديه: الاولى لوحة زيتية تضج بالحياة وبألوان متداخلة، والاخرى مركبة من زهور برية مكبوسة. وطالعتني في الهدية ملامح غنى في المشاعر المكبوتة والقدرة على الابداع كنت أدرك أنها تنتظر التفتح في انحاء ألمانيا.

يمثل رومر مشاعر كثيرين من الالمان الذين التقيتهم: فهو جدّي، متحرر، ويبحث عن ألمانيا جديدة يفتخر بانتمائه اليها.

أبواق انذار. كانت المانيا الغربية، وتعداد سكانها ٦١ مليوناً، واحدة من أعظم الدول التجارية على الارض خلال معظم الثمانينات. فقيمة صادراتها ووارداتها أكبر منها في أي من اليابان أو الولايات المتحدة. وكانت المصانع تنتج في حدود ٩٠ في المئة من طاقتها.

وتضيف الوحدة نحو ١٧ مليون نسمة الى اقتصاد يزخر بالحيوية. قال لي أحد كبار الديبلوماسيين الغربيين في بون: "ان النجاح أمر محتم، وسيكون المعجزة الاقتصادية المقبلة."

ان صهر الالمانيتين قد يُحدث القوة الاقتصادية العظمى في العالم، دولة جديدة غنية على أهبة تعديل ميزان القوى في أوروبا.

قبل فترة ليست ببعيدة كانت ألمانيا الغربية واجهة دفاع حلف شمال الاطلسي (ناتو) أمام الشرق القابع تحت الهيمنة السوفييتية. أما الآن فتتولى المصارف الالمانية شراء ديون أوروبا الشرقية وتؤمّن مليارات الدولارات لدعم الاقتصاد السوفييتي المتداعي. تُرى هل أصبحت ألمانيا جسر الغرب الى الدول الشيوعية السابقة، أم انها في سبيل اقامة "رايش" اقتصادي على أنقاض الامبراطورية السوفييتية؟

أصوات التحذير ترتفع من كل مكان في الغرب. وفي مقالة نشرتها صحيفة "نيويورك تايمز" في ٦ مايو (أيار) ١٩٩٠ كتب الروائي آرثر ميلر مذكراً الامريكتين: "لا يحق لأي جندي ألماني أن يقول انه حارب من أجل الديموقراطية." ووصف وزير التجارة البريطاني نيكولاس ريدلي الخطط الاوروبية للوحدة النقدية بأنها "خدعة ألمانية هدفها الاستيلاء على كل أوروبا." وعندما عقدت ألمانيا الغربية والاتحاد السوفييتي اتفاق التعاون بينهما في ١٠ يوليو (تموز) ١٩٩٠ تساءل بعض المراقبين بعصبية هل المستقبل يخبىء محوراً روسياً - ألمانياً جديداً؟

من جهة اخرى، هناك آخرون ينظرون بتفاؤل الى بروز ألمانيا الجديدة. ويقول جاك سيمور من وزارة الخارجية الامريكية: "يريد الالمان طي صفحة الحرب والقول: اننا نرغب في أن نعود جزءاً من العالم، فنحن لا نريد الاحساس بالعار والخجل بعد الآن." ويضيف سيمور: "انها فرصة لاستعادة ألمانيا الى أسرة الامم حيث سيكون لها دور كبير في التغيير الايجابي."

نظرة استعلاء. أثناء تجوالي في أنحاء ألمانيا الغربية وجدت شعباً وافر الغنى، واقعياً، ينتمي في معظمه الى الطبقة الوسطى. فالعمال الذين استخدموا الدراجات الهوائية في الخمسينات وسيارات الـ"فولكسفاغن" في الستينات يقودون الآن سيارات "أوبل" و"مرسيدس بنز." واختفت مشاعر "العسكريتاريا" والقومية التي كانت أهم ميزات الحياة السياسية في المانيا قبل الحرب العالمية الثانية، كذلك اختفت مشاعر الحذر من العالم الخارجي، القديمة الجذور في المانيا.

أخبرتني استريد ميدلمان - موتز وهي رئيسة دائرة في معهد أبحاث الاحداث في ميونيخ، أن ٨٢ في المئة من الالمان بين السن الثامنة عشرة والسن السابعة والعشرين سيقضون اجازاتهم هذه السنة

في بلاد أجنبية. وأضافت: "قبل ثلاثين عاماً كانت زيارة هولندا تعتبر حدثاً مثيراً. أما الآن فقد أصبح قضاء عطلة نهاية أسبوع في ايطاليا بسهولة الخروج من البيت لشراء البيتزا."

ولكن تحت كل هذا الترف والغنى لمست احساساً بقلق تجاه الماضي ومشاعر متناقضة في شأن القوة الجديدة التي اكتسبتها المانيا. يقول خبير الكمبيوتر الشاب فولفغانغ رابل: "كثيراً ما يدهشني أن احساسي الوطني ينمو مع الوقت. لكن ذلك يقلقني أيضاً." وتضيف ماريون بهر وهي مندوبة مكتب هندسي: "ليس مستحباً أن يفخر الالماني بألمانيا." وعندما سألتها لم لا أجابت: "لأن ذلك يعود بنا دائماً الى السنوات الاثنتي عشرة من الحكم النازي."

في القرن التاسع عشر كانت عبارة "الطريقة الالمانية تجعل العالم أفضل"[١] من الامثال الالمانية الشعبية. وقد ساهم هذا الشعور بالاستعلاء في جر المانيا الى حربين عالميتين والى كارثة النازية.

وشبَّه أحد الهزليين الالمان مواطنيه "بالعصافير التي تتجمع في الساحات: "انها تأكل من يدك وهي تحت وتسلح على رأسك وهي فوق." ولمثل هذه النكات دلالتها على أن ذكرى هذه الخاصّة التاريخية تزعج الالمان كما تزعج جيرانهم.

أخلاقيات العمل. في المطلق، قد لا يميز الالمان شيء أكثر من الانضباط الذاتي والاحساس بالواجب والرغبة في العمل الشاق. ولا يزال العمال الالمان يحتفظون بمفاهيم عن الاتقان الحرفي والنوعية في الانتاج تعود الى القرون الوسطى في وقت اختفت هذه المفاهيم في كل مكان آخر.

وليس ادل على ذلك من قول أحد الاجانب المقيمين في بون: "في هذا البلد، عندما تصلح سيارتك تبقى صالحة مدة طويلة".

ولا تزال ألمانيا الشرقية تحتفظ ببقايا من أخلاقيات ما قبل الشيوعية. فخلال موجة التظاهرات المؤيدة للديموقراطية والتي اجتاحت أوروبا الشرقية عام ١٩٨٩، أدى اضراب العمال في بولونيا وتشيكوسلوفاكيا الى شلل تام في القطاع الصناعي، وتحوَّل في رومانيا فوضى دموية. أما الالمان الشرقيون فأقاموا تجمعاتهم بمراعاة دقيقة للوقت: مساء كل يوم اثنين، بعد الدوام.

وللحصول على فكرة مباشرة عن اخلاقيات العمل الالمانية، ذهبت الى مقر شركة "ديملر - بنز" في شتوتغارت، التي تعتبر نموذج الاتقان الحرفي الالماني. فتبين لي أن القناعة الثابتة لدى مديري الشركة باستحالة مضاهاة المهارات الالمانية دفعتهم الى رفض عروض لانتاج سياراتهم خارج المانيا. وفي هذا الصدد يقول ممثل الشركة ماتياس كلينرت: "اننا نصنع كل القطع

(١) Und es mag am deutschen Wesen, Einmal noch die Welt genesen.

بأنفسنا، ونفحص كل قطعة مئة مرة، وبذا نتأكد من أنها بلغت حد الكمال. ان هدفنا انتاج سيارة غاية في التناسق."

أثناء الزيارة قادني كهربائي شاب يدعى فولكر براون في جولة على حجرات العمل الوامضة حيث يعمل هو وآخرون في تشغيل أجهزة الكمبيوتر التي تتحكم بخط التجميع. وأوضح لي طبيعة عمله: "عندما يومض ضوء، أبحث عن القطعة المعطوبة وأحضرها لاصلاحها. فاذا كان كل جزء صغير ممتازاً، فان السلعة بكاملها تكون ممتازة".

وفيما تختفي الحواجز التجارية بين دول أوروبا، ترسل معدلات الانتاج الحالية في ألمانيا موجات من القلق في الاسرة الاوروبية. وقد علَّق أحد الكتاب البريطانيين على هذا الموضوع بنزق: "يبدو أن حرب المصارف أبلغ أثراً من حرب الطائرات."[٢] لكن أوروبيين آخرين يرحبون بالتحدي الالماني. ويقول رينيه لاسير من "مركز الابحاث والمعلومات عن ألمانيا المعاصرة" في باريس: "ستجبر المانيا الشركات الفرنسية على التحديث لكي تصمد أمام المنافسة. انها تصدِّر نجاحها. وخلال عشر سنين لن يتحدث أحد عن القوة الاقتصادية الالمانية بل عن القـوة الاقتصـاديـة الاوروبيـة العظمى."

علاقة حب. ماذا عن ألمانيا الاخرى؟

بعد ٤٠ عاماً من الحكم الشيوعي بات الناس يتكلمون لغة "مختلفة." وكما أشار أحد المصرفيين: "لا وجود لعبارة "الناتج القومي الاجمالي" في قاموس رجال الاعمال في الشرق. السكك الحديد بالية، والطرق العامة متداعية، ونظام الهاتف اضحوكة، ومعظم الصناعات عتيقة عفاها الزمن. ويقدِّر خبراء الاقتصاد كلفة اعادة البناء والتنظيم و"امتصاص" الديون خلال العقد المقبل بمئات المليارات من الدولارات.

ولدى كثيرين في ألمانيا الغربية مشاعر متناقضة حيال تنكُّب هذا العبء الثقيل. لكنني واثق بأن الغالبية كانت ستؤيد رأي بند ستورزل وهو شاب يعمل في حقل العلاقات العامة أخبرني حين التقيته في شتوتغارت: "ستكون المهمة مكلفة، لكننا لا نملك خياراً. يجب أن نضع ثقتنا في الديموقراطية والحرية. سينجح اخواننا وقد عرفوا الآن لأي هدف يعملون."

لا شيء يمثل التاريخين المختلفين لألمانيا أفضل من برلين المقسمة، فقد نما القطاع الغربي من المدينة كجزيرة للحرية والثروة بينما تعفن القطاع الشرقي. والآن لم يعد هناك وجود لبرلينين. وتشكل البنايات الانيقة التي هي قيد الانشاء موطئاً عصرياً في صحراء القطاع الشرقي القديم. ويساعد مئات من الموظفين الحكوميين في برلين الغربية على ادارة الخدمات العامة في القطاع الشرقي: من الاسكان الى المواصلات الى الشرطة. ويُعاد وصل

(٢) Bankkrieg is even more effective than blitzkrieg

الطرق وبناء الجسور وربط خطوط المترو.[٣] "انها تتغير يومياً،" هكذا علّق سائق سيارة الاجرة وهو يقودني عبر طريق أعيد فتحها للمرة الاولى منذ اغلاقها عام ١٩٦١.

ان الغرب يضخ المال والخبرة التقنية - والديموقراطية.

علاقة حب مع الحرية: تبدو اعادة توحيد ألمانيا وامتداد نفوذها شرقاً تحقيقاً سلمياً لأحلام بسمارك والقوميين الالمان. فهل يمكن الوثوق بألمانيا الجديدة؟

يجيب عن هذا التساؤل البروفسور هانتز - أدولف جاكوبسن الذي أمضى خمسة أعوام سجين حرب في روسيا ويشغل اليوم منصب رئيس دائرة العلوم السياسية في جامعة بون: "الفوارق واضحة بين العام ١٩٣٠ واليوم. كنا مشربين بروح العسكريتاريا ونظرية التفوق العرقي. لكن الحلم القديم بالهيمنة على قارة أوروبا انتهى، والمستقبل لن يشهد أوروبا المانية بل المانية أوروبية."

هذه هي ألمانيا التي قد يتقبلها فيليم رومر. وأذكر ما قاله لي عالم التاريخ البارز ألفرد غروسر الذي فرت عائلته من المانيا الهتلرية الى فرنسا: "في العام ١٩٤٥ كان أفضل ما يتمناه الغرب أن يقع الشعب الالماني في حب الحرية. وقد فعل."

فرغوس بوردفيتش ■

(٣) المترو هو القطار النفقي تحت الارض.

انما الأمم الاخلاق...

يتحدث مايكل بلومنتال رئيس شركة "يونيسيس" لأجهزة الكمبيوتر عن الاخطاء التي ارتكبها في اختيار الموظفين:

لدى انتقائك أشخاصاً لملء المراكز العالية، عليك التأكد من أنهم يملكون حاسة تمييز الصواب من الخطأ، وارادة قول الحقيقة، والشجاعة في ابداء رأيهم والعمل بما يعتقدونه صواباً، وإن تكن السياسة العامة تسلك اتجاها معاكساً. هذه هي الصفات الجديرة بأن تتبوأ القمة.

وغالباً ما تأثرت بذكاء امرىء وسعة اطلاعه من دون أن أعير اهتماماً كافياً مبلغ استقامته وشجاعته وصلاحه واخلاصه للعمل.

ج.ف.

اقفل متجر صغير بعد أسبوعين فقط من افتتاحه. وعلّق على بابه الاعلان الآتي: "فتحنا خطأ."

ر.ش.

مطاردة في الجوّ

هناك حملة عالمية ضد تجار المخدرات. وتشن حكومة الولايات المتحدة حرباً شعواء على تجار المخدرات الذين يهربون بضاعتهم الى البلاد من أمريكا اللاتينية. وقد زُوِّد رجال الجمارك الامريكيون طائرات استطلاع مجهزة برادار وطائرات مطاردة بعيدة المدى وطوافات سريعة وبنادق هجومية وبالونات رادار تغطي مئات الكيلومترات من الحدود في أحوال جوية حسنة. لكن الطقس متقلب والحدود تمتد أكثر من ثلاثة آلاف كيلومتر وأعمال الاعتراض الجوي باهظة الكلفة وقد بلغ معدلها نحو خمسة ملايين دولار أسبوعياً خلال السنة ١٩٩٠. فهل يمكن الفوز بهذه المعركة؟ الجواب مرهون بأشخاص أمثال روجر غارلاند وفريقه.

ILLUSTRATION: DAN BURR

الاثنين ٣ ابريل (نيسان) ١٩٨٩، الساعة ٣،٢٠ بعد الظهر.

ظهرت صورة ساحل فلوريدا الغربي على شاشة الرادار في طائرة الاستطلاع التابعة لخفر السواحل. فجأة التقط عامل الرادار نوراً لامعاً متذبذباً في مسار بطيء وعلى علو منخفض. قد يكون "شبحاً" وهو الاسم الذي أطلقه الرجال على الطائرة الصغيرة التي يعتمدها تجار المخدرات لتهريب بضاعتهم الى داخل الولايات المتحدة.

الساعة ٣،٢١. يتصل خفر السواحل بـ«C3» مركز القيادة والمراقبة والاتصالات في الجمارك الامريكية في ميامي. وهناك أكب اختصاصي بأنظمة الرصد على دراسة جداول طيران جمعت بمساعدة مديرية الطيران الاتحادية وحفظت في ذاكرة الكمبيوتر. غير أن هذه المعلومات لم تنطبق على النقطة المتحركة على شاشة الرادار. وأعطى الاختصاصي رأيه: من الجائز أن يكون "شبحاً." واتصل عبر خط الطوارئ بقسم الطيران في مصلحة جمارك ميامي في قاعدة "هومستيد" الجوية على بعد ٥٠ كيلومتراً جنوباً.

الساعة ٣،٣٤. عندما رن جرس الانذار الالكتروني في قاعدة هومستيد أسرع روجر غارلاند الى غرفة اللاسلكي. وغارلاند رئيس فرع الطيران في الجمارك في جنوب فلوريدا. لقد أرسلت طائرتان معترضتان على جناح السرعة: طائرة "سيسنا سيتايشن ٢" مزودة آلة تصوير بالاشعة دون الحمراء لتصوير المطاردة، وطوافة من طراز "بلاك هوك" على متنها أربعة ضباط مدججين بأسلحة ثقيلة وعلى أهبة للاغارة وضبط أي عملية مقايضة.

الساعة ٣،٤٤. فيما غارلاند يترقب ورود معلومات أذاع مكبر الصوت: "تمكنت طائرة تابعة لخفر السواحل من رصد الطائرة المجهولة. انها من طراز بيتشكرافت ذات محركين، لكن رقم الذيل مسجل باسم "بايبر أزتيك." وستتولى إحدى طائراتنا مراقبتها حتى وصول الطائرات المعترضة."

لم يكن روجر غارلاند قلقاً. لقد ساهم فريقه في خفض حوادث اختراق المجال الجوي فوق فلوريدا الى نسبة أقل كثيراً مما كانت عام ١٩٨٠، حين كانت "الاشباح" تهبط بأمان على أراض ترابية أو طرق فرعية نائية أو معدة لمشاريع سكنية. أما الآن فالمراقبة المتواصلة خفضت عدد الطائرات المشبوهة التي تدخل المجال الجوي الامريكي الى أقل من واحدة في الشهر.

الساعة ٤،١٧ قطع صوت المذياع على غارلاند حبل أفكاره: "هنا سيتايشن. رأينا البيتشكرافت. وسنقترب للتأكد من الرقم. حوِّل."

توترت أعصاب غارلاند. فالمهربون حين يتنبهون الى أنهم ملاحقون لا يكتفون بالتخلص من حمولتهم بل

يحاولون اسقاط متعقبيهم. وعرف عنهم أنهم يطلقون أنواراً وهاجة ويقذفون أسلاكاً معقودة على المحركات ويلقون رزماً ثقيلة من الماريوانا في الهواء. وتنفس غارلاند الصعداء عندما أوردت طائرة "سيتايشن" خبراً يثبت رقم المطابقة من دون أي اشارة الى اشتباه أحد بوجودها.

الساعة ٤،٥٥. "اختفت الطائرة بين الغيوم. لا بد أن الاشرار شعروا بوجودنا."

أخذ غارلاند يلعن. لقد تأكد الآن من أن البيتشكرافت "شبح." ويبدو أنه أثناء اقتراب طائرة المطاردة للتأكد من رقم الذيل الزائف تنبه اليها شخص على الارض ينتظر وصول الحمولة. لن تتم عملية مبادلة الليلة، ولكن في امكان الجمارك على الاقل ضبط المخدرات باعتقال طيار ينقل حمولة تقدر قيمتها بحوالى ٥٠٠ ألف دولار. فالطيار سيضطر في النهاية الى الهبوط بعد نفاد الوقود، ومعه البرهان القاطع، أو قد يعمد الى رمي الحمولة فتصوِّرها الكاميرا من الطائرة المطاردة فيما تناور الطوافة لالتقاطها.

لم ينل روجر غارلاند لقب "الكلب المسعور" جزافاً. انه في الرابعة والاربعين من عمره، قوي البنية، وزنه ١١٣ كيلوغراماً، وهو لاعب سابق بكرة القدم. وقد أمضى ١٧ سنة في خدمة القانون. وكان طياراً نفذ ١٣٦ مهمة قتالية في فيتنام، وحاز وساماً رفيعاً بعدما تمكن من العودة الى قاعدته بطائرته المهشمة. ومعروف عنه أنه عندما يبدأ تعقب "شبح" لا يدعه يفلت منه. وفي احدى مطارداته حط بطائرته على سد للري مفروش بالحصى. وفي مطاردة ثانية هبط على طريق رئيسية مزدحمة شمال بالم بيتش في فلوريدا.

الساعة ٥،١٠. "شاهدت بلاك هوك مظلة هبوط. يبدو أن لدينا طائرة فارغة."

فكر غارلاند: "لا أصدق أن ذلك يحصل ثانية." وعادت به الذكرى الى أربع سنوات خلت عندما كان لا يزال طياراً. فتذكر يوم تعقب طائرة، ولما اقترب منها صعق لرؤيتها خالية وقد شرّع أحد أبوابها. فجمد لا يقوى على شيء وهو ينظر الى الطائرة متجهة نحو المكسيك وعلى متنها الحمولة – البرهان.

صحيح أن الطيار الذي هبط بالمظلة اعتقل، غير أن الذكرى ما زالت الاكثر ازعاجاً في حياة غارلاند. فعزم على الا يدع "شبحاً" آخر يفلت منه على هذا النحو. فاتصل بطائرة المطاردة قائلا: "سيتايشن، لتحطّ بلاك هوك وتعتقل الطيار."

الساعة ٥،٢٣. "الكلب المسعور، هنا سيتايشن. لقد قبضنا على المشتبه فيه. الشبح يتجه صوب سارازوتا (فلوريدا). الارتفاع ٢١٠٠ متر. السرعة ١٤٠ عقدة.* انه منطلق بثبات، ومن المؤكد انه يحلق بقيادة آلية."

(*) حوالى ٢٦٠ كيلومترا في الساعة.

شعر غارلاند في قرارته بالخطر المحدق. فاذا ظلت الطائرة على سرعتها فستصل فوق سارازوتا بعد نصف ساعة، اذا اجتازت بسلام الخطوط الجوية الناشطة بين تامبا وميامي. واذا لم ينفد منها الوقود فتتحطم فوق احدى المدن الساحلية، واذا صمدت القيادة الآلية الدقيقة وسط الجيوب الهوائية فأي اهتزاز قد يودي بالطائرة الى الارض محطمة شر تحطيم.

أمر غارلاند طائرة المطاردة: "سيتايشن، لتتحقق بلاك هوك من الطيار المعتقل عن كمية الوقود في طائرته."

وكان الجواب الفوري مثيراً للغضب: "لقد رفض المشتبه فيه الاجابة عن السؤال."

انقضّ غارلاند على هاتف الطوارىء آمراً: "أنذروا مديرية الطيران الاتحادي بأن هناك خطراً محدقاً بالملاحة الجوية. فثمة طائرة بلا طيار، وربما مليئة بالوقود، تتجه غرباً بخط مستقيم وتقترب من سارازوتا." وفكر غارلاند: "سوف توجه مديرية الطيران جميع الرحلات الجوية بعيداً عن مسار هذه الطائرة. حبذا لو يلتزم الشبح وجهته وارتفاعه." لكن غارلاند لم يكن مقتنعاً بآماله، فطوال سبع عشرة سنة من حياته المهنية لم ير نظام قيادة آلياً لا يخطىء."

أمر غارلاند عامل الهاتف في مكتبه: "اتصل بواشنطن، وبقاعدة تيندال الجوية." وتيندال هي أقرب وصلة في فلوريدا بقيادة الدفاع الجوي في أمريكا الشمالية. وبعد أقل من دقيقة رد موظف من القيادة على المكالمة: "ان القيادة مفوضة اطلاق النار على كل جسم يشكل خطراً على الملاحة الجوية. لكن الجنرال وحده يستطيع أخذ هذا القرار."

فسأله غارلاند: "هل يمكن القيادة ارسال طائرات على الاقل؟"

فوافقت القيادة على ارسال مقاتلات.

ما ان انهى غارلاند مكالمته حتى رن جرس الهاتف وكان المتكلم وليم فون راب مفوض الجمارك في واشنطن. فلخص له غارلاند ما حدث، وأنهى حديثه قائلا: "علينا أن نطلب من وزارة الدفاع الاذن باطلاق النار على الطائرة اذا ما بدأت بالهبوط قبل أن تجتاز سارازوتا."

فأجابه فون راب: "أنت تعلم أن ذلك مخالف للسياسة المتبعة."

قال غارلاند: "أجل يا سيدي، ولكن اذا تحطمت الطائرة فوق بناية أو متنزه فهي معرضة للانفجار كقنبلة." فقال فون راب بسرعة: "سأتصل برئيسي في وزارة المال، وأعود اليك."

نظر غارلاند الى ساعته. انها الخامسة والدقيقة السابعة والثلاثون. الليل يقترب وأنوار الـ"بيتشكرافت" غير مضاءة.

الساعة ٥،٤٠. "هنا سيتايشن. اننا نقترب من سارازوتا."

قال غارلاند في نفسه: "اللعنة، اين هذه المقاتلات؟" ثم صاح: "سيتايشن، أريد تقارير متواصلة عن الشبح. واذا طرأ أي تغيير على حركته أعلموني بذلك."

لقد أدرك غارلاند أنه سيطلب من قيادة

الدفاع الجوي اطلاق النار على الـ"بيتشكرافت" اذا لزم الامر وعلى مسؤوليته الشخصية. فوداعاً يا معاش التقاعد.

الساعة ٥،٤٥. "أيها الكلب المسعور، لقد وصل سلاح الجو، مقاتلتان من طراز ف ١٥." وتخيلهما غارلاند، وهو الطيار العسكري السابق، أنيقتين وقويتين وسريعتين الى حد أنهما لا تستطيعان مواكبة الـ"بيتشكرافت" الا بالتحليق حولها والالتفاف في شكل أنشوطات.

الساعة ٥،٥٨. "هنا سيتايشن أيها الكلب المسعور. لقد اجتاز الشبح مجال سارازوتا الجوي وهو يتجه الآن صوب البحر."

فصرخ غارلاند: "لازموها!" اذ ان الطائرة الفارغة قد تخرج عن القيادة الآلية وتغير مسارها وتعود في اتجاه البر. واذا تركوها الآن فلن يعرفوا ما قد يطرأ عليها الا بعد فوات الاوان.

الساعة ٦،٤٦. شكّت الـ"بيتشكرافت" بسلام في خليج المكسيك على بعد ٣٤٠ كيلومتراً من ساحل نابولي في فلوريدا، وغرقت قبل أن يصل اليها زورق خفر السواحل. غير أنها خلّفت تسعة عشر أنبوباً بلاستيكياً بلغ طول الواحد منها ١٢٠ سنتيمتراً وهي معبأة بنحو ٣٤٠ كيلوغراماً من أجود أصناف الماريوانا. وقد طفت الانابيب على صفحة الماء.

بعد ستة اشهر مثل الطيار رونالد آرثر كوكس (٤٣ عاماً) أمام المحكمة. وهو رجل اطفاء متقاعد لم يلطّخ سجله العدلي من قبل. واعترف كوكس بتهمة التهريب، فحكم عليه بالسجن سبع سنوات.

جاك فنشر ■

المراقبة شيمة الرجال

داخل المتحف الصغير في متنزه "ميسا فيردي" في كولورادو، ديورامات* هادئة تصور حياة الهنود الامريكيين في الماضي: نساء يحكن سلالا ويطهين الطعام ويعتنين بالاولاد. وفي احداها رجال واقفون يحدّقون الى البرية ومعهم كلب.

وسمعت سيدة تبدي ملاحظة تهكمية مؤداها أن النساء يتولين العمل الشاق كالعادة فيما يسرح الرجال ولا يفعلون شيئاً. كانت السيدة على خطأ، لان رجال القفر أولئك كانوا يفعلون شيئاً مهماً: كانوا يراقبون.

والمراقبة تسلية شائعة في معظم بلاد العالم. وأنا أعتقد أنها متجذرة في الجينات الوراثية الذكرية، فماذا يفعل صبي صغير عندما يتسلق شجرة عالية؟ انه يراقب. واذا رأيت رجلا بالغاً متكئاً على جراره الزراعي كأنه لا يعمل شيئاً، فانه يكون فعلا يستجيب لرغبة ملحة عميقة في المراقبة. حتى الصبي الواقف في زاوية شارع أو الجالس على سلّم منزل يلبي نداء الطبيعة الى الرجال أن راقبوا.

ج.هـ.

(*) الديوراما صورة ينظر اليها من خلال ثقب في جدار حجرة مظلمة.

الانفلونزا، مرض الشتاء، تجتاح العالم في موجات وبائية فاتكة. فكيف نتقيها؟

لا تخلطوا بين الزكام والانفلونزا

تشعر فجأة بتعب وانحراف في المزاج وبألم خفيف. ثم يستحوذ عليك العطس البغيض. والسبب في كل ذلك حلول واحدة من تلك الفيروسات الموسمية الجوالة في جهازك. ولكن أهو زكام عادي، أم هي الانفلونزا[1] الناتجة من أغرب ما اكتشفه العلماء من فيروسات؟ كثيرون يعتقدون أن الانفلونزا هي مجرد نوع قاس من الزكام لكنهم على خطأ بل هم على خطأ جسيم.

تفشى وباء الانفلونزا في بريطانيا خلال فصلي الخريف والشتاء من العام ١٩٨٩ على نحو لم تعرفه البلاد منذ ١٤ سنة. فعمدت المستشفيات الى تأجيل كل الجراحات المقررة، ما عدا الطارئة منها والضرورية، لامتلاء الاسرّة بمرضى الانفلونزا. ويذكر الدكتور ولتر ج. غن الباحث في "مراكز مراقبة الامراض" في أتلنتا بولاية جورجيا الامريكية، أن "ذلك الموسم شهد أكبر عدد من الوفيات بفعل الانفلونزا في التاريخ الحديث. ويتوقّع أن يشهد موسم ١٩٩٠ مآسي مماثلة."

فاذا ازددت معرفة بالانفلونزا، ازدادت فرص حماية نفسك وعائلتك من الاصابة بواحد من أغرب ما اكتشفه العلماء من فيروسات. فالانفلونزا مرض ناتج من عدوى فيروسية، لا جرثومية (بكتيرية)، مما يعني أن العلاج بواسطة مضادات حيوية (أنتيبيوتيك) قليل الفائدة. لذا تبقى الوقاية خير علاج.

والفيروس جسيم صغير خدّاع. إذ حين يدخل الجهاز التنفسي يتشبث بخلية ظهارية[2] وينسلّ داخلها حافزاً جهازها التوالدي على انتاج ملايين النسخ عنه. وفي النهاية تمزق الفيروسات المولَّدة الخلية وتنتشر في خلايا أخرى تتولى بدورها توليد ملايين أخرى من الفيروسات. وخلال أيام يكتنف المرض الجسم برمته.

قد تبدو الأعراض الأولى للزكام والانفلونزا متشابهة، إذ يرافقهما عطاس ورشح أنف. غير أن الانفلونزا تتسبب في أعراض أخرى لاحقة كالحرارة والسعال

---

(١) influenza أو النزلة الوافدة. والكلمة مأخوذة من العبارة العربية "انف العنزة."
(٢) Epithelial cell

الجاف والآلام في أنحاء الجسم. وغالباً ما يعاني الاطفال المصابون اسهالا وغثياناً واستنزافاً لسوائل الجسم.

وعلى رغم هـذه الأعراض فـان الانفلونزا لا تقتل سوى الخلايا التي تبطن الأنف والحنجرة. وحين تتحول عاملا قاتلا يكون السبب "اشتراكات" وتعقيدات أخرى مثل ذات الرئة.

ويقتل فيروس الانفلـونزا أيضـاً الشعيرات التي تبطن الشُعَب الهوائية مما يزيد صعوبة تخلص الجسم من المادة المخاطية. إذذاك تتحول الشعيرات الميتة والمادة المخاطية غذاء ينمي الجراثيم في الحنجرة، فتفرز هذه مواد سامة تنتشر في مجرى الدم.

وقد تتسبب الانفلونزا في ارتفاع حرارة الجسم الى درجات عالية ثم هبوطها الى المستوى الطبيعي. ولكن اذا عادت درجة حرارتك الى الارتفاع. فمن المرجح أنك أُصبت بعدوى جانبية. في هذه الحال اذهب الى طبيبك علّه يصف لك مضادات حيوية.

زكام الطيور. درج الايطاليون على تسمية هذا المرض الوافد مع الخريف "إنفلونزا دي فريدو."[٣] واليوم يعرف العلماء أن الانفلونزا ترتحل الى الشمال والى الجنوب من خط الاستواء، متنقلة ليس فقط من بلد الى آخر بل من فصيلة الى أخرى أيضاً. ويرجح العلماء أن يكون فيروس الانفلونزا نشأ في الأصل لدى الطيور. واليوم تصيب الانفلونزا عدداً كبيراً من الحيوانات اللبونة، بما فيها الكلاب والقطط والماشية.

وعدوى الانفلونزا لا تنتقل اليك من كلبك أو من هرك. لكن أطباء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لاحظوا أن البشر والخيول يعانون أعراضاً متشابهة للانفلونزا، خصوصاً السعال الجاف والحمَّى. واليوم تحقق العلماء من أن المادة الوراثية لانفلونزا الخيل موجودة في فيروس انفلونزا البشر، كما عثروا على "بصمات" الفيروسات الحيوانية في أنواع أخرى من فيروسات الانفلونزا.

وتتدرج الانفلونزا البشرية في ثلاثة أنواع: النوع "ج" يتميز بخفة وطأته ومشابهته للزكام العادي. والنوع "ب" يمكن أن يكون قاتلا، لكن مادته الوراثية لا تتغير الا بفعل التغيار الاحيائي[٤] البطيء، لذا ينزع الى اصابة الأطفال الذين لم يكتسبوا بعد مناعة من اصابة سابقة. والنوع "أ" يتسبب في انتشار وبائي حاد لأنه يتميز بقوة تغيار أحيائية هائلة تحوِّله بين ليلة وضحاها نوعاً مختلفـاً من فيروس جمـوح يراوغ الدفاعات البشرية الحصينة.

ولمعظم الفيروسات مادة وراثية وحيدة تخدع خلايا الضحية فتنسخها. لكن "الرمز" الوراثي لانفلونزا النوع "أ" مقسَّم ثمانية أجزاء مختلفة. ويتولى أكثر من نوع واحد من الفيروسات مهاجمة

(٣) influenza di freddo أي "تأثير البرد."

(٤) Mutation. وهذا تغير مفاجىء في المادة الوراثية يحدث مواليد جديدة مختلفة على الابوين المنتجين.

الجسم البشري خلال موسم الانفلونزا، وقد تختلط أجزاء فيروسين من النوع "أ" كما يُخلط ورق اللعب. وبهذا تتولى الخلية "المصادَرة" انتاج فيروسات جديدة تختلف وراثياً عن "أبويها." وقد يحدث هذا التزاوج بين فيروسات ناشئة من أجناس حيوانية مختلفة.

هذه الأنواع الهجينة من الفيروسات التي لا تميزها دفاعات الجسم الحصينة تتسبب في أوبئة مريعة. فالانفلونزا الآسيوية التي اجتاحت العالم عام ١٩٥٧ حملت خمسة أجزاء وراثية من منشأ بشري وثلاثة أجزاء أخرى مصدرها الطيور. أما الوباء الذي تفشى في هونغ كونغ عام ١٩٦٨ فكان مزيجاً من ستة أجزاء بشرية وجزءين من الطيور.

اصابات قاتلة. في نهاية كل موسم انفلونزا تعمد منظمة الصحة العالمية و"مراكز مراقبة الامراض" الى درس أنواع جديدة في مصابين عليلين ومائتين. وهذه خطوة أولى ضمن مجهود عالمي يتوخى تحديد نوع اللقاح الناجع لمواجهة التشكيلة المتوقعة للموسم التالي.

وتبقى منظمة الصحة العالمية و"مراكز مراقبة الامراض" خط دفاعنا الأول في وجه الكارثة، لأن الانفلونزا – خلافاً لمعظم الأمراض – تتسم بقدرة كامنة على التفجر. ففي العام ١٩١٨، مثلا، ظهر فجأة نوع جديد من الانفلونزا أصاب خلال أشهر نحو نصف البشرية وأدى الى وفاة ما يزيد على ٢٠ مليون شخص.

أما النبأ السار فهو أن في وسعك قلب الأضداد لمصلحتك إنْ أنت ازددت معرفة بالانفلونزا. ومن الخطوات الذكية أن تتحصَّن باللقاح، خصوصاً اذا كنت في عداد الفئة الاكثر تعرضاً للاصابة بالانفلونزا والتي تشمل كل من تجاوز الخامسة والستين من عمره، وكل من يعاني مشاكل صحية مزمنة كتصلب شرايين القلب والامراض الرئوية، وكل من أخضع في السنة السابقة لعلاج متواصل من داء السكري أو اختلال الكلى أو خضاب الدم (الهيموغلوبين) أو خمود المناعة، كذلك الأولاد الذين يخضعون لعلاج بالأسبيرين لأن أي مزج بين الأسبيرين والانفلونزا يعرض الأولاد للأصابة بأعراض متزامنة مميتة تعرف بأعراض "راي."(٥)

والعجيب أن نسبة الأشخاص الذين يهتمون بالحصول على اللقاح – المتوافر بيسر وكلفة متدنية – لا تتعدى في هذه المجموعات الأكثر تعرضاً للاصابة ٤٠ في المئة سنوياً. ومع أن فاعلية اللقاح تراوح بين ٧٠ و٩٠ في المئة، فان الاصابة به اذذاك تصبح في نطاق الحالات الخفيفة، لان الجسم يكون قد تسلَّح وأصبح جاهزاً للدفاع.

انفصام الشخصية. تسود الناس مفاهيم خاطئة عن اللقاح ضد الانفلونزا.

(٥) Reye's syndrome

والحقيقة الثابتة هي أن من غير الممكن التعرض للاصابة بالانفلونزا من جراء اللقاح الذي يتضمن إما فيروسات كاملة غير ناشطة وإما فيروسات مجزأة. ومن جهة أخرى يفترض بعض الناس أن التحصين ضد الانفلونزا يؤمن حماية لمدى الحياة. أما الواقع فهو أن التحصين لا يخدم لسوى موسم واحد.

وتخضع لقاحات الانفلونزا كل سنة لاعادة تركيب تستهدف مواجهة طائفة من الأنواع الوراثية المستجدة. ففي مارس (آذار) ١٩٩٠ حرصت "مراكز مراقبة الامراض" على توجيه شركات المستحضرات الصيدلانية لانتاج لقاح يقي من فيروسين من النوع "أ" (انفلونزا تايوان وفيروس شانغهاي اللذين يعتقد أنهما تسببا الموسم الماضي في وفاة أناس كثيرين) وفيروس من النوع "ب" عرف باسم "ياماغاتا." وعندما تظهر فجأة طوائف أخرى من الفيروسات تنصح "مراكز مراقبة الامراض" بالتلقيح ثانية.

ولكن هل يتوجب على بعض الناس الإعراض عن اللقاح؟

الجواب هو نعم في حال الذين يعانون حساسية للبَيْض، لأن البيض هو المادة التي تُستنبت فيها فيروسات اللقاح. كما ينصح بعض الخبراء المصابين بالزكام بعدم تناول اللقاح لأنه يوهن جهاز المناعة موقتاً. واللقاح، الى ذلك، آمن عموماً للحوامل، لكن الخبراء ينصحون بعدم تناوله في أشهر الحمل الثلاثة الأولى.

وتشير أبحاث علم الاوبئة الى أن الانفلونزا تشكل خطراً محتملا على الجنين. فالأطفال الذين حملتهم أمهاتهم أبان وباء ١٩٥٧ المريع في فنلندا والدانمرك خلال أشهر الحمل الثلاثة الثانية، وخصوصاً قرابة الشهر السادس، تضاعفت لديهم احتمالات الاصابة بالاضطراب العقلي المعروف بالفصام (أو انفصام الشخصية) كما أوردت دراسات مثيرة أجراها الباحث سارنوف أ. مدنيك من "مركز الأبحاث الاجتماعية" في جامعة كاليفورنيا الجنوبية في لوس انجلس. وفي العام ١٩٨٨ أفاد علماء بريطانيون أن الاصابات بالاضطراب العصبي المعروف بداء "باركنسون" لا تتبع منحى مستقراً أو مطَّرداً سنة بعد سنة، بل يبدو أن المصابين كانوا في أرحام أمهاتهم خلال حقبات من أوبئة الانفلونزا الحادة. ويفترض العلماء أن تعرُّض أمهاتهم للانفلونزا عطَّل نمو جزء حيوي من أدمغتهم. ومع أن هذه الدراسات وسواها أثارت جدلا علمياً، فهي خلصت الى أن من المستحسن أن تأخذ النساء الحوامل إجراءات لتحاشي التقاط عدوى الانفلونزا.

من جهة أخرى، يتبادر السؤال عن حاجة الشباب الأصحاء الى اللقاح ضد الانفلونزا. وترى المراجع الطبية أن لا ضرر في ذلك بالنسبة الى من تعرض لاصابات حادة بالانفلونزا في سنوات سابقة. وفي مايو (أيار) ١٩٩٠ نصحت "مراكز مراقبة الامراض" بتلقيح الاطباء

والممرضات وكل مَنْ يعمل أو يقطن مع الأناس الأكثر عرضة للاصابة بالانفلونزا.

تدابير وقائية. اذا رفض شخص من أحبائك تلقي اللقاح، فهناك طرق بسيطة تقوي حلقة التحصين العائلي: توقف عن التدخين، لأن المدخنين معرضون أكثر من سواهم للاصابة بالانفلونزا الحادة، كما أن من يتنشق الدخان هو أكثر تعرضاً للأصابة بالأمراض التنفسية. واغسل يديك تكراراً، وتحاشَ لمس عينيك وأنفك لأن الانفلونزا تُلتقط وتتفشى بهذه الوسيلة. وحين تعطس أو تسعل استعمل منديلا ورقياً لمنع انتشار الرذاذ الحامل للفيروس في منزلك أو مكان عملك. وإذا أصبت بانفلونزا طفيفة ارتحْ في فراشك ما أمكن، وامنح نفسك أسبوعاً على الاقل للشفاء. وتحاشَ قيادة السيارة. فقد توصل باحثون بريطانيون عام ١٩٨٥ الى أن الانفلونزا تعطل ردود فعل المصاب بنسبة ٥٧ في المئة.

ولكن كيف تعرف أن الاصابة الطفيفة بالانفلونزا تتحول حالا خطرة؟

إذا استمرت الحمَّى، أو تحول السعال الجاف سعالا رطباً، أو ارتفعت درجة حرارتك بعد انخفاض، فالاحتمالات تشير الى بداية الاصابة بعدوى جرثومية. في هذه الحال تضع المضادات الحيوية حداً لهذه الاصابة الجانبية فتنقذ حياتك. واذا خالجك شك، استشر طبيبك.

يقول الدكتور فريدريك روبن من مستشفى مونتيفيوري في جامعة بتسبورغ: "لدينا ضمانات تحول دون تفشي وباء مماثل لما حصل عام ١٩١٨" بفضل توافر العقار "أمانتادين" المضاد للفيروس، ورديفه الأكثر تطوراً "ريمانتادين"، وهما يتميزان بالقدرة على صد النوع "أ" (لا النوع "ب") حتى بعد ٧٢ ساعة من الاصابة بالانفلونزا. غير أن هذه المضادات الفيروسية لا تباع الا بناء على وصفة طبية، وقد تنجم عنها أعراض جانبية خطيرة كالتيهان (فقدان الحس بالمكان والزمان) لذلك لا يُنصح بتعاطيها الا في الحالات الخطرة.

خلافاً لأمراض كثيرة، تمكن الوقاية من الانفلونزا. بيد أن كثيرين منا لا يلجأون الى الاجراءات المناسبة لحماية أنفسهم. فكن من الاذكياء المدركين.

لويل بونتي ■

جواب اختياري

رجع أخي الى البيت منهكاً بعدما قدَّم امتحانين في الجامعة ولقي صعوبة في انتقاء الأجوبة الاختيارية من بين الاسئلة الكثيرة المطروحة.

وحين سألته أمي ماذا يحب أن يشرب، الماء أم الليموناضة أم الحليب، تريث لحظة ثم أجاب: "سآخذ... فقرة الحليب."

ج.ك.

دروس في الأخلاق

الاخلاق تدريب وممارسة منذ الصغر وليست نتاج مقررات تعليمية في الجامعات

كلما قُبض على سمسار متلبساً بإساءة الأمانة، أو ابتُكر علاج طبي جديد يطرح معضلات أخلاقية غير متوقعة، تبرز حاجة الى درس في الأخلاق. وتُستحثّ كليات القانون والطب وإدارة الاعمال – وحتى المدارس الثانوية – على معالجة القضايا الأخلاقية بإكثارها من إعطاء مثل هذه الدروس في مقررات تعليمية مبتكرة. والفكرة وراء هذه الحاجة هي أن في الامكان تعليم أي كان التمييز بين الحق والباطل بالطريقة التي يتعلم بها طلاب الطب، مثلا، التمييز بين البانكرياس والكبد.

والمقرر التعليمي الأخلاقي النموذجي يتركز على كل مسألة بمفردها. فهل يُسمح لفقير بسرقة دواء لمعالجة زوجته المريضة؟ وهل يوهب القلب الوحيد المتوافر للزرع لأم شابة لها ثلاثة أولاد أم لعالم مبدع؟ في هذا الإطار، يتوقع المرء من خرّيج هذا المقرر التعليمي الذي أتقن التمييز الأخلاقي المتبع في النظام الاجتماعي من تحديد الصفقات المشبوهة ومقاومتها ورفض أي أمر غير لائق قد يطلبه منه رئيسه في العمل.

لكن هذا الاستنتاج يعتمد، لسوء الحظ، على تقدير خاطىء للعناصر التي تجعل الناس أخياراً. فالسلوك الأخلاقي هو نتاج تدريب وممارسة لا نتيجة تفكير وتأمل. وكما أكد أرسطو قبل ألفي سنة ونيف، يمكن تنشئة إنسان صالح بتعويده الأعمال الصالحة منذ الطفولة. فالثناء على الطفل لقوله الحقيقة وردعه عن ممارسة الكذب يجعلانه مع الوقت مستقيماً "بالطبيعة."

CONDENSED FROM THE NEW YORK TIMES (NOVEMBER 25, '89), © 1989 BY THE NEW YORK TIMES CO., NEW YORK, N.Y.

إن المعرفة المجردة للخير والشر لا تساهم في تكوين الشخصية أكثر مما تساهم معرفة الفيزياء في عملية قيادة دراجة. فكما أن راكب الدراجة غير مضطر الى التفكير في جهة انحنائه وهو يقودها، كذلك الانسان المستقيم غير مضطر الى التفكير في اجابته بعد حلفان يمين.

واعتماد مقررات تعليمية لتدريس الأخلاق يحمل مضامين أكثر اقلاقاً من مجرد اعتباره اضاعة وقت. فالامثولات الصعبة المقصود منها زعزعة الرضى الذاتي لدى التلميذ تتناول الصراع بين مبادىء تقليدية مألوفة، كالحيرة بين حفظ حق الملكية واستنفاد مدخرات العمر لمعالجة زوجة مريضة. ان صرف التفكير الى هذه الصراعات يوحي أن الفضيلة التقليدية مشوشة وغير مُلزِمة منطقياً في عالم اليوم. لذلك توفر الدروس الاخلاقية مبرراً آخر لتهرب المرء من مسؤولياته البديهية.

والامثولات التي تطرحها المقررات التعليمية الاخلاقية تحرف الاهتمام عن المفاهيم الأخلاقية السائدة. فالاستقامة واحترام الآخرين والمثابرة – وليس الدليل المكتوب للمواقف الواجب اتباعها – هي المنظار الذي يسدد خطى الانسان في رحلة الحياة. وتدريس الأخلاق الذي يتناول الأحداث العامة ينحو الى التركيز على التدابير الوطنية والرسمية. مثلا، كيف تتم الموازنة بين عامل الربح ومسألة التلوث؟ ومتى يجب على المسؤول الحكوميّ كشف الفساد؟

والأسئلة هذه، وإن تكن شائقة وصعبة، تتناول شؤوناً لا يواجهها معظم الناس. بيد أن هناك شؤوناً أقل تعقيداً لكنها في مجملها التراكمي أكثر أهمية لابن مجتمع، لأنها تتناول التحديات اليومية الصغيرة كالاختيار بين التبرع بجزء من علاوة لعمل خير والذهاب في رحلة استجمام.

يطرح عالمنا المعقد أحاجي أخلاقية من نوع خاص. وليس من شك في أن هناك مجالا واسعاً للتأمل الفلسفي في هذا الشأن. ومع ذلك فليس التمييز بين الخير والشر في الحياة اليومية أمراً صعباً جداً. لكن الجزء الصعب في الموضوع هو التغلب على الكسل والجبن من أجل القيام بما يعلم المرء أنه حق فعلا. وكما يتعلم جميع الآباء والأمهات، فان المثل الصالح والحافز الملائم يمنحان الانسان تلك القوة اللازمة.

مايكل ليفن ■

الكاتب أستاذ فلسفة في كلية "سيتي" بنيويورك

قالت أرملة تزوجت أرمل: "لم أتصور أني سأتزوج ثانية. لكني شعرت بوحدة قاسية بعد نفوق هرتي."

ل.ل

من ينقذ

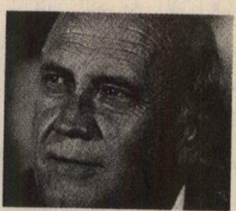

جنوب افريقيا؟

مصير جنوب أفريقيا في أيدي رجلين: واحد آتٍ من غياهب سجن أمضى فيه ٢٧ عاماً، وآخر من حكومة أمضى فيها ١٨ عاماً ولا مكان فيها إلا للعرق الابيض

في ساعة متقدمة من عصر ١١ فبراير (شباط) ١٩٩٠ فُتحت أبواب سجن "فكتور فرستر" في جنوب أفريقيا ليخرج منها رجل في الحادية والسبعين من عمره وسط تهليل الحشود المنتظرة. وبات نلسون مانديلا حراً بعد ٢٧ سنة من الأسر وجاهزاً - كما اعتقد كثير من أبناء جنوب أفريقيا السود - لقيادتهم الى الحرية.

وفي حين راقب ملايين الناس عملية الاطلاق عبر شاشات التلفزة، أجرى الرئيس الأمريكي جورج بوش مكالمة هاتفية مع مانديلا دعاه فيها الى زيارة البيت الأبيض. كما رحبت حكومات بريطانيا والاتحاد السوفييتي والصين وبلدان أخرى بهذا الحدث.

بيد أن أحداً لم يتابع هذه المناسبة باهتمام فاق اهتمام سيِّد "تونهوز" المقر الرئاسي في كيب تاون. كان رئيس دولة جنوب أفريقيا ف.و. دوكليرك (٥٤ عاماً) أقدم لتوه على أكبر رهان في حياته ولما يمض على عهده سوى خمسة أشهر، اذ شرَّع "المؤتمر الوطني الأفريقي" وأطلق مانديلا وأعلن استعداده لاجراء مفاوضات حول تسوية سياسية مع الشعب الأسود في البلاد.

إلا أن السبيل الى ذلك شائك. فالرئيس دوكليرك لن يسمح أبداً بصيرورة

PHOTOS: (TOP) © P. DURAND / SYGMA; (BOTTOM) © A. GOYRI / SYGMA

السكان البيض في جنوب أفريقيا أقلية عاجزة عن الدفاع عن نفسها. وهو أعلن وجوب "إنهاء هيمنة البيض، على ألا يُبدل ذلك بهيمنة السود."

من جهة أخرى طلب مانديلا، ولمّا يمضِ على إطلاقه الا ساعات، اعتماد نظام اقتراع جديد يقوم على مبدأ "صوت لكل رجل." وهو أمر سيؤدي حتماً الى انتخاب حكومة سوداء انطلاقا من واقع أن ٧٥ في المئة من سكان البلاد هم من السود، مما سيؤدي الى نوع من السيطرة التي يخشاها البيض.

ويتملك سكان جنوب افريقيا السود ابتهاج بما تحمله الاصلاحات السياسية الجذرية من آمال. غير أنهم لا يجتمعون حول أي شأن آخر. ففي البلد أربعة تكتلات قبلية رئيسية تتنازعها عداوات شرسة ولكل منها لغتها الخاصة وتراثها المختلف. وتسيطر الفوضى على المناطق التي يقطنها السود، فيما تستعر الحرب الأهلية في مقاطعة ناتال بين ابناء قبيلة الزولو من أتباع المؤتمر الوطني الأفريقي الراديكاليين، وأتباع رئيس القبيلة المعتدل غاتشا م. بوتليزي.

من جهة أخرى تسيطر نزعة تشاؤمية على كثير من البيض، ومن بينهم بعض مؤيدي مبادرة دوكليرك. فهم لم ينسوا ما نتج من حصول بلدان أفريقية أخرى على الاستقلال في الستينات، اذ تحولت هذه البلدان ديكتاتوريات عسكرية تنهشها الحروب الأهلية ويستشري فيها الفساد والركود الاقتصادي. وقد وصف رئيس الأساقفة الاسود دسموند توتو[1] هذا الواقع في خطاب ألقاه في نيروبي عاصمة كينيا يوم ٢٥ مارس (آذار) ١٩٩٠ وجاء فيه: "لقد قاسى أبناؤنا في أفريقيا كثيراً لأن الحرية الآن هي أقل مما كانت خلال الحقبة الاستعمارية."

وجنوب أفريقيا هو البلد الصناعي الوحيد في أفريقيا شبه الصحراوية، وله دور إقتصادي أساسي في المنطقة. فالمناجم والمزارع توفر نحو ٢٠٠ ألف وظيفة للمهاجرين السود الوافدين من بلدان مجاورة تعاني الفقر والمجاعة. ومعظم معدات تعدين النحاس في زائير وموزامبيق هي من جنوب افريقيا. والى ذلك تعتمد موزامبيق المجاورة على فنيين من جنوب أفريقيا لتشغيل سككها الحديد وموانئها (ماباتو) فيما تعتمد بلدان صغيرة أخرى مثل بوتسوانا وليزوتو وسوازيلاند على جنوب أفريقيا أساساً لوجودها.

تلاشي التمييز العنصري

عندما زرت جنوب أفريقيا عام ١٩٦٠ كان البيض والسود والخلاسيون[2] والهنود يولودون في مستشفيات منفصلة ويؤمون مدارس مختلفة ويقطنون في أحياء مستقلة ويوارون في مدافن متباعدة. ووفقاً للقانون كان السود يُولون أعمالا حقيرة ويلبس معظمهم خرقاً بالية

(١) نال جائزة نوبل للسلام عام ١٩٨٤.

(٢) الخلاسي (او الملوّن) هجين من العرقين الابيض والاسود.

ويحملـون أذونا للمـرور في "مدن البيض."

وفي السبعينات بدأ التمييز العنصري يتراجع بعدما نما اقتصاد جنوب أفريقيا بسرعة جعلت عدد البيض غير كافٍ لتولي الوظائف الحرفية والأعمال المكتبية والادارات البسيطة وغيرها. فعمد أرباب العمل – خلافاً للقانون – الى ترقية السود الى هذه الوظائف الى أن ألغيت أخيراً قوانين التمييز الوظيفي.

واليوم يتلاشى التمييز العنصري بسرعة في جنوب أفريقيا. فلقد أُلغيت أذون المرور، وبات الناس من جميع الأعراق يختلطون في أماكن العمل والجامعات والمطاعم والمقاهي. غير أن الانفصال ما زال سائداً في الأحياء السكنية والمدارس الرسمية الابتدائية والثانوية. وعلى رغم ذلك انتقل كثيرون من أبناء الطبقة الوسطى السود الى شقق سكنية في جوهانسبورغ غير عابئين بالقوانين المرعية.

أما المسألة الكبرى اليوم فهي السلطة السياسية. والأسئلة الوحيدة المطروحة هي: هل سيتخلى البيض عن السلطة جزئياً أم كلياً؟ ومتى يفعلون؟ وهل سيتم ذلك بالوسائل السلمية؟ والأجوبة مرهونة بمهارة رجلين: نلسون مانديلا و ف. و. دوكليرك.

الحياة في السجن. ولد مانديلا في اقليم ترانسكاي المتاخم للمحيط الهندي والمتمتع بالحكم الذاتي. وهو ابن الرئيس التوارثي لقبيلة "خوسا." التحق بجامعة للسود، لكنه طُرد منها لقيادته اضراباً طالبياً. اذذاك انتقل الى جوهانسبورغ حيث عمل حارساً في منجم ذهب. ودرس بالمراسلة وحصل على إجازة في القانون. وخلال الحرب العالمية الثانية انضم وصديقه أوليفر تامبو الى المؤتمر الوطني الافريقي الذي تأسس لهدف رفـع الظلامات عن السود بالوسائل السلمية.

وفي الاربعينات والخمسينات تولى أعضاء من الحزب الشيوعي عدداً من المراكز القيادية في المؤتمر الوطني الأفريقي. وفي حين أعلن مانديلا أنه ليس عضواً في الحزب الشيوعي، تحالف بقوة مع شيوعيي الداخل والخارج. وفي العام ١٩٥٩ انفصل عن المؤتمر الوطني الأفريقي عدد من الاعضاء وكوّنوا "المؤتمر الأفريقاني العام" الذي ما زال منـافسـاً أسـاسيـاً للمؤتمـر الوطني الافريقي.

وبعد سنة أطلقت الشرطة النار على متظاهرين سود في شاربفيل فقتل ٦٩ شخصاً. اذذاك سارعت الحكومة الى حل المؤتمر الوطني الأفـريقي والمؤتمر الأفريقاني العام. فما كان من تامبو إلا أن نظم "المؤتمر الوطني الأفريقي" في المنفى فيما بقي مانديلا في البلاد ونظم "حربة الأمة" وهي الجناح العسكري للمؤتمر الوطني الأفريقي. وبعدما نجح في مراوغة الشرطة سنة كاملة قبض عليه وحكم بالسجن المؤبد بتهمة القيام بأعمال تخريبية ومحاولة اطاحة الحكومة.

أمضى مانديلا السنين العشر الأولى يكسر الصخور في مقلع كلسي في جزيرة روبن قبالة شاطىء كيب تاون. وتأثر الحراس بوقاره الهادىء وعمدوا، في خطوة لم يسبق لها مثيل، الى مناداته "السيد مانديلا." كذلك عامل مانديلا حراسه بلطف وكياسة وكان يناديهم برتبهم وأسمائهم معاً.

ومع مرور السنوات بات مانديلا رمزاً لطموحات سكان البلاد السود. وفي العام ١٩٨٩ وجه رسائل الى المسؤولين الحكوميين معلناً أن الوقت حان لاجراء مفاوضات حول تسوية سلمية للنزاع مع السود. وقد لاقت هذه الفكرة استحساناً لدى رئيس الدولة أنذاك ب. و. بوتا كما تحمس لها لاحقاً خلفه دوكليرك.

إرساء العدالة. ترعرع فريدريك فيلم دوكليرك في الاوساط السياسية للحزب الوطني، وهو حزب الأفريقانيين [٣] المتحدرين من المستوطنين البيض الاوائل. وكان والده يان وزير دولة ابان تولي الحزب الوطني مقدرات الحكم في البلاد خلال الستينات والسبعينات، عندما سنّت الحكومة جملة قوانين أرست قواعد التمييز العنصري توخياً لتثبيت سيطرة البيض "الى الأبد."

ونال دوكليرك الشاب اجازة في القانون عام ١٩٥٨ ومارس المحاماة في مدينة فرينيغنغ. ثم فاز بمقعد في البرلمان عام ١٩٧٢.

ويتسم دوكليرك باللطف والكياسة ويعتمد التوافق سبيلا في التعامل. وهو يتميز، خلافاً لأسلافه، بدراية عميقة بشؤون العالم. كما يتمتع بانفتاح على الأفكار الجديدة. وهو أعلن في اجتماع عقده في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩ مع رجال دين سود ومختلطي الاعراق: "ان هدف الحكومة هو ارساء قواعد النظام والقانون."

لكن أحد رجال الدين عارضه قائلا: "والهدف في أعرافنا هو إرساء قواعد العدالة." ففكر دوكليرك لحظة ثم قال: "انك لعلى حق."

وقد أذهلت اجابته الحضور، لأن مثل هذا التحدي كان أغضب أسلافه حكماً.

حدود السلطة. في تلك الاثناء نُقل مانديلا الى مزرعة سجن "فكتور فرستر" على بعد ٥٥ كيلومتراً من كيب تاون، ووُضع في منزل مريح حيث أخذ يستقبل أعداداً من القادة السود والمسؤولين البيض. وكررت الحكومة عرضها اطلاقه إن هو أعلن ارتداده عن العنف الثوري. لكن مانديلا رفض العرض. وفي فبراير (شباط) ١٩٩٠ أذعن دوكليرك أخيراً وأطلق مانديلا من غير شروط.

عندما حدث ذلك ظن كثيرون أن مانديلا سيوصل جنوب أفريقيا الى عتبة الخلاص. فهو تحول في نظر العالم، خلال السنوات السبع والعشرين التي قضاها في السجن، رمزاً يجسد مناهضة التمييز العنصري.

---

(٣) Afrikaners

لكنه خلافاً للآمال المعقودة عليه دعا بعد اطلاقه الى متابعة "الكفاح المسلح." كما أثنى على جو سيلفا أحد قياديي المؤتمر الوطني الافريقي والرئيس السابق للجناح العسكري والمسؤول عن تفجير عبوات ناسفة في أماكن عامة.

وقد أيد مانديلا في مؤتمره الصحافي الأول تأميم المناجم ما تسبب في انخفاض حاد في سوق الأسهم. وانتقد هذا الموقف رئيس تحرير صحيفة "برنس داي" البارزة في القطاع المالي الجنوب - أفريقي فكتب: "لقد انتهز مانديلا أول مناسبة له على المسرح العالمي ليظهر عجزه في ادارة اقتصاد عصري."

وخلال جولة ناجحة في أمريكا أثنى مانديلا على ثلاثة من قادة العالم هم رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات والرئيس الليبي معمر القذافي والرئيس الكوبي فيدل كاسترو. وعندما ناشد الرئيس الامريكي جورج بوش خلال حفلة اقيمت في البيت الأبيض "جميع عناصر المجتمع الجنوب - أفريقيّ التخلي عن العنف والكفاح المسلح"، رفض مانديلا ذلك صراحة وأعلن وبوش الى جانبه أن الرئيس أبدى ملاحظته عن "الكفاح المسلح لأننا لم نشرح له بعد وجهة نظرنا."

ومذ أُعلن مانديلا نائباً لرئيس المؤتمر الوطني الأفريقي - وقائداً فعلياً له - بدأ يتحقق من حدود سلطته. فحاول أن يضع حداً للحرب الأهلية القائمة بين السود في مقاطعة ناتال، لكن المتحاربين لم يولوه اهتماماً، بل زاد العنف استعاراً. ولما دعا الى إرساء النظام والقانون في مناطق السود حيث يُروِّع أسياد الحرب السكان، لم يلقَ تجاوباً.

ويواجه دوكليرك ثورة متنامية هو أيضاً. ففي حين يحتفظ حزبه الوطني بأكثرية مقاعد البرلمان، تخلى قرابة ربع مليون ناخب عن هذا الحزب ليصبوا أصواتهم في خانة "حزب المحافظين" الذي يدعو الى عودة التمييز العنصري.

كما أقدم بعض المتطرفين البيض على تفجير قنابل، بينها واحدة جرحت ٢٧ مواطناً أسود في محطة للحافلات. ونظم آخرون عروضاً في الشوارع مرتدين بزات نازية.

البحث عن السلام. يأمل كثير من المراقبين أن يتخلى مانديلا عن آرائه المتطرفة ويتبرأ من العنف مع مرور الوقت. وهو خفّف فعلا من لهجته في ما خص مسألة تأميم المناجم.

أمام مانديلا طريق طويلة ليصل الى يوم يتولى الحكم من مقر "تونهوز" الرئاسي. فبعض قادة المؤتمر الوطني الأفريقي الشباب يبدون تذمرهم من أن مانديلا كثير الاعتدال، في حين ينفر كثير من أبناء الطبقة الوسطى السود من الأساليب المتطرفة التي تصاغ بأسلوب منمق، وينضم آخرون الى منظمات مثل "المؤتمر الافريقاني العام" وحزب

"إنكاتا" بقيادة زعيم الزولو غاتشا بوتليزي.

والمؤتمر الوطني الافريقي ليس اللاعب الوحيد على المسرح السياسي. فهناك قادة سود لهم تأثيرهم في صوغ الدستور الجديد. ومن هؤلاء بوتليزي الذي يؤيد مبدأ النظام الاقتصادي الحر ويدين الارهاب الذي يدعمه المؤتمر الوطني الافريقي. وهو يتحدث نيابة عن فئة كبيرة من أبناء قبيلة الزولو التي يبلغ تعدادها سبعة ملايين نسمة وهي القبيلة الكبرى في البلاد.

للبيض والسود في جنوب افريقيا احلام متباعدة تتساوى في استحالة تحقيقها. فالبيض ينحون الى الاعتقاد أن في وسعهم حماية أنفسهم بسن قوانين واعتماد ألاعيب دستورية تمنحهم امتيازات خاصة، فيما يحلم السود بالسلطة الفورية والبحبوحة. ولكن من غير المحتمل أن يصل أي من الفريقين الى كل ما يتمناه. وكما في الأمس، حين وطأ أسلاف البيض مجاهل افريقيا في القرن السابع عشر، ينطلق البيض اليوم في رحلة سياسية محفوفة بالمخاطر لم يعهدوها قبلا. وهي رحلة لا سبيل الى العودة منها بعدما تعهدت الحكومة اجراء مفاوضات مع السود حول السلطة. وليس هناك من يستطيع تحديد نهاية الطريق، لا ف. و. دوكليرك ولا نلسون مانديلا.

ديفيد ريد ■

قصص رعب

سُئل ستيفن كنغ، كاتب قصص الرعب الرائجة، عن الاشياء التي ترعبه. فأجاب: "كل شيء. الطائرات. المصاعد. الظلام هو أرعب الاشياء. أنا أترك النور مضاء لدى مغادرة غرفتي في الفندق خوفاً من أن أعود فأتحسس مفتاح الضوء فأشعر بيد تطبق على يدي. وأحد أسباب كتابتي قصص الرعب نوع من الوقاية النفسانية، وكأني أرسم حلقة سحرية حولي وحول عائلتي. لقد كانت أمي تردد دائماً: اذا فكرت في أسوأ الاحتمالات فانه لن يتحقق."

ك.ت.

العروس والشقراء

قالت احدى المدعوات للعروس: "كم تبدين رائعة يا عزيزتي." واردفت هامسة: "ولكن ماذا كان من أمر تلك الشقراء السخيفة التي كان عريسك يواعدها؟"
أجابت العروس: "لقد صبغتُ شعري."

ك.ب.

قصة قصيرة

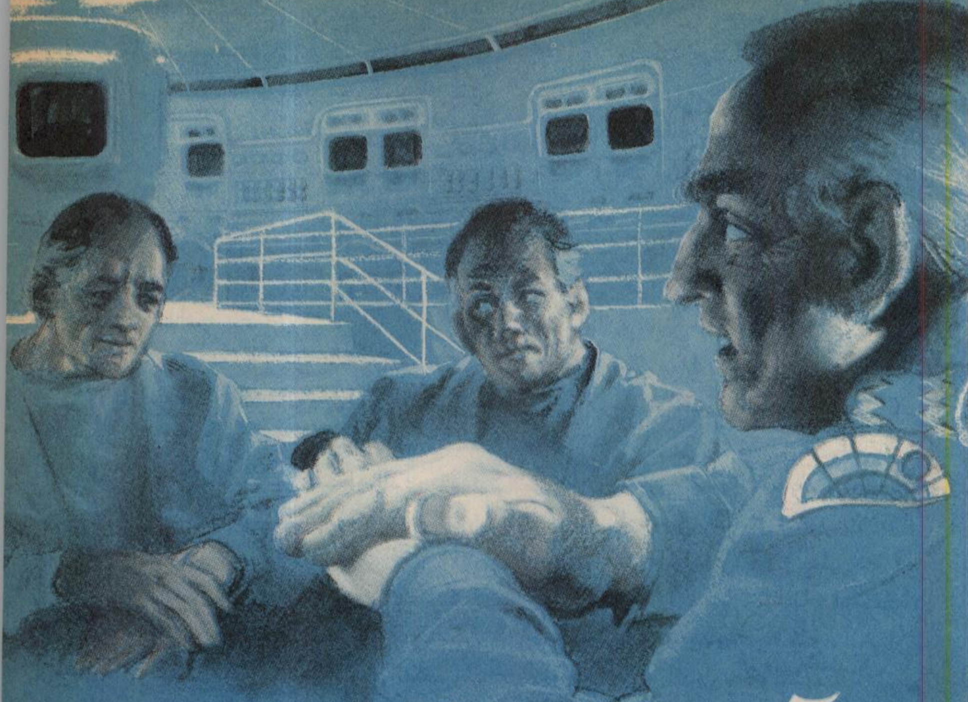

آلة النصر

كان "مولتيفاك" السلاح السري في حرب النجوم. ولكن ما الذي حقق النصر فعلا؟

عمَّت الاحتفالات كل مكان. وحتى في سكون حجرات "مولتيفاك" تحت الارض كان تغيُّر الاجواء ملحوظاً. فللمرة الاولى في عقد لم يكن التقنيون يتراكضون حول أجزاء الكمبيوتر الجبار، ولم تكن الانوار الخافتة تومض بتقطُّع، وتوقف سيل المعلومات.

هنا زاوية هادئة من عاصمة سيطر عليها الجنون. وقد قصدها ثلاثة رجال بدافع الغريزة.

نزع لامار سويفت قبعته العسكرية وجلس متثاقلا في أحد كراسي التقنيين. انه المدير التنفيذي لاتحاد "سولار"،

«THE MACHINE THAT WON THE WAR,» © 1961 MERCURY PRESS, INC., FROM THE BOOK «NIGHTFALL AND OTHER STORIES,» © 1967 ISAAC ASIMOV, PUBLISHED BY DOUBLEDAY, NEW YORK, N.Y. ILLUSTRATION: ED NORTH

وهو بدا غير مرتاح في بذلته النظامية.

قال: "سأفتقد كل هذا. يخيل الي أننا كنا في حرب مع دينيب منذ فجر الزمان، وأكاد لا أصدق أننا الآن في سلام ووئام ويمكننا أن نشخص الى النجوم من دون وجل."

كان الرجلان الآخران أصغر سناً من سويفت، ولم يبدُ أي منهما في شيبه وتعبه.

ووجد جون هندرسن صعوبة في ضبط الارتياح الذي غمره بعد نشوة الانتصار، وقال: "ما زلتُ غير مصدق! لكم تكلمنا طوال هذه السنين عن الخطر الذي يتهدد الارض ومعالمها وسكانها. وها نحن الآن أحياء بعدما دُمِّر الدينيبّيون."

قال سويفت وهو يرمق ماكس جابلونسكي الرابط الجأش الذي كان خلال الحرب المترجم الرئيسي للكمبيوتر الهائل: "الفضل لمولتيفاك، أليس كذلك يا ماكس؟"

فردَّ جابلونسكي هازاً كتفيه: "هذا ما يقولونه."

"أتغار يا ماكس؟"

أجاب جابلونسكي وقد غام وجهه المغضن بنظرة ازدراء: "ماذا يعنيني ذلك؟ فليقولوا إن مولتيفاك هو الماكينة التي ربحت الحرب اذا كان ذلك يسُرّهم."

نظر هندرسن بطرف عينه الى الرجلين وهو مدرك عِظَم ذنبه، فجأة لم يعد في وسعه تحمل ذلك الذنب المرهق الذي أراد وأده مع الحرب، فاعترف: "لم تكن لمولتيفاك يد في النصر. انه مجرد آلة، وليس أهم من المعلومات التي أُلقم إياها." وسكت وقد راعه التفوه بهذه الكلمات.

نظر اليه جابلونسكي قائلا: "أنت أعلم بذلك، فأنت من قدّم المعلومات. أم انك تريد أن ينسب الفضل اليك؟"

"لا!" أجاب هندرسن بغضب، "لا فضل لي في ذلك، ماذا تعرف أنت عن المعلومات التي استوعبها مولتيفاك ملخّصة من مئات الكمبيوترات الفرعية على الارض والقمر والمريخ وحتى على تيتان؟

"قبل ثماني سنوات، حين أصبحت المبرمج الرئيسي، كانت الحرب لا تزال مغامرة بعيدة المدى ولا خطر حقيقياً فيها. لم نكن بلغنا مرحلة استخدام مركبات مأهولة، حيث تبتلع الخوارق الطبيعية بين النجوم كوكباً بكامله. ثم بدأت المصاعب الحقيقية. انكما لا تعرفان عنها شيئاً."

قال سويفت: "أخبرنا عنها."

"حسناً أصبحت المعلومات خلواً من المعنى. أنتما الاثنان لم تكونا في المعمعة. أنت يا ماكس لم تغادر مولتيفاك مطلقاً. وأنت أيها السيد المدير لم تبرح القصر الا في زيارات رسمية حيث شاهدت ما أرادوك أن تشاهد."

فقاطعه سويفت: "لم أكن غافلا عن ذلك."

تابع هندرسن: "هل تعلمان الى أي حد بلغ عدم الثقة بالمعلومات التي تناولت طاقتنا الانتاجية ومواردنا وقدرتنا

البشرية وكل ما هو مهم في القتال خلال النصف الاخير من الحرب؟ كان قادة المجموعات، المدنيون والعسكريون يكرسون جهدهم لصون مقاماتهم، فحجبوا السيىء وعظّموا الجيد."

فكر جابلونسكي هنيهة وقال: "لكنك لم تذكر شيئاً عن عدم الجدارة بالثقة."

فرد هندرسن: "أنّى لي أن أخبرك؟ كان كل مجهودنا الحربي منصبّاً على مولتيفاك باعتباره أعظم سلاح في أيدينا. ولم يكن للدينيبيين سلاح يماثله. فما الذي أبقى المعنويات عالية في وجه الهلاك؟ انها الثقة بأن مولتيفاك سيستبق كل تحرك يهمّ به الدينيبيون ويحبطه. فلو أخبرتكم في ذلك الحين أن المعلومات غير موثوق بها، أما كنتم أبدلتموني وكذبتموني؟ لكني لم أكن مستعداً للسماح بذلك."

فسأله ماكس جابلونسكي: "وماذا فعلت اذاً؟"

"صحّحت الخطأ."

"وكيف؟" سأله سويفت.

"بالبديهة. بدأت أغيِّر قليلا هنا وهناك لتصحيح المستحيلات الواضحة. ولما رأيت أن السماء لم تطبق على رؤوسنا تشجعت. وقرابة النهاية كدت أفقد كل اهتمام، فكنت أكتب المعلومات اللازمة عند الحاجة اليها، حتى اني أوكلت الى ملحق مولتيفاك تحضير المعلومات لي وفق برمجة خاصة ابتكرتها."

تبسّم جابلونسكي على غير انتظار والتمعت عيناه السوداوان تحت جفونه المتغضّنة. قال: "قُدمت الي ثلاثة تقارير عن استخدام الملحق من دون تفويض. وتغاضيت عن الامر في كل مرة، فلو كان مهماً لتقصّيته وكشفتك يا جون وعرفت ماذا كنت تعمل. لكننا لم نُعِر مولتيفاك أهمية في تلك الايام، لذلك أفلتَّ بفعلتك."

سأله هندرسن مشككاً: "لم تعيروه أهمية؟"

فأجاب: "كلا. ما الذي حملك على الاعتقاد أن مولتيفاك كان يعمل بانتظام ودقة؟ أين كان التقنيون في سنوات الحرب الأخيرة؟ كانوا يلقّمون أجهزة الكمبيوتر العاملة في ألوف الاختراعات الفضائية. كلهم ذهبوا. وتعيّن علي الاستعانة بصبية لا أثق بهم ومتقاعدين تجاوزهم العصر. ولم يهمني صدق معلومات مولتيفاك. كانت النتائج غير موثوق بها، وهذا جلّ ما عرفته."

سأله هندرسن: "وماذا فعلت؟"

قال: "كما فعلت أنت يا جون. عدّلتُ الأمور بديهياً، وهكذا ربحت الآلة الحرب."

انحنى سويفت في كرسيه الى الوراء ومدّ رجليه أمامه وهتف: "يا لهذه الاكتشافات! لقد اتضح اذاً أن المعلومات التي تلقيتُها لتوجيهي في أخذ القرارات كانت ترجمة انسان لمعلومات قدمها انسان! كنت مصيباً في عدم الاعتماد عليها كثيراً."

صاح جابلونسكي: "ألم تفعل ذلك؟" وبان أن كرامته مُسَّت على رغم ما اعترف به.

وردّ سويفت: "يؤسفني أن أخبركما انني لم أفعل. لقد بدا لي مولتيفاك كأنه يقول: اضرب هنا، لا هناك، اعمل هذا، لا ذاك. لكني لم أكن على يقين أبداً أن ما قاله مولتيفاك عناه حقاً."

فاحتجَّ جابلونسكي: "لكن تقريره النهائي كان دائماً واضحاً يا سيدي."

"ربما لاولئك الذين لم يتعين عليهم أخذ القرار، ولكن ليس لي. فرهبة المسؤولية في أخذ مثل هذه القرارات كانت كابوساً لا يطاق."

رأى جابلونسكي أنه وقع في فخ الاعتراف المتبادل، فقال نابذاً الألقاب: "فماذا عملت حينئذ يا لامار؟ أنت أخذت قرارات. فكيف؟"

مدّ سويفت يده الى جيبه وأخرج قطعة نقد معدنية قديمة تعود الى العصر الذي سبق نقص المعادن مما أدى الى ابتكار نظام اعتماد يضبطه الكمبيوتر. وأمسك القطعة المعدنية بين أصابعه وراح يحدق اليها.

قال: "ليس مولتيفاك الكمبيوتر الاول ولا الاكثر شهرة ولا الاقدر على رفع ثقل مسؤولية القرار عن كاهل المدير المنفّذ. ان آلة حاسبة ربحت الحرب فعلا، آلة في منتهى البساطة، أقدم كثيراً من مولتيفاك، استخدمتُها كلما تعين علي أخذ قرار صعب."

وأفترَّ ثغر سويفت عن بسمة خفيفة وهو يتذكر، وقذف القطعة المعدنية في الهواء فالتمعت ودوّمت وسقطت في راحته اليمنى. فأطبق يده عليها ونقلها الى قفا يده اليسرى هاتفاً: "صورة أم كتابة أيها السادة؟"

اسحق عظيموف ■

الكاتب روسي المولد، عاش في الولايات المتحدة منذ كان في الثالثة من عمره. وهو الآن في التسعين من عمره، وقد ألف اكثر من ٤٠٠ كتاب. ومن مؤلفاته الاكثر رواجاً "دليل عظيموف الى شكسبير" وروايات واقعية وعلمية - خيالية. وفي سلسلة القصص القصيرة "روبوت" وضع عظيموف "ثلاثة قوانين" يعتمدها العلماء اليوم في تطوير الكمبيوتر.

الساعي والكلب

دخلت فناء دار مسيَّجة لتسليم البريد، فانقض علي كلب ضخم ورماني أيضاً وأخذ يلحس وجهي بشهية وحماسة.

واذا بصاحبة الدار تهرع الى الباب وتنهر الكلب: "أيها الغبي! إنه ساعي بريد وليس طابعاً بريدياً."

ب.ج.د.

اسرع طريقة لخسارة صديق هي اسداء نصيحة تكون في مصلحته.

س.١.

حكايات طريفة

نسمع يومياً حكايات طريفة حصلت مع "صديق" أو مع "صديق صديق". فما مدى صحة هذه الاخبار؟

في ساعة متقدمة من الليل انطلق رجل في سيارته على الطريق العامة في اتجاه الجنوب. وكان مسرعاً فطاردته سيارة شرطة وأوقفته، ونزل منها شرطي توجه اليه. واذ دنا منه ليكلمه وقع حادث اصطدام على الخط الشمالي المقابل، فاجتاز الشرطي الطريق ليقدم يد العون.

في تلك الاثناء خرج الرجل من سيارته وبدأ يذرع المكان جيئة وذهاباً. أخيراً قرر العودة الى منزله. وهناك طلب من زوجته أن تقول للشرطة، اذا ما اتصلت، انه لازم المنزل طوال الليل وكان صاحياً طوال السهرة.

وفي صباح اليوم التالي قرع جرس الباب. ففتح الرجل وأفاد رجال الشرطة أنه لازم منزله طوال الليل. وأيدت زوجته الرواية. عندئذ طلب منه رجال الشرطة السماح لهم بتفتيش المرأب. فلم يمانع. فتوجهوا الى المرأب. وهناك عثروا على سيارة الشرطة ومصابيحها لا تزال مضاءة.

هذه واحدة من حكايات أمضيت

CONDENSED FROM «THE VANISHING HITCHHIKER,» «THE CHOKING DOBERMA» AND «CURSES, BROILED AGAIN!,»
© 1984 AND 1989 BY JAN HAROLD BRUNVAND, ARE PUBLISHED BY W.W. NORTON & CO., NEW YORK, N.Y.

سنوات في جمعها. ونحن الذين نعنى بالتراث الشعبي ندعو قصصاً كهذه "حكايات المدن" لأن المدينة تكون غالباً مصدرها.

وتذيع حكايات المدن وتقطع أشواطاً بعيدة مثلما كانت الخرافات وحكايات الجن وقصص الحب في الحضارات البدائية. فتتناقلها الالسن وتروى على انها تجارب حقيقية حصلت حديثاً مع صديق أو صديق لصديق.

فأين تنشأ هذه الحكايات؟

يضمحل معظم الادلة لدى استقصاء مصدر الحكاية. غير أن الحكايات تبقى، لانها تمتاز بقيمة ترفيهية، كما أنها تشبع نزعتنا الى الاطلاع على حوادث غريبة ومخيفة تتضمن خطراً محتملا كقاتل أو مجنون طليق أو سلعة غير مأمونة أو حادث غامض في الحياة اليومية يتعذر تفسيره. وثمة قصص شعبية ممتعة تلقن دروساً قيمة.

إن قصصاً كهذه تروى وتعاد في السهرات وخلال الرحلات ولقاءات الاصحاب، ليس فقط لحبكاتها المحكمة الموفقة، بل لأنها تستحوذ على فكر المراهق، خصوصاً، لدى خروجه الى العالم الواسع. ومع أن الهدف الفوري لهذه القصص هو الاخافة وإثارة الهلع، فانها تنطوي على رسالة تحذيرية: كونوا متنبهين!

وفي كثير من حكايات المدن مقومات قصص الرعب الكلاسيكية. وهذا نموذج: عادت امرأة من عملها فوجدت كلبها ممدداً على الارض لاهثا يكاد يختنق. فاستبد بها القلق فحملته الى البيطري. فحص البيطري الكلب وقال للمرأة انه سيدخل أنابيب في حلقه لمساعدته على التنفس، ونصحها بعدم رؤية هذا المشهد وترك الكلب في عيادته والعودة الى المنزل.

وصلت المرأة الى منزلها فسمعت جرس الهاتف يرن بلا انقطاع. واذ تناولت السماعة سمعت البيطري يقول لها محذراً: "اخرجي من المنزل فوراً وإذهبي الى بيت الجيران واتصلي بالشرطة."

لقد عثر البيطري على ثلاث أصابع بشرية عالقة في حلق الكلب، وخشي ان يكون الدخيل ما زال في البيت. وحين وصلت الشرطة وجدت في الخزانة رجلا فاقداً الوعي وبلا أصابع.

اجتاحت قصة "الكلب المختنق" الولايات المتحدة صيف ١٩٨١. ورويت بصيَغ مختلفة. وفي إحدى الروايات يغادر المجرم المنزل ويعتقل لدى وصوله الى المستشفى. وفي رواية ثانية يقتفي مكتب التحقيقات الاتحادي أثر المجرم من خلال بصمات أصابعه المقطوعة.

وثمة قصص مدينية غير مخيفة البتة، وهي أشبه بنكتة أو ملهاة. وهذه قصة اخترت لها عنوان "الوصية":

أمضى رجل يومه في السوق، ولم يجد مرحاضاً في أي من المحلات التي قصدها.

أخيراً دخل مؤسسة تعنى بدفن الموتى، فوجد فيها مرحاضاً. ولدى

خروجه مر بغرفة فيها تابوت مفتوح. ولم يرَ أحداً من أهل الفقيد.

واذ شعر بالذنب لدخوله المكان على هذا النحو، خطا داخل الغرفة ووقّع سجلّ المعزين. ولم تمضِ فترة وجيزة حتى تلقى اتصالا من محامٍ أخبره أن المتوفى، وهو رجل وافر الثراء، أوصى بتوزيع ثروته على الذين يحضرون جنازته. وكان هو الشخص الوحيد الذي حضر.

وسمعت حكاية أخرى من هذا النوع راجت في صيف ١٩٨٨:

ذات يوم هلعت امرأة لرؤية كلبها يعضّ أرنباً نافقاً. وكان جيرانها يربون أرنباً في قفص خلف منزلهم. فأدركت أن الارنب النافق هو أرنب الجيران. فعمدت الى تنظيفه وتجفيف فروته. ثم تسللت الى حديقة الجيران وأعادت الارنب الى القفص.

وفي اليوم التالي رأت سيارة شرطة متوقفة أمام منزل الجيران. واذ استبد بها الفضول خرجت تستفسر الامر. فأخبرها الشرطي: "جيرانك يتهمون مجهولا بازعاجهم. لقد نفق أرنبهم قبل أيام، واذا بمجهول ينتشله من تحت التراب ويعيده الى قفصه."

والجامعات مصدر غني بالقصص الشعبية العصرية:

أمضى طالب جامعي ليلته ساهراً وهو يعد لامتحان في الرياضيات، فاستغرق في النوم صبيحة اليوم التالي. ولما دخل قاعة الامتحان متأخراً رأى ثلاث معادلات مكتوبة على اللوح. فحلّ أول معادلتين بسرعة، غير أن الثالثة بدت مستحيلة. فعكف عليها بجهد حتى تمكن من حلها قبل عشر دقائق من انتهاء الوقت المحدد.

في تلك الليلة تلقى الطالب اتصالا هاتفياً من أستاذه الذي صرخ فيه: "هل تدرك ماذا فعلت اليوم؟"

ففكر الطالب: "يا الهي، لقد رسبت."

وأكمل الاستاذ حديثه: "كان يفترض بك أن تحل أول مسألتين فقط، أما الاخيرة فهي معادلة استعصت على علماء الرياضيات منذ أيام أينشتاين. لكنك أنت وجدت الحل!"

وتستند هذه الحكاية الى حادث حصل فعلا:

وصل جورج ب. دانتزيغ (الذي عرف لاحقاً بلقب "أبي البرمجة الطوليّة")* الى صف الاحصاء خلال سنته الاولى في جامعة كاليفورنيا في بيركلي. ورأى على اللوح مسألتين. واذ وصل متأخراً ظن أنهما أعطيتا فرضا، فنقلهما وسلم الحلول بعد أيام.

وفي صبيحة يوم أحد، بعد مضي ستة أسابيع، حضر الاستاذ الى منزل دانتزيغ ملوحاً بمخطوطة.

ما حصل هو أن الاستاذ كان كتب على اللوح نموذجين من المسائل التي لا حل لها. أما المخطوطة فكانت حلول دانتزيغ التي أعدت للنشر.

وهكذا، فحتى في حكايات المدن قد تكون الحقيقة أغرب من الخيال.

يان هارولد برونفند ■

(*) Linear programming

امتحنوا معلوماتكم الغذائية

لم يسبق أن كان الغربيون أكثر تعطشاً الى الاطلاع على حقائق الطعام والصحة. وفيما الابحاث الطبية اليوم تحوِّل عقائد الامس مغالطات، يعمد كثيرون الى تغيير أنظمتهم الغذائية.

فالى أي مدى تتجاوبون أنتم مع آخر الاكتشافات في حقل الحكمة الغذائية؟ اختبروا معلوماتكم بالاجابة عن الاسئلة الآتية:

س. الاطعمة المصنفة "خفيفة"[١] يجب أن تحتوي على نسب قليلة من:
(أ) الوحدات الحرارية. (ب) الدهون المشبعة. (ج) الكولسترول. (د) الصوديوم. (هـ) لا شيء مما سبق.

ج. لا شيء مما سبق. ففي غالبية المنتجات الغذائية يُسمح للمصنِّعين باعتماد هذه العبارة بالطريقة التي يرونها مناسبة. فلفظة "خفيف" المطبوعة على ملصق صنف من زيت الزيتون قد تعني المذاق لا المحتوى الدهني أو الوحدات الحرارية. وتصنيف "خفيف" ليس له مدلول الا في ما اختص بلحوم الماشية والدجاج. ففي أنظمة وزارة الزراعة الامريكية أن هذه الاطعمة يجب أن تحتوي على وحدات حرارية وصوديوم ومواد دهنية وكولسترول أقل بنسبة ٢٥ في المئة من مثيلاتها "غير الخفيفة"

(١) Light or lite

COPYRIGHT © 1990 BY CONSUMERS UNION OF UNITED STATES, INC., MOUNT VERNON, N.Y.
CONDENSED BY PERMISSION FROM CONSUMER REPORTS, MAY 1990

وينبغي أن تصنف على هذا الاساس.

س. النظام الغذائي الامـريكي النموذجي يفتقر الى:
(أ) البروتيين. (ب) الكربوهيدرات.
(ج) الدهون. (د) لا شيء مما سبق.

ج. انه لا يفتقر الى أي من هذه المواد. فالامـريكيون في المتـوسط يستهلكون البروتيين بنسبة ٤٠ في المئة أكثر من حاجة الجسم. والكمية الموصى بها يومياً للبالغين هي ٦٣ غراماً للرجال و٥٠ غراماً للنساء (الحوامل والمرضعات يحتجن الى كمية أكبر). وتحوي قطعة "همبرغر" من اللحم الهبر زنة ١٠٠ غرام نحو ٢٥ غراماً من البروتيين.

وفي تقرير نشرة "مجلس الابحاث الوطني" عام ١٩٨٩ يُحضّ الامريكيون على تناول مزيد من الاطعمة التي تحتوي على كربوهيدرات مركبة (فاكهة وخضر وحبوب) وخفض الدهون والبروتيين.

س. أيهما أغنى بالوحدات الحرارية؟
(أ) الدهن المشبع. (ب) الدهن غير المشبع. (ج) كلاهما متعادلان.

ج. انهما متعادلان. يمكن تصنيف المواد الدهنية "مشبعة" أو "غير مشبعة"[٢] تبعاً لحالتها في حرارة الغرفة العادية، فهي "مشبعة" اذا كانت جامدة و"غير مشبعة" اذا كانت سائلة. وللمواد الدهنية دور مهم في تزويد الجسم طاقة مكثفة، وهي تحتوي على تسع وحدات حرارية في الغرام الواحد. أما البروتيين والكربوهيدرات فتحتوي على أربـع وحدات حرارية فقط في الغرام.

س. هل صحيح أن النساء يحتجن الى كمية الحديد ذاتها التي يحتاج اليها الرجال يومياً؟

ج. خطأ. الكمية الموصى بها يومياً هي عشرة مليغرامات للرجال و١٥ مليغراماً للنساء والفتيات البالغات. وعلى الحوامل الحرص على تناول كمية كافية من الحديد، وقد رُفعت الكمية التي يجب أن يتناولنها يومياً الى ٣٠ مليغراماً. ومن مصادر الحديد لحم البقر وبعض أنواع الاسماك والمحار واللـوبياء والخبـز والحبوب والرقائق الحبوبية (فليكس) التي أضيفت اليها الفيتامينات والمعادن.

س. أي من هذه المواد يحتوي على معدلات مرتفعة من الالياف غير القابلة للذوبان؟
(أ) نخالة القمح. (ب) دقيق الشوفان.
(ج) كلاهما. (د) كلاهما خاليان منها.

ج. نخالة القمح. تشكل الالياف أكثر من ٤٠ في المئة من الغلاف الخارجي لحبة القمح، وهي في غالبيتها غير قابلة للذوبان. أما دقيق الشوفان فمصدر جيد للالياف القابلة للذوبان.

(٢) Saturated or unsaturated

ما هو الفرق بينهما؟ الالياف غير القابلة للذوبان تزيد حجم محتويات الامعاء فتحول دون حصول امساك وقد تبعد خطر الاصابة بسرطان القولون. أما الالياف القابلة للذوبان فتزيد حجم محتويات المعدة فيشعر متبعو أنظمة الحمية بالشبع، وهي قد تساعد في تخفيف نسبة كولسترول المصل.[٣]

ويتناول معظم الامريكيين نصف الحصة اليومية التي تراوح بين ٢٠ و٣٠ غراماً من الالياف والتي أوصى بها "المعهد الوطني للسرطان." وتناول كوب من بعض الرقائق الحبوبية يؤمِّن ١٠ غرامات. وهناك مصادر أخرى جيدة كالفاكهة والخضر وخصوصاً الخوخ والفول.

س. أي من هذه المكملات الغذائية أكثر فاعلية؟

(أ) الفيتامينات الطبيعية. (ب) الفيتامينات الاصطناعية. (ج) للنوعين فاعلية متساوية.

ج. للنوعين فاعلية متساوية. فأيا يكن مصدر الفيتامين، أكان مختبراً أم مصدراً طبيعياً، فالمادة متشابهة كيميائياً ولها الوظيفة ذاتها في الجسم.

وغالبية الناس الذين يأكلون أطعمة متنوعة لا يحتاجون الى فيتامينات مكملة. والامراض الناتجة من نقص في الفيتامينات، ككساح الاطفال والحصاف والحَفَر والبريبيري، لم تعد مستشرية في أيامنا. أما الأمراض المتعلقة بالتغذية والشائعة اليوم فهي على الارجح أمراض ناتجة من زيادة في الفيتامينات.

س. اذا صنفت سلعة على أنها "خالية من الكولسترول"، فماذا يفترض أن يكون مستوى الدهن المشبع فيها؟

(أ) منخفضاً. (ب) مرتفعاً. (ج) منخفضاً او مرتفعاً.

ج. قد يكون منخفضاً وقد يكون مرتفعاً. فمعرفة كمية الكولسترول في الطعام لا تفيدنا شيئاً عن الدهن المشبع فيه.

وثمة ترابط بين ارتفاع مستوى الكولسترول في الدم وازدياد خطر الاصابة بأمراض القلب التاجية. غير أن معدل الكولسترول في الدم مرتبط بكمية الدهن المشبع التي يستهلكها المرء أكثر مما هو مرتبط بكمية الكولسترول المستهلكة. لذا فان خفض استهلاك الاطعمة الغنية بالدهون المشبعة هو أكثر فاعلية في هذا المجال من تجنب الاطعمة التي تحوي نسبة مرتفعة من الكولسترول.

س. أي من العلاجات الآتية ينبغي للنساء اللواتي تراوح أعمارهن بين العشرين والثلاثين اتباعها لتفادي مرض تخلخل العظام؟

(أ) زيادة استهلاك الكلسيوم. (ب) ممارسة تمارين رياضية باعتدال. (ج)

(٣) Serum cholesterol

زيادة استهلاك البروتيين. (د) وقف التدخين.

ج. الاجوبة الصحيحة هي (أ) و(ب) و(ج). ومن شأن اتباع نظام غذائي غني بالبروتيين أن يزيد الحال سوءاً اذ قد يزيد كمية الكلسيوم التي يفرزها الجسم.

وقد أفادت تقارير عن الحمية أن الاستهلاك اليومي للكلسيوم عند الفتيات المراهقات ينخفض الى ثلثي الكمية الموصى بها للاشخاص الذين تراوح أعمارهم بين ١١ و٢٥ عاماً، وهي ١٢٠٠ مليغرام يومياً. كما أن نساء كثيرات يستهلكن أقل من الكمية الموصى بها لهن وهي ٨٠٠ مليغرام.

الحليب واللبن مصدران جيدان للكلسيوم، كذلك الكرنب والسردين .

س. ما هي الوسائل الفاعلة لخفض ضغط الدم؟

(أ) خفض الصوديوم. (ب) تخفيف الوزن. (ج) تخفيف الكافيين. (د) وقف التدخين. (هـ) خفض تناول المشروبات.

ج. تخفيف الوزن وخفض الصوديوم والمشروبات. ويستهلك معظم الناس الصوديوم من دون أن يتعرضوا لتأثيرات جانبية. غير أن تناول كمية أقل من الملح يؤدي الى تحسن صحة نصف المصابين بارتفاع في ضغط الدم. أما تخفيف الكافيين ووقف التدخين فلا يخفضان ضغط الدم. غير أن التدخين وارتفاع ضغط الدم يشكلان تآلفاً خطراً.

هذا امتحان صعب قد لا تنالون عليه علامات ممتازة. لكن المهم أنكم تدركون الآن كيف تميزون بين الحقائق والاوهام في حقل الغذاء.

منشورات "كونسيومر ريبورتس" ■

حاكم شاب

ايفان بايه حاكم ولاية انديانا في الخامسة والثلاثين من العمر وهو أصغر الحكام في الولايات المتحدة. اقام حفلة استقبال في مارس (أذار) ١٩٩٠ فبان له خلالها أنه ليس معروفاً جيداً في الاوساط السياسية.

فلدى استقباله الضيوف على باب الحاكمية اعتقد بعض كبار المدعوين أنه موظف صغير هناك، فناولوه معاطفهم لتعليقها. وكم كانت دهشتهم عظيمة حين رأوه يعتلي المنصة ويلقي الخطاب الرسمي.

و.ك.

اذا كانت نظرية النشوء صحيحة، فلماذا لا تزال للأمهات يدان فقط؟

إ.د.

روايات المثيرة
تصور حياة الجاسوسية
بمخاطرها وأوهامها
ومثالياتها. وميزته أنه
عاش هذه الحياة

جون لوكاريه جاسوس حقيقي

رجل في اهابه أربعة: زاهد متنسك، ونجم ذو ألق في المجتمع، وفنان جاد، ومؤلف كتب بالغة الرواج. ثنائي الشخصية، ظاهر التناقض، عميل مزدوج موّار بالأسرار والمفاجآت. وله اسمان: ديفيد كورنويل كنيته يوم مولده وما زال بها يعرف، وجون لو كاريه الاسم الذي اختلقه مزيناً أغلفة رواياته ومن بينها "السمكري والخياط والجندي والجاسوس" و"جماعة سمايلي" و"ضاربة الطبل الصغيرة" و"الجاسوس الامثل."[١]

ماذا يفعل امرؤ كهذا بتناقضاته؟ انه يشق بها دربه في الحياة.

(١) Tinker, Tailor, Soldier, Spy; Smiley's People; The Little Drummer Girl; A Perfect Spy

© 1989 BY STEPHEN SCHIFF. CONDENSED FROM VANITY FAIR (JUNE '89), NEW YORK, N.Y.
PHOTO: © T. O'NEILL / SYGMA

نحن على وشك إتمام الغداء في المطبخ الريفي الزاهي في بيته القائم عند رأس جرف صخري في كورنوال ببريطانيا. تغشاه فورة للنهوض والسير قبل أن يدفعه حسن الأدب الى اقتراح القيام بنزهة. يسترق نظرة عجلى من الشباك، ولسانه لا يفتر عن الحديث عن رحلته الى الاتحاد السوفييتي جامعاً المعلومات لروايته الجديدة "البيت الروسي." وتحوي هذه الرواية تخيلات عن عملية جاسوسية في عصر الغلاسنوست (الشفافية) والبيريسترويكا (إعادة البناء) وفيها تقصّ للحوادث التي قد تقع اذا وجد جاسوس بريطاني في روسيا ما وجده كورنويل هناك، فهو وقع في هوى البلاد.

يرفع يده ويمسك ناصيته البيضاء الكثة ويعتصر شعره وكأنما ثمة فكرة حبيسة ينتزعها. يقول: "في رأيي أن روح القناعة والتضحية في الاتحاد السوفييتي تمخضت عن انسان أفضل وأخوّة أقرب وحياة تفيض بالمحبة، أكثر مما لدينا نحن خارج تلك البلاد."

الأخوّة التي يستسيغها كورنويل لدى الروس هي التساهل الذي قلما يسمح به لنفسه حتى عندما يجدّ في طلب بحوثه. يقول: "أسافر وحدي، فالارتحال هكذا أسرع، ويتيح للمرء أن يندمج وآخرين من دون انتقادات يبديها من هو في صحبته."

إنه رجل سعيد في زواجه ولديه أربعة أبناء، ثلاثة منهم من زواج سابق، ومن حوله رفاق خُلّص. وعلى رغم ذلك كله أصبح التوحّد ديدنه. يعبّر عن ذلك صديقه الكاتب ميشال هير: "ديفيد في قرارته جاسوس، انه مراقب أمثل وجمّاعة للمعلومات."

كورنويل مستمع شره يثير العجب. يهوى مؤانسة خلّانه برواية القصص دونما كلل. وأكبر الألاعيب في جعبته موهبته في المحاكاة الساخرة. يقول صاحبه السر آليك غينيس الذي يمثل تلفزيونياً دور "جورج سمايلي" شخصية الجاسوس التي ابتكرها كورنويل: "كورنويل ممثل بالسليقة، ومحاكاته صنوف الناس جيدة جداً." وأذنه السمّاعة تلتقط ما يعينه على المحاكاة، وهي ذات أثر في أدبه تمنحه سعة في الاحاطة بموضوعه على غرار الروائي البريطاني الأشهر تشارلز ديكنز.

قال لي كورنويل ونحن في أول مشينا على الصخور: "الناس هاهنا يعرفون أني كاتب، لكنهم لا يعدّون ما أفعله عملاً." إنه كَلِف بالمشي، ويملك قطعة أرض ساحلية تتلاعب بها الريح، يهنأ بالسير في أرجائها. وقد وضع يده وزوجته على ثلاثة أكواخ للمزارعين ترقى الى القرن التاسع عشر، وزيناها بأرائك وثيرة ولوحات لفنانين من كورنوال. وله مسكن آخر متعرش في لندن لا يقصده إلا "لشحن بطاريات ابداعي."

في اثر كل مهمة لندنية ينسل سريعاً الى سواحل كورنوال ويكب على العمل حتى ينضب معينه. "أكتب في الفجر

الباكر، وأتمشى بعد الظهر، ثم أنقّح في العشية ما سطرته صُبحاً، وأخلد الى الفراش منشغل البال بكتابي الذي أؤلف، فأرخي لذهني العنان ليستمر في شغله."

كورنويل، باختصار، انسان ثابت العزم يسخر قلمه ونفسه في خدمة فنه. زوجته جين، وقد مضى على زواجهما ١٨ عاماً، تطبع ما يسطر على الآلة الكاتبة، اذ انه يكتب بقلم حبر ولم يُجِد الطبع على الآلة الكاتبة قط. كما أنها تدير أعماله وتقرأ نسخته الاصلية وتصون عزلته.

جاسوس حقيقي. سطوع نجم كورنويل بغتة حمله على الانكفاء. حدث الامر عام ١٩٦٣، وهو في الحادية والثلاثين، موظف غير متمرس في وزارة الخارجية. وكان سطر حتى ذلك التاريخ روايتين هما "ندهة للموتى" (١٩٦١) و"جريمة قتل مميزة"[٢] (١٩٦٢) لم تلقيا صدى، فاتجه الى العمل في ألمانيا، وألفى نفسه هناك في فاتحة حقبة تاريخية جديدة يصفها بالآتي: "أسلاك شائكة ترتفع. جدار برلين. الناس تقتاد من بيوتها. واثبون من الشبابيك. إطلاق نار. ما ذقت النوم لثلاث ليال أو أربع. وجرفتني الدوّامة التي قد تأسر الانسان في تلك السن، فانتابني السهد وتجرعت الغصص، فذهلت عن الطعام والنوم والحلاقة. آنذاك يكون المرء متوقداً، مولعاً أشد الولع، قادراً على النهوض بأي عمل. فكان أن خطرت لي فكرة قصة عن مهرّب يسعى الى اخراج عميله من الشرق. كتبت القصة في خمسة أسابيع، وكنت على يقين من جودتها. وبعثت إلى محاسبي برسالة مرفقة بالقصة أقول له فيها: ان كانت القصة تستحق ٢٠ ألف جنيه استرليني فليرسل الي برقية بذلك فأستقيل من وظيفتي في وزارة الخارجية. واتصل بي المحاسب بعد ستة اسابيع وأبلغني أن في وسعي أن أتقاعد."

تقاعدت نهائياً. وعنونت الكتاب "الجاسوس الآتي من الصقيع"[٣] فأحدث انقلاباً في ذلك الضرب من الروايات، وعلق عليه الكاتب الشهير غراهام غرين: "إنها أفضل رواية جاسوسية قرأتها في حياتي." وقد تبوأ مكاناً على قائمة صحيفة "نيويورك تايمز" لأروج الكتب مبيعاً طوال ١٢ شهراً.

لكن زواجه لم يفسح مجالا لنمو موهبته التي تدر المال والشهرة. "رأت زوجتي الأولى أن نشاطي الكتابي يتم على حساب حياتي العائلية. ما في ذلك ريب، وأضيف أنه يتم على حساب كل الأمور الاخرى، فالكتابة تأتي في المقام الأول. وأسوأ ما في الأمر اني أضمرت سرين لم أستطع افشاءهما اطلاقاً."

السر الأول أنه كان جاسوساً حقاً. وقد اتصلت به بادىء الأمر شعبة الاستخبارات البريطانية وهو في سني المراهقة. كما عمل في جهاز الاستخبارات التابع لجيش الاحتلال البريطاني في النمسا. وحافظ على

(٢) Call for the Dead; A Murder of Quality
(٣) The Spy Who Came in from the Cold

اتصالاته مع الاستخبارات خلال دراسته اللغات المعاصرة في جامعة أوكسفورد التي تخرج فيها بامتياز عام ١٩٥٦.

وفي أوكسفورد التقى زوجته الأولى آن. وبعد زواجه عمل في تدريس اللغات في مدرسة "إيتون" الرسمية الذائعة الصيت في بريطانيا. وألف آنذاك كتاباً للاطفال رفضه الناشرون. وسرعان ما ترك ايتون ليعود الى الاستخبارات، الشعبة "م ١٥" أولا ومن ثم الشعبة "م ١٦."

اسم "حَرَكي." ذهل كورنويل لما وقع عليه من فوضى وأجواء ريب تكتنف دنيا الجاسوسية الملأى بالاسرار. وألفى نفسه بعيداً جداً عن السيارات السبور المدججة بالأسلحة والشقراوات المتبرجات بالذهب والجواهر كما يوهم الانطباع السائد بين العامة، بل هو جندي في جحفل من موظفين يتخبطون. ومع انه لم يتسلل قط الى حدود الاعداء، إلا أنه لقِن "الفنون السوداء" كالقتل المكتوم وألعاب الكاراتيه. ووظف عملاء في مراتب دنيا وأدارهم. وعكف في غضون ذلك على الكتابة في القطار متوجهاً في الصباح الباكر الى عمله. واذ يحظر على أي موظف في الاستخبارات أن يكتب باسمه الحقيقي، فقد انتحل كورنويل اسم "جون لو كاريه." ويقول في ذلك: "ظننت أن اسماً بثلاث كلمات فيه "جون" يعطي زخماً. انها عملية خداع."

ويصر كورنويل على أنه ليس اختصاصيا خبيراً بشؤون التجسس الدولي المعاصر، وهذه مدعاة اعجاب أكبر بانجازه. واصطلاح "متاهة المرايا"[٤] الذي أبدعه بحدسه النامي من خلال سني عمله في الجاسوسية يصف دنيا تحكمها قوانين فيزيائية وأخلاقية لها اصطلاحات خاصة انتقلت عدواها الى مؤلفات أخرى: مثل "العميل المزروع" و"أفخاخ العسل."[٥] وما اليها وهذه الاصطلاحات دخلت التراث الادبي العالمي.

وأهم من ذلك أن كورنويل تعلم كيف يفكر كشبح، وأصبح على دراية بتحليل الأمور، ظاهرها وباطنها، مما أضفى تشابكاً على حبكة رواياته: كيف تخدع الذين يعلمون أنك تسعى الى خداعهم وهم على علم بأنك تعلم أنهم يعلمون؟ وهكذا.

ولكن ما مبلغ دقة تصوير كورنويل للتجسس المعاصر؟

يقول فيليب نايتلي آخر صحافي غربي قابل الجاسوس الشهير كيم فيلبي قبل وفاته في موسكو عام ١٩٨٨: "لقد قرأ فيلبي جميع كتب لو كاريه، واستمتع بما قرأ وصولا الى رواية "التلميذ المحترم"[٦] عام ١٩٧٧. بعدها أصبحت رواياته فجأة أكثر تشابكاً من أي عملية استخبارات شارك فيها فيلبي."

لا أب ولا أم. السر الكبير الآخر الذي

(٤) Wilderness of mirrors

(٥) Mole; honey traps

(٦) The Honourable Schoolboy

قارعه كورنويل طوال حياته هو أبوه رونالد كورنويل. إنه محتال كذاب خفيف الروح، ولصّ تركت أعماله الطائشة اختلاطاً وآلاماً لا تزال تعكّر حياة كورنويل الابن على رغم وفاة الاب قبل ١٤ عاماً.

بعد ولادة ديفيد عام ١٩٣١ بسنوات قلائل، نسج والده مظاهر الثراء حوله، وكانت سراباً خادعاً. وعندما بلغ ديفيد السادسة سجن ابوه لأعمال غش واحتيال اقترفها. وهجرت أمه بيت الزوجية بعد مدة قصيرة، ولم تتصل بابنها قط الا بعدما بلغ العشرين من عمره. وتولى رونالد رعاية ديفيد وأخيه الأكبر على تقطع. وعلى رغم السيارات المؤنقة والبيوت الفخمة ومغازلة النبيلات، سرعان ما تبين للولدين أن أباهما يعيش في وهم كبير. وهو أرسل ولديه المراهقين ذات يوم إلى باريس لاستعادة هراوات غولف من فندق "جورج الخامس" الفخم، فوجداها محجوزة "ضماناً لفاتورته غير المدفوعة."

لقد تدبر رونالد أمره على نحو ما، فحصل على أرتال من السيارات وعدد لا يحصى من الشركات المزيفة والمكاتب الفسيحة، وله ذكر في سجلات الشرطة في عواصم نائية مثل سنغافورة وجاكارتا. وشب ديفيد معتاداً تلفيق الاكاذيب عن أمكنة وجود والده واختلاق الاعذار مبرراً تقصير أبيه عن سداد أقساط المدارس. فأصبح سيداً في مملكة الاسرار، وعميلا بالفطرة، وجاسوساً أمثل.

وعندما أبدل كورنويل اسمه بـ"جون لو كاريه" الشهير، برز أبوه في كل مكان مطلقاً على نفسه اسم "رون لو كاريه." ووعد شركة سينمائية في برلين بحقوق تصوير آخر كتب ابنه. وبلغ به الأمر أحياناً حد الزعم أنه هو المؤلف الشهير.

جرّب ديفيد أن يكتب عن أبيه. واذ أخفق في ذلك أترع رواياته بآباء أكثر أهلية، وأعجبهم "جورج سمايلي" السمين الدمث والجاسوس الأحذق والاقوى في بريطانيا. ومرَّ حين ظن فيه كورنويل أن ليس في وسعه أبداً أن يؤلف كتاباً آخر لا يتضمن شخصية سمايلي. لكن أداء آليك غينيس في الاقتباس التلفزيوني لروايتي "السمكري والخياط والجندي والجاسوس" و"جماعة سمايلي" قلب المعطيات. يقول كورنويل بحسرة: "لبس غينيس الدور. وظل صوته يرن في أذني، وهو ليس صوت سمايلي. كنت أخطّ نبرات غينيس وأسلوب غينيس في الكلام". ثم تخلى كورنويل عن سمايلي كلياً في روايته "ضاربة الطبل الصغيرة" مما أفسح المجال لرائعته "الجاسوس الأمثل."

وصوَّر كورنويل نشأته وتجنيده في عالم الاسرار، فابتكر "ريك بيم" وهو شخصية أبوية محببة وسافلة في آن. وفي الرواية المثيرة "الجاسوس الأمثل" وصف ينفذ الى الاعماق للروابط بين الحب والخيانة.

ماذا يحدث بعد فراغ المرء من خط رائعة كانت تجيش داخله مذ أعمل قلمه في الورق؟

يجيب كورنويل: "المعافاة من الادمان تطهير للنفس لا يضارع. لقد شعرت بأني لامست قصاراي في "الجاسوس الامثل" فبدا مهماً أن أكشف احدى اوراقي كي أحافظ على طاقتي. فسطرت رواية "البيت الروسي"، وقد استمتعت بكتابتها حقاً."

ويتراءى في "البيت الروسي" النمط المعهود لدى لو كاريه: رجل عادي يُستمال الى الجاسوسية. يرسم له أسياده عملية، وخلال تأديتها تتكشف خصاله التي أغضوا عنها فتطغى على العملية وعلى الجاسوس نفسه في النهاية.

يقول كورنويل: "تجتاحني الغبطة الآن، فأشعر بأني عثرت على صوتي المتفرد كمغن، وأعرف أني أضرب على الاوتار الصحيحة التي أريد."

ويضيف كلاماً مستغرَباً صدوره عن أنجح الكتاب: "في ظني أني أعرف طريقة الكتابة الآن. وأعتقد حقاً أن فترة تدربي انتهت الى غير رجعة."

ستيفن شيف ■

الدب المدلل

دخل رجل محلا لبيع الحيوانات المدللة وقال: "اريد ان اشتري حيواناً مدلّلا لا يملك مثله سواي."

فولجت صاحبة المحل غرفة خلفية وجاءته بدب قطبي قائلة: "اليك هذا."

لكنها حذرته: "تذكَّر امراً واحداً، لا تلمس انفه ابداً."

فاشتراه الرجل وذهب به الى بيته.

وذات يوم غلب عليه الفضول فربَّت أنف الدب بلطف. فاهتاج هذا وزمجر وهجم، فراح الرجل يدور في البيت مذعوراً. واستند اخيراً الى جدار وصاح مستغيثاً: "أرجوك، لا تأكلني!"

فرفع الدب كفاً جبارة وربّت انف الرجل برفق وقال: "الآن دورك، إلقطني!"

ك.ا.

بقشيش للمدير

عرفتُ دائماً انني أدفع اكراميات (بقشيشاً) بسخاء. لكني لم أدرك مبلغ سخائي الى أن دعاني مديري الى مكتبه مرة، وكنت قدمت يومذاك فاتورة غداء عمل. فرفع المدير نظره عن الفاتورة وقال لي: "في المرة المقبلة حين تدعو أحد زبائن الشركة الى تناول الغداء، اريد أن اخدم على مائدتكما."

د.ن.

لا تدعوا الكآبة تدمر حياتكم

"تتغذى الكآبة بالجمود، والحركة عدوها الطبيعي

د. ديفيد برنز

لطالما اعتبرت الكآبة مرضاً يصيب المرء في متوسط عمره وفي شيخوخته. لكن الاطباء يتحدثون الآن عن موجة عارمة مذهلة من حالات الكآبة بين الشباب.

لماذا تصيب الكآبة ناس هذه الايام في مرحلة أبكر وعلى نطاق أوسع؟

لا أحد يعلم السبب الاكيد. لكن الدكتور روبرت هيرشفيلد رئيس فرع دراسات المزاج والقلق واضطرابات الشخصية في "المعهد الوطني للصحة العقلية" في الولايات المتحدة، يرجع السبب الى التغيرات الاجتماعية الهائلة التي حصلت في السنوات العشرين الفائتة، كالتحول في أدوار النساء والرجال وتدفق النساء الى العمل وشيوع الانتقال الجغرافي الذي يباعد بين الناس ويحرمهم حنان عائلاتهم وتشجيع أصدقائهم.

ويحذر الخبراء من أن "الكآبة السريرية"[1] قد تكون شديدة الخطورة وتتطلب عناية طبيب أو عالم نفساني مدرب على معالجة هذا الاضطراب. فاذا بقي مزاجكم العكر مسيطراً عليكم يوماً بعد يوم وأسبوعاً بعد أسبوع أو تحوّل كآبة واضحة فعليكم بمراجعة طبيب.

ولكن يمكنكم أيضاً أن تساعدوا

(١) Clinical depression

أنفسكم. واليكم بعض الاقتراحات الصادرة عن مراجع رائدة في هذا المجال:

١. **قوموا بعمل بناء**. يقول ديفيد برنز وهو طبيب نفساني في "المركز الطبي المشيخي" في فيلادلفيا: "تتغذى الكآبة بالجمود، والحركة عدوها الطبيعي." فكلما تكاسلتم زادت رغبتكم في الكسل. ولمحاربة الجمود ينصح برنز بتدوين برنامج عمل يومي من الصباح الى المساء. دوِّنوا كل شيء بما فيه أوقات الاستحمام ووجبات الطعام. لانكم اذا كنتم تعانون الكآبة حقاً فستبدو المهمات الصغيرة كبيرة في نظركم. جزِّئوا النشاطات المعقدة الى خطوات صغيرة منفصلة، فتبدو لكم أكثر قابلية للحل.

وإذا تبين لكم أن تحضير برنامج اليوم مشروع مستحيل، تشجعوا بنظرية الدكتور برنز التي تقر بوجوب تقدم الحركة على الحافز أحياناً. وهذا يعني أن عليكم ألا تتوقعوا الشعور بدافع الى الحركة لكي تتحركوا، لانكم اذا بقيتم فريسة الكآبة فلن تشعروا أبداً بدافع الى الحركة. وعوضاً عن ذلك عليكم أن تعدوا العدة وتخطوا الخطوة الاولى وإن كنتم في حال نفسية غير ملائمة.

٢. **مدوا يد العون**. يزداد ايمان الاطباء بجدوى مبدأ "حُب الآخرين" كوسيلة ناجعة للتوصل الى صحة أفضل. ومن شأن العمل الطوعي والخدمة الاجتماعية وغيرهما من التصرفات الودية – كالتبضع لأحد العجزة مثلا – أن تعطي نتائج علاجية. يقول فلورنس برت الذي يشرف على متطوعين في مدينة نيويورك: "تجد أنك تملك الحنو والتفهم، فتقول لنفسك: أستطيع أن أفعل شيئاً، فأنا لست نكرة." والى ذلك فان الوحدة والابتعاد عن الناس سبب رئيس للكآبة.

٣. **أدرجوا الفرح في جدول أعمالكم**. كثير من الاشخاص المصابين بالكآبة يتخلون عن التسليات التي تمنحهم متعة مما يزيد الامور تعقيداً. لتغيير نمط حياتكم ضمِّنوا برنامجكم اليومي نشاطات مبهجة. ركزوا على التفاعل الاجتماعي وخصوصا اللقاءات مع الاصدقاء والمشاريع التي تشعركم بكفاياتكم – كأن تبرعوا في مهارة جديدة – وأحداث ممتعة كتناول الطعام خارجا أو الذهاب الى السينما.

حاولوا الابتسام أيضاً. يقول جايمس د. ليرد الطبيب النفساني في جامعة كلارك بولاية مساتشوستس: "أظهرت الدراسات الواسعة أن تصرفنا يقولب عواطفنا." ان كنتم تشعرون بالقنوط فلا تجروا أرجلكم بل سيروا بنشاط. لا تجلسوا مترهلين بل منتصبين. لا تعبسوا بل ابتسموا. فالمحاولة وحدها قد تنقلكم الى مزاج جيد. يقول ليرد: "التعابير والاوضاع والحركات التي تنم عن الفرح تشعركم بالسعادة."

٤. مارسوا الرياضة بانتظام. شارون امرأة متزوجة وأم لطفلين، تمارس رياضة الجري بانتظام لتحارب الكآبة، وهي تقول: "إذا ركضت فاني أشعر بتحسن لمجرد أني أنجز أمراً ما. ومهما يكن بؤسي كبيراً قبل الجري فانه يزول بعده وأشعر بالتحسن."

يعتقد العلماء أن التمارين الحيهوائية (ايروبيك) كالمشي والجري والسباحة وركوب الدراجة، تعزز الثقة بالنفس وتزيد الاحساس بالعافية وتقوي العزيمة. وهي اذ تساعد المرء على الاسترخاء تخفف من التوتر الذي يساهم في الكآبة.

٥. زيدوا نهاركم اشراقاً. أنجيلا كاتبة ناجحة حرصت على سكنى الاماكن المشرقة. وذات شتاء اضطرت الى العمل في منطقة غائمة كالحة على الدوام. فطغى عليها الكسل ولم تستطع انجاز مشروع كتاب. وكانت أنجيلا تعاني اضطراباً عاطفياً موسمياً[٢] هو كآبة ناتجة من حساسية تجاه الضوء يتزامن فيها هبوط المزاج مع أشهر الشتاء المظلمة.

وقد أظهرت الابحاث أن التعرض للضوء، سواء أكان من الشمس أم من وسائل اصطناعية، يساعد في الشفاء من هذه الكآبة الموسمية التي تصيب قلة من الناس. وكشف اختصاصيون أمثال الطبيب النفساني نورمن روزنتال، أن اجهزة ضوئية ساطعة خاصة قد تكون مفيدة، لكنها يجب أن تستعمل في اشراف طبي.

ويمكنكم أن تدخلوا مزيداً من الضوء الى منزلكم بإحلال جو أكثر اشراقاً داخله. وباختياركم نشاطاً خارجياً تمارسونه خلال النهار، كالمشي أو الجري، تحصلون على ضوء طبيعي خلال فترة معينة يومياً.

ولكن قبل أن تنصرفوا الى المعالجة الذاتية لما ترتابون في أنه كآبة طفيفة، اخضعوا لفحص طبي للتأكد من أن صحتكم جيدة. ثم ضعوا هدفاً تحققونه خلال أسبوعين. اذا لم تشعروا بتحسن في نهاية هذه المدة، أو اذا شعرتم بأنكم أسوأ حالا، استشيروا طبيباً. وأبقوا نصب عيونكم كلام الدكتور برنز: "ان قراركم مساعدة أنفسكم هو مفتاح شعوركم بالتحسن."

وليم توماس باكلي ■

(٢) Seasonal affective disorder

غسالة النقود

عدم كفاية طلاب الجامعات في غسل ملابسهم امر شائع ويثير كثيراً من المزاح والنكات. ولقد حظيت بطرفة جديدة مختلفة طالعتني بها زميلة في السنة الاولى. فبعدما وضعت الثياب بعناية في غسالة الاجرة وأضافت الصابون، سألتني وفي يدها قطع نقد معدنية: "هل أرمي هذه القطع في الغسالة؟"

ل.و.

دائرة المعارف

في العربية أفعال جاءت على لفظ ما لم يُسَمَّ فاعلُه. فيقال، مثلا، تُوُفِّيَ الرجلُ أي توفاه الله، وثُكِلت المرأة وزُلزِلت الارض وكُسِفت الشمس وعُقِرت الناقة وقُضّ مضجَعُ فلان.

وهنا افعال من هذه. وقد وُضع امام كل منها اربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **عُنِي بالامر**: قاساه – عجز عنه – أخفاه – اهتمّ به.

٢. **أُرْعِدَ**: أخذه الاضطراب – صرخ – مات – أُنذر.

٣. **هُزِل**: احتُقِر – صار ضعيفاً ناحلا – ضحك – افتقر.

٤. **شُغِف به**: أسرَّ اليه – غضب عليه – أُولع به – انتقم منه.

٥. **أُرْتِج عليِ الخطيب**: قُوطِع – بُحَّ صوته – صُفِق له – استغلق عليه الكلام.

٦. **عُقِمت المرأة**: كانت لا تلد – أُسكتت – ضُربت – طُلِّقت.

٧. **أُسْقِط في يده**: قُتِل – أخطأ وندم نسي – أنعِم عليه.

٨. **طُلَّ دمُه**: نزف – أُهدِر دمه – غضب. أسقمه الحزن.

٩. **غُشي عليه**: تجاهل – عمي – فقد الحس والحركة – خُدِع.

١٠. **نُتِجت الناقة**: وَلَدت – ذُبحت – زُجرت – شُرِبَت.

١١. **سُوِّس فلَان أمرَ القوم**: أُدخِل بينهم – أفشى أسرارهم – صاهرهم – مُلِّك عليهم.

١٢. **شُغِل عنه**: خانه – التهى عنه – فكّر فيه – أبعده.

١٣. **وُكِس التاجر**: غُش – ربح – خسر – عوقب.

١٤. **امتُقِع**: أُهين – تشرَّب ماء – أُخِّر – تغيَّر لونه.

١٥. **زُهِي**: تألق – طُعِن – فقد عقله – تاه وتكبَّر.

١٦. **نُفِست المرأة**: ولدت – أسقطت جنينها – حبلت – مرضت.

١٧. **شُدِه**: أُرغم – خُدش وجهه – دُهش – شُدَّ برفق.

١٨. **فُلِج**: صار بدينا – أصيب بالفالج – بَرَد – سُرَّ.

١٩. **زُكِم**: حُشر – ضُرب على أنفه – أُحرِج – أصابه الزكام.

٢٠. **نُخِي**: امتلأ نخوة – هُزَّ – ذلَّ وهان – طأطأ رأسه.

٢١. **نُكِب**: حمل مشقَّة – استُغِلَ – أصابته نكبة – رجع.

٢٢. **أُهِلّ الهلال**: انتُظِر – غاب – ظهر – كُسِف.

٢٣. **شُهِر**: ارتفع – ذُكِر وعُرِف – أقام شهراً – بان غضبه.

٢٤. **بُهِت**: دُهش وسكت متحيراً – كذب – خجل – عمي.

٢٥. **بُرَّ حَجُّكَ**: سَهُل – تأخر – تحقق – قُبل.

الأجوبة الصحيحة

١. **غَنِيَ بالامر**: اشتغل واهتمّ به وأصابته مشقة بسببه، فهو عانٍ وعَنٍ.
٢. **أُرْعِدَ**: أخذته الرعدة وهي الاضطراب يكون من الفزع وغيره. ويقال أيضاً "أُرعدتْ فرائصُه." أرْعَدَ الرجلُ: أصابه رعد أو سمع الرعد.
٣. **هُزِل الفتى**: صار مهزولا أي ضعيفاً ناحلا.
٤. **شُغف به**: أولع به وسُرَّ.
٥. **أرْتِجَ على الخطيب**: استغلق عليه الكلام. أرْتَجَ الباب: أغلقه.
٦. **عُقِمَت المرأةُ او الرحمُ**: كانت عقيماً أي لا تقبل الولد ولا تلد.
٧. **سُقِط في يده واُسْقِط**: زلّ وأخطأ. أيضاً: ندم، تحيَّر.
٨. **طُلَّ دمُه**: أُهدِر أو لم يُثأر له، فهو طَليل ومطلول.
٩. **غُشِي عليه**: ألمَّ به ما غشّى فهمه وأفقده الحس والحركة، فهو مغشيّ عليه. ويقال أيضاً: أغمي على المريض.
١٠. **نُتِجَت البهيمة ولداً**: وضعته وولدته. والنتاج اسم لما تضعه البهائم، فيقال "بالناقة نتاج" أي حمل.
١١. **سُوِّس فلانٌ أمرَ القوم**: مُلِّك عليهم وملك أمرهم. ساسَ الأمرَ: قام به، فهو سائس.
١٢. **شُغِل عنه بكذا**: التهى به عنه.
١٣. **وُكِسَ التاجر في تجارته واُوْكِس فيها**: خسر فيها. الوَكْس: منزل القمر الذي يُخسَف فيه.
١٤. **امْتُقِع**: تغيَّر لونه من حزن أو فزع أو ريبة كأنه ضُرب بشيء حتى يتغير. يقال "مَقَعه بشرّ" أي رماه به.
١٥. **زُهِي**: تاه وتكبَّر، فهو مزهوّ (وليس زاهيا).
١٦. **نفِسَت المرأة غلاماً**: ولدته. النفساء: المرأة اذا وَلَدت.
١٧. **شُدِه عند المصيبة**: دُهِش.
١٨. **فُلِج الرجلُ**: أصيب بالفالج، وهو داء يحدث في أحد شقّي البدن فيبطل احساسه وحركته. ويقال أيضاً "لُقِي" من اللقوة، وهي ضرب من الفالج.
١٩. **زُكِم**: أصابه الزُكام، فهو مزكوم. ويقال أيضاً "ضُنِك" بمعنى زُكم.
٢٠. **نُخِي الشاب**: افتخر وتعظَّم وامتلأ نَخْوة أي حماسة ومروءة، فهو منخوّ.
٢١. **نُكِب**: أصابته نَكْبة أي مصيبة.
٢٢. **أُهِلَّ الهلالُ واستُهِلَّ**: ظهر. والشهرُ: ظهر هلاله. الهلّ: استهلال القمر. الهلال: غرّة القمر.
٢٣. **شُهِر في الناس**: ذُكِر وعُرِف فهو مشهور أي شهير.
٢٤. **بُهِت**: دهش وسكت متحيرا، فهو مبهوت. قال تعالى: "فبُهت الذي كفر."
٢٥. **بُرَّ حَجُّك**: قُبل، فهو مبرور. يقال "برّ الله الصلاة" أي قبلها.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٤ - ٢٠: جيد
٩ - ١٣: مقبول

هل سندفن أحياء في أكوام نفاياتنا؟

لكل مجتمع نفاياته

الصحف، دليل الهاتف، حفاظات الاطفال الوسخة، علب الدهان وزيوت المحركات ومبيدات الأعشاب، الأثاث المحطّم، لعب الاطفال المنبوذة. كلها نفايات نخلّفها مع أخرى كثيرة. وغالبا ما تتحدث الصحف باهتمام عن مسألة امتلاء الحفر الأرضية المعدة لطمر النفايات وتركز على التقصير الظاهر في وسائل تكريرها.[1] وعلى رغم الضجة الاعلامية التي يثيرها هذا الموضوع فقد يكون الافتقار الى المعلومات الصحيحة هو السبب الحقيقي في أزمة النفايات في العالم.

منذ أوائل السبعينات يعكف الباحثون في "مشروع النفايات" بجامعة أريزونا على متابعة "رحلة" النفايات ومرامي

---

(١) نعني بالتكرير (recycling) معالجة النفايات الورقية أو البلاستيكية أو غيرها بهدف اعادة استعمالها.

© 1989 BY WILLIAM L. RATHJE. CONDENSED FROM THE ATLANTIC (DECEMBER '89). BOSTON, MASS.
PHOTO: ERNEST COPPOLINO

النفايات منذ تكوُّنها. وبصفتي مدير المشروع تكلمتُ مطولا مع الاشخاص الذين يشغلهم موضوع النفايات يومياً، من رؤساء بلديات وأصحاب محلات خردة ومشرفين على مرامي النفايات ومهندسين مدنيين وخبراء بعلم الجراثيم. ويبدو أن مصائب النفايات خطيرة، لكنها ليست مستعصية، ويمكن التغلب عليها بطرق آمنة ومتوافرة.

ما هي كمية النفايات الحالية؟

اطَّلعتُ على أرقام تفيد أن الشخص الواحد يرمي ما بين كيلوغرامين وأربعة كيلوغرامات يومياً من النفايات. لكن دراسات "مشروع النفايات" تكشف أن الكيلوغرامين قد يكونان رقماً تقديرياً مبالغاً فيه. فالامريكيون مثلا مسرفون في رمي النفايات، لكنهم أقل اسرافاً في ذلك مما يظنون.

والى ذلك، نحن ننسى كل شيء غاب عنا ولم نعد نراه، مثل نحو ٥٥ كيلوغراماً من رماد الحطب أو الفحم الحجري كان يفرزها كل مسكن أمريكي سنوياً في مطلع القرن الحالي، وعشرات الالوف من الجياد النافقة التي كان يتعيّن التخلص منها كل سنة، وفضلات الطعام التي ألغاها التوضيب الحديث. ولنأخذ في الاعتبار الفارق بين النفايات الحاصلة من تحضير عصير الليمون في المنزل من حبّات كاملة وسكب العصير المعلَّب في مصانع، علماً أن قشر الليمون المعصور في المصانع يباع علفاً في حين يبقى القشر في المنزل... نفايات. والحقيقة أن حصيلة نفايات الأمريكيين، كأفراد، ليست آخذة فجأة في الارتفاع، ويبدو أن سجلنا يدل على نسبة ثابتة نسبياً لكل فرد.

حُفَر النفايات. هناك نقص حاد في الحُفر الصحية في شمال شرق الولايات المتحدة. وقد امتلأ نحو ٣٠٠٠ حفرة في أنحاء البلاد وطُمرت ما بين ١٩٨٢ و١٩٨٧. وغالباً ما تحذر المقالات التي تتناول هذا الموضوع من أن ٥٠ في المئة من الحفر الحالية ستمتلىء وتُطمر خلال خمس سنوات. لكن هذا الواقع ليس جديداً، لان اكثرية الحفر صُمِّمت لتستخدم مدة عشر سنين فقط. انما المشكلة الحقيقية في مناطق كثيرة هي أن الحفر القديمة لا تعوَّض ببدائل جديدة. ففي تكساس، على سبيل المثال، كانت السلطات تمنح ٢٥٠ رخصة سنوياً لانشاء حُفر للنفايات الجامدة في أواسط السبعينات، لكنها لم تمنح سوى ١٢ رخصة عام ١٩٨٩.

وحركة طمر النفايات التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية لم تقصر أهدافها على التخلص من جبال النفايات المتراكمة، بل قصدت استصلاح ألوف الكيلومترات المربَّعة من الاراضي القاحلة. وقد عيَّن أنصارها "مواقع مثالية" لحُفر النفايات هي الاماكن ذاتها التي يعتقد معظم العلماء اليوم أنها الاسوأ: أي ضفاف الأنهر والمستنقعات. ففي تلك المواقع حيث أقيمت حفر غير

مبطنة، شكلت المحلولات الكيميائية الراشحة مع الماء مصدر قلق كبير.

ولدى علماء البيئة الآن المام كاف يؤهلهم لتصميم مواقع آمنة لحُفر النفايات. فحيث تكون طبقة المياه الجوفية قريبة من سطح الارض ينبغي حظر نبش الحفر والاستعاضة عنه بنقل النفايات الى أماكن أخرى.

وتواجه مشاريع حُفَر النفايات اليوم عوائق مالية (نقل النفايات) ونفسانية، اذ لا أحد يرغب في رؤية مرمى للنفايات خلف منزله. لكن هذه المشاكل ليست مستعصية الحل في بلاد مترامية الاطراف.

الاطعمة السريعة وحفاظات الاطفال. ثمة اعتقاد آخر في شأن حُفَر النفايات هو أن هناك تفاوتاً في أحجام المواد المتنوعة التي تملأها. فقد أتيتُ على مقالة في إحدى الصحف تلقي اللوم على الحفاظات المنبوذة. وفي صحيفة "نيويورك تايمز" مقال افتتاحي يعزو طفح حُفَر النفايات في البلاد الى عُلب الوجبات السريعة التي "أدمنها" معظم المواطنين. وقد طلبتُ من أناس كثيرين لم يسبق أن شاهدوا حفرة نفايات، أن يقدروا نسبة محتواها من علب الوجبات السريعة، فكان تقدير معظمهم ٢٠ أو ٣٠ في المئة.

لكن الحقيقة غير ذلك. فقد عمد فريق "مشروع النفايات" الى نبش سبع حفر لطمر النفايات: اثنتين خارج شيكاغو واثنتين في خليج سان فرنسيسكو واثنتين في توسون وواحدة في فينكس. فتبين أن هناك أقل من ثمانية كيلوغرامات من علب الوجبات السريعة في كل ثمانية أطنان من النفايات وتراب الردم - أي ٠،١ في المئة من وزن محتويات الحُفر، وأقل من واحد في المئة من وزن الحفاظات الوسخة، وأقل من خمسة في المئة من وزن النفايات البلاستيكية.

"المذنب" الحقيقي في كل حفرة نفايات هو الورق العادي - وليس ورق توضيب الوجبات السريعة - الذي يشكل بين ٤٠ و٥٠ في المئة من وزن المحتويات. ولكن وسط كل الاسف الذي نبديه، هل ارتفع صوت واحد يندّد بتكاثر كتب دليل الهاتف؟ فكل دليل يضم مجلدين ويوزع كل سنة ليُرمى في السنة التالية، وهو يزن نحو أربعة كيلوغرامات، وتوزع منه ملايين النسخ سنوياً. احفروا خندقاً عرضياً داخل احدى الحفر، فترون طبقات من دليل الهاتف مكدّسة كطبقات الارض.

وهناك الصحف التي تحتل مركزاً بارزاً لا يقل عن مركز دليل الهاتف، وتشكل بين ١٠ و١٨ في المئة من محتوى حفرة نفايات بلدية نموذجية. وفي احدى حفر فينكس وجدتُ صحفاً يعود تاريخها الى العام ١٩٥٢.

التحلل الحيوي.[٢] الفكرة القائلة إن الورق يتحلل بسرعة داخل حفر مبطنة

(٢) Biodegrading

ليست الا خرافة، وقد تكون في ذلك حسنة، لان تحلل الورق بسرعة يفرز كميات هائلة من الحبر والطلاء قد ترشح الى المياه الجوفية.

أما البلاستيك فيكاد لا يتحلل أبداً، وهذا عيب مشين في اعتبار أوساط كثيرة، لكنه قد يكون في الحقيقة فضيلة كبرى لأن البلاستيك الهامد لا يفرز مواد كيميائية سامّة في البيئة. وفي رأي يان بيا الباحث البارز في "جمعية أودوبون الوطنية" أن لا مشكلة في وجود مواد بلاستيكية داخل حفر النفايات. أما تلك التي تبتلعها الحيوانات البحرية أو تعلق فيها فتأتي عادة من النفايات المطروحة في المحيط.

تكرير النفايات. هناك هوة كبيرة بين الذين يكررون النفايات بقصد الربح وأولئك الذين يكررونها بقصد المنفعة العامة. فعندما أخبرت أحد "تجار" النفايات الورقية بنجاح مشروع تكرير ورق الصحف الذي اعتمدته بلدية توسون، نظر الي مرتعباً وقال: "أنت تخبرني عن مبلغ نجاح منافسينا. انهم يستغلّون أموال الضرائب لقطع مورد رزقنا. ألا تعلم أن ورق الصحف المكرر لم ينقطع يوماً؟ وأن الطلب عليه محدود؟ وكلما كرَّرته توسون خسرت تجارتي؟"

يجب تشجيع عمليات التكرير أياً يكن منفذها. ولكن مهم أيضا معرفة أي نوع من المعالجة ينفع وأي نوع يفوق ضرره فائدته. والصحف المكررة تطرح احدى المشاكل المحتملة. فثمة عشرة في المئة من الصحف القديمة التي تكرر، يعاد استخدامها في طبع صحف جديدة، والفائدة الحقيقية لورق الصحف المكرر هي في صنع علب رقائق الذرة والبطاطا وغيرها (اذا كان اللون داخل العلبة رمادياً فهذا يعني أن ورقها أو كرتونها مصنوع من ورق مكرر) وفي صنع حشيّات السيارات (تحتوي السيارة العادية على نحو ٣٠ كيلوغراماً من الكرتون المكرر من ورق الصحف) وفي الالواح الجدارية والمواد العازلة. ويبدو أن هذه الاستعمالات بلغت حد الاشباع.

ماذا يحدث حين تغرق السوق بورق الصحف؟

قبل سنتين بدأت ولاية نيوجرزي تطبيق تشريع يفرض على كل محلة سكنية فرز ثلاثة أصناف على الاقل من المواد الصالحة للتكرير. فأدى ذلك الى هبوط ثمن ورق الصحف المرمية من ٤٠ دولاراً للطن الى أقل من ٢٥ دولاراً، وبات على السكان دفع نفقة نقلها. فاذا عُمِّمت تشريعات كهذه، من دون أخذ اجراءات لزيادة الطلب على منتجات الورق المكرر، فقد تأتي النتائج عكس المقصود منها.

والواقع أننا نكرر حالياً قرابة أقصى ما يمكن السوق أن تستوعبه من الورق. والى الآن لم يكرر من المواد البلاستيكية والالومنيوم الا جزء من حاجة السوق. ويحسن الامريكيون صنعا برد علب الألومنيوم كما يفعلون حالياً. ولكن مهما قيل عن حرصهم على التكرير، يبقى

افزهم الاكبر هو الثمن الذي يُدفع في مراكز البيع. وقد أظهرت أبحاث "مشروع النفايات" أن ارتفاع أسعار ورق الصحف القديمة، على سبيل المثال، يرافقه هبوط في عدد الصحف المطروحة في مرامي النفايات.

تقليص المصادر. زرتُ جامعة كاليفورنيا في بيركلي حديثاً، وكان الباحثون هناك يدرسون اقتراحاً بحظر استخدام رغوة البوليستيرين[٣] التي تصنع منها الاكواب والاطباق الورقية. وفي استراحة الغداء قصدت مطعم الجامعة حيث كان نحو ٨٠٠ طالب يأكلون من أطباق ورقية صُبَّ فيها طعام ساخن. وسألت بعضهم عن رأيهم في فرض حظر على البوليستيرين، فردّوا من دون استخفاف انها فكرة عظيمة.

ان تقليص مصادر النفايات كالدواء الواقي، أي انه وسيلة لاجتناب الضرر قبل وقوعه، لكن فائدة قانون كهذا هي في نواح كثيرة سراب خادع، لان معظم الصناعات تحولت الى انتاج سلع مدمَّجة وخفيفة لتسهيل التوزيع وللاقتصاد في الموارد الاساسية الغالية. ففي العام ١٩٧٠ كانت قارورة الصودا البلاستيكية تزن ٦٠ غراماً، واليوم تزن ٤٨ غراماً وتسحق بسهولة أكثر. ثم ان تدابير تقليص المصادر لا تخفض النفايات كثيراً، لان الهمبرغر والبيض وأجهزة الفيديو والتلفاز يجب وضعها في شيء ما.

ففي امكان معظم البلدان تدبُّر أمر نفاياتها بانشاء حُفر آمنة حيث لا يزال لها متسع. وفي الامكان اقامة مرمِّدات مجهزة بوسائل الوقاية الملائمة.

وثمة تدابير لم تعتمد بعد في سبيل تقليص اكبر مصدر للنفايات: الورق. فيمكن تعديل أجور النقل بحيث يكلف نقل الورق لاعادة استخدامه أقل من نقل الاخشاب لصنع ورق جديد. وفي وسع الحكومات، التي تستهلك الورق أكثر من أي مؤسسة أخرى، التشديد على استخدام الورق المكرَّر في معظم أعمالها الكتابية.

وأخيراً يتعين علينا توسيع مداركنا، لان كثيرين قد يعرفون عن الكوكب "نبتون" اكثر مما يعرفون عن شؤون النفايات في بلادهم.

ولكن حتى اذا استمر الوضع على حاله فلا أخشى أن نُدفن تحت أكوام نفاياتنا. وربما كان التحدي الاكبر الذي نواجهه هو أن نقرّ بأن معرفتنا التقليدية بشؤون النفايات خاطئة في نواح كثيرة.

وليم راتجي ■

(٣) Polystyrene foam

سأل طفل رفيقه: "اذا كان الرجل الوطواط ذكياً، فلماذا يلبس ثيابه التحتية فوق بذلته؟"

ا.ك.

لاسم هذه المحمية وقع مدو كقرع طبول في أعماق افريقيا

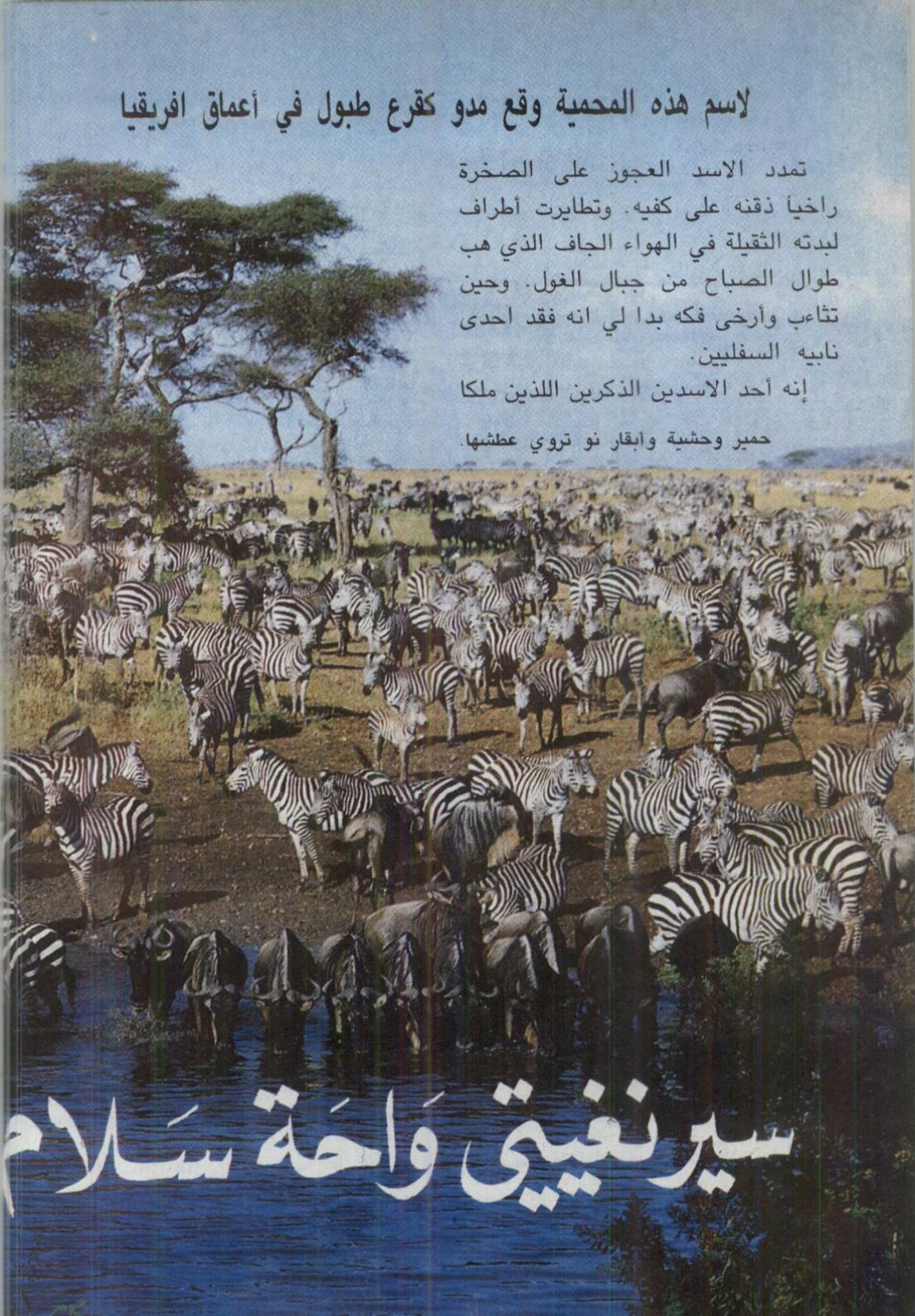

تمدد الاسد العجوز على الصخرة راخياً ذقنه على كفيه. وتطايرت أطراف لبدته الثقيلة في الهواء الجاف الذي هب طوال الصباح من جبال الغول. وحين تثاءب وأرخى فكه بدا لي انه فقد احدى نابيه السفليين.

إنه أحد الاسدين الذكرين اللذين ملكا

حمير وحشية وأبقار نو تروي عطشها.

سيرنغيتي واحة سلام

طوال السنتين الماضيتين على حيوانات منطقة الغول في شمال تنزانيا. أما شقيقه فقد تمدد فوق العشب على مقربة منه يحرس بقايا حمار وحشي كانا اصطاداه ونهشا منه كفايتهما. وها هما الآن يستريحان متخمين. الا أن أسد الصخرة ما فتىء يرفع رأسه الاشعث العظيم ويتشمم النسيم ويسرح نظره عبر سيرنغيتي المقفرة.

هناك، في مكان ما، يتربص به أعداء:

OKAPIA

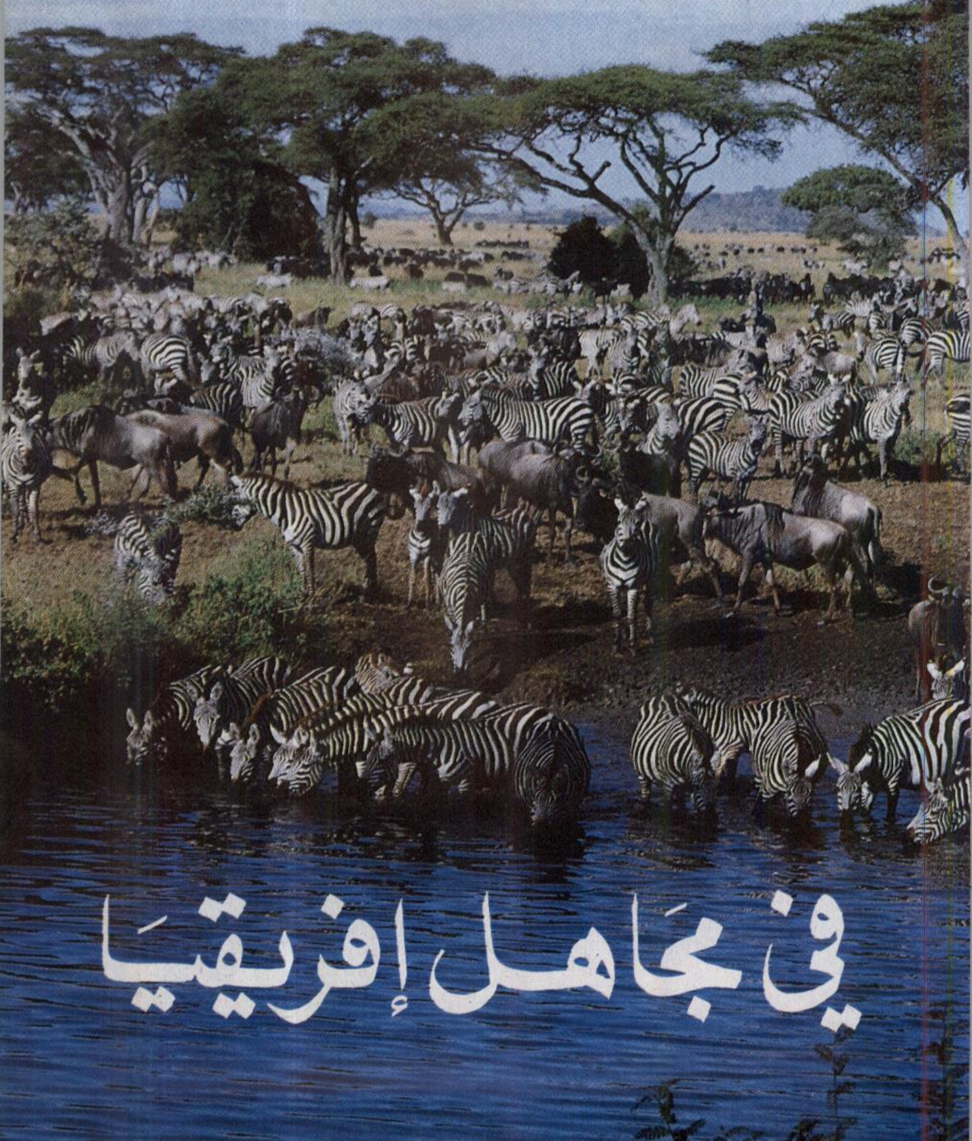

في مجاهل إفريقيا

أسود هزيلة جوالة تقتحم عقر داره مع بدء هجرة بقر النوّ[1] هذه الاسود تغزو مملكته بوقاحة وتتحدى سلطانه. ولعله شعر بأن أيامه باتت معدودة، وبأن أيام الخير ولّت حين كان يربي أشبالا ويَسْمن شحماً ولحماً من صيد لبؤاته الثلاث. وحين تدق ساعة المواجهة الاخيرة فلن يكون وأخاه منافسين كفيين. ولكن حتى ذلك الحين تبقى الارض أرضه.

سيرنغيتي! إن لهذا الاسم وقعاً مدوياً كقرع طبول في أعماق أفريقيا. كيف لأحد أن يعبر عن عظمتها؟ نور باهر وهواء عابق بروائح الغبار والحيوان والعشب. وأي عشب! مساحات متموجة لا يحدها سياج ونادراً ما تعوقها دروب.

العشب هو الحياة في سيرنغيتي. والقطعان تتعقب السحب الرعدية العابرة وتجوب الارض بحثاً عن الكلأ الذي ينبت بُعيد هطول المطر. وثمة حيوانات تبقى أشهراً من غير شرب، ومنها غزال "غرانت." فخلال موسم الجفاف، بعد انقضاء فترة طويلة على هجرة بقية القطعان الى الشمال، تلزم الغزلان أماكنها حيث ترعى الجذامة الجافة.

غير أن السواد الاعظم من الحيوانات يحتاج الى عشب نضر وماء، ولاسيما النو. انه أبشع الابقار الوحشية، بقرنيه الشبيهين بقرني ثور وعرفه الشبيه بعرف حصان ومؤخرته المنحدرة كمؤخرة ضبع. لكنه على رغم مظهره الدميم ووثباته الخرقاء يبقى اكثر حيوانات المرتع توفيقاً وسيطرة على السهول بأعداده الغفيرة.

صراع البقاء. منذ أصبحت سيرنغيتي محمية وطنية قبل نحو أربعين سنة وأبقار النو في تكاثر مستمر حتى تجاوزت

(١) Wildbeest or gnu

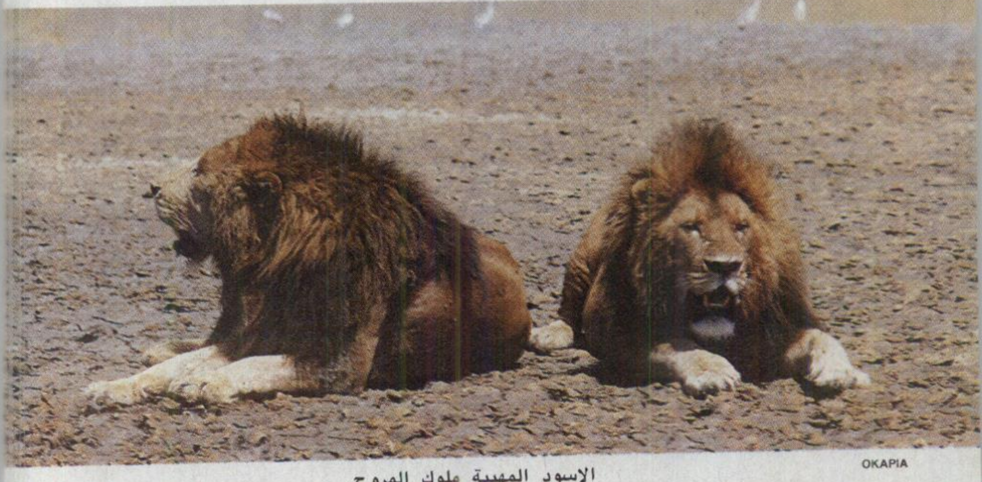

OKAPIA

الاسود المهيبة ملوك المروج.

ANUP SHAH / OKAPIA

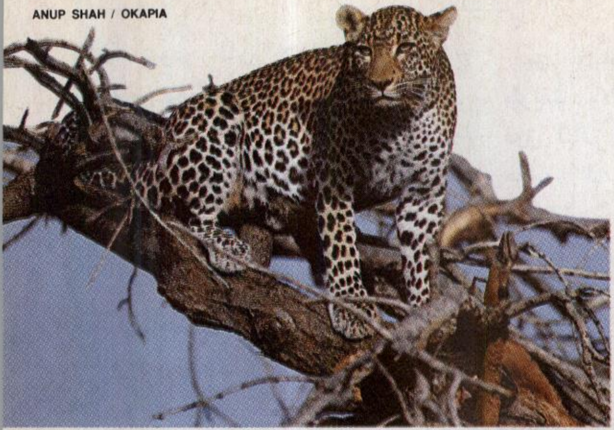

فهد يرتاح في انتظار فريسة.

أعدادها المليون وربع المليون. وهي تأتلف مع نصف مليون غزال ومئتي ألف حمار وحشي وثمانية آلاف زرافة وألف وخمسمئة أسد لتعطي صورة رجعية عن أفريقيا البرية قبل أن يطأ الاوروبيون أرضها. وعندما يبدأ موسم الهجرة تسير قطعان النو قوافل تحجب الآفاق. وتستغرق رحلتها ثلاثة أيام تتحول خلالها سهول تنزانيا الفسيحة أعظم معرض للحيوانات البرية.

في السنة العادية يغادر النو في سبتمبر (أيلول) أقاليمه الشمالية في محمية ماساي مارا. فيعبر مروج الشوفان في وادي سيرونيرا ويصل في نوفمبر (تشرين الثاني) الى سهول سيرنغيتي المكشوفة. هناك تمضي القطعان فصل الامطار، وتضع في أواخر يناير (كانون الثاني) أعداداً هائلة من العجول الناحلة البنية اللون، حتى ان الحيوانات المفترسة الجائعة، من أسود ونمور وفهود وضباع وكلاب برية، تعجز عن افتراسها كلها. هذا التكاثر الخصب هو الخطة القاسية التي مكنت النو من البقاء.

في شهر يناير (كانون الثاني) من العام ١٩٨٩ هبت على سيرنغيتي عواصف عاتية غير موسمية دفنت أجزاء من المحمية تحت الماء. وعندما وصلتُ بعد شهر الى "ندوتو لودج" في طرفها الجنوبي كانت السهول لا تزال خضراء لكنها تجفّ بسرعة. أما النو وقد شارف موسم الانجاب نهايته فأخذ ينزح أفواجاً الى أقصى الجنوب حيث ما زالت الامطار تنهمر، وبقيت الحمير الوحشية والزرافات في المراتع حول أكَمات الغول.

وهذه الأكمات نتوءات من الصوّان الكالح تبرز وسط العشب. وكل أكمة في سيرنغيتي عالم مغلق. تستعملها الفهود أبراج مراقبة، وتلجأ اللبؤات الى شقوقها المظلمة وكهوفها لتضع أشبالها. هناك في أكمات الغول عثرت على الاسدين الشقيقين، وأمضيت يومين أتعقب الفهود

كلبان افريقيان مفترسان يبحثان عن ضحية.

OKAPIA

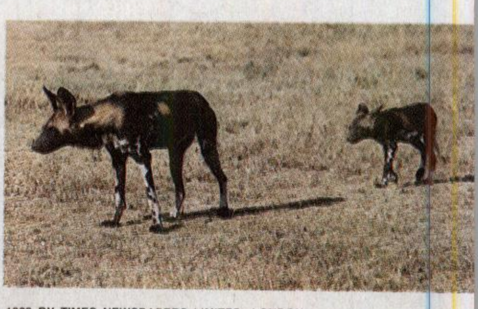

CONDENSED FROM THE SUNDAY TIMES (JUNE 25, '89), © 1989 BY TIMES NEWSPAPERS LIMITED, LONDON

برفقة هوغو فان لافيك وهو مخرج سينمائي ومؤلف كتب حول حياة القفر.

كانت الاسود تزأر عند الفجر عندما انطلقنا في سيارة "لاند روفر"، وقد حمل فان لافيك آلة تصوير مدَّ خرطومها عبر النافذة. توجهنا نحو الافق الشمالي حيث انتصبت أكمتان معزولتان خرقتا امتداد السهل والسماء. وعندما اقتربنا ظهرتا بوضوح وجوانبهما الحجرية تومض تحت نور الشمس. بحثنا بين الصخور عن أسود ونمور فلم نجد واحداً، فأكملنا طريقنا. ولاحت في الشرق غيوم ارتفعت فوق الافق النائي، وهناك لاحت لنا في ضوء الشمس صورة جانبية لفهد ممشوق.

بدا الفهد ذهبياً ناشطاً متيقظاً يتأكله جوع غير مكبوت. وعندما اقتربنا ظهر فهد آخر أخذ يحدق الينا بعينين عقيقيتين لا تطرفان. فأخبرني فان لافيك أنهما أخ وأخته لا يزيد عمرهما على خمسة عشر

OKAPIA

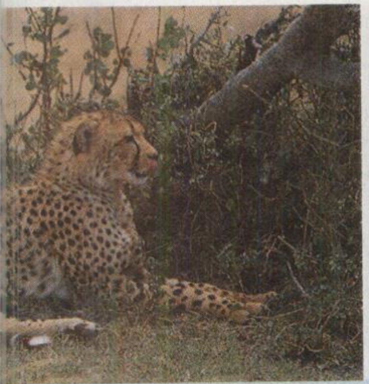

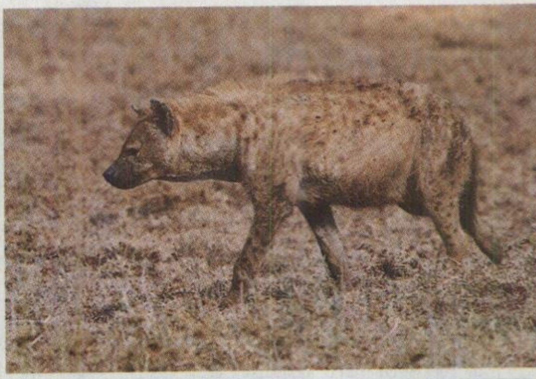

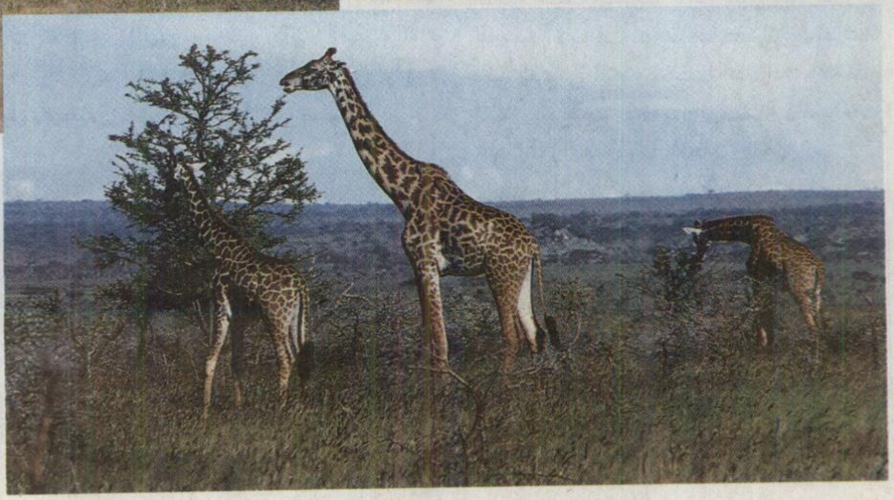

MICHELINE PELLETIER — LATTES / GAMMA

شهراً وقد انفصلا عن أمهما قبل فترة قصيرة. فقررنا تعقبهما.

الفهد الصياد[٢] سيِّب المفاصل خفيف الحركة. له وجه غامض خطَّهُ الدمع وعمود فقري منحنٍ يساعده في العدو السريع. انه الاكثر ضراوة بين حيوانات السهول في سيرنغيتي.

لطخة على العشب. توقفت القطعان أمامنا عن الرعي وسادها جو من التوتر.

STEFAN MEYERS / ARDEA

(فوق) فهود تستريح.
(أعلى اليمين) ضبع مرقط يبحث عن فريسة.
(تحت) زرافات ترعى الاوراق العالية.

وارتفعت الرؤوس عندما تقدم الفهدان في اتجاه مجموعة من غزلان "طومسون" انجذبت بدورها اليهما وكأنها أخضعت لتنويم مغناطيسي. غير أن الفهدين المتعجرفين تجاهلاها، لقد كانا يبحثان عن خشف[٣] يسهل اصطياده أكثر من الغزلان البالغة السريعة العدو. واذ لم يظهر أي خشف أمامهما تمددا مفترشين الارض. وارتفعت الشمس في كبد السماء وانقضى النهار بسلام. وهمدت السهول تحت وطأة الحرارة. ومرّت ساعة ثم أخرى.

فجأة نهض الفهدان وانطلقا. لقد رصدا غزالة ومعها خشف. وضاعفا سرعتهما خلال ثوان. وعبثاً حاول الخشف سبقهما، فأدركته الفهدة ورمته أرضاً، ثم هجمت عليه بسرعة البرق وعضته من عنقه. وعندما انجلى الغبار كان نافقاً وسط الازهار.

على رغم طنين آلة التصوير كنت

---

(٢) Cheetah

(٣) الخشف ولد الظبي.

أسمع صوت نهش اللحم وسحق العظام فيما الفهدان يلتهمان فريستهما بسرعة قبل أن تتعقبهما الضباع الناهبة. وبعد خمس عشرة دقيقة لم يبقَ من الخشف سوى لطخة على العشب.

انتصب الفهد وأخته وأخذ كل منهما يلعق الآخر منظفاً. ثم مشيا نحو أقرب هضبة حيث تمددا تحت شجرة تين. وقصدنا الظل نحن أيضاً وأكلنا تحت الشجرة فيما استسلم الفهدان للنوم على الصخور. واختبأت بومة فوقنا بين الاغصان تنتظر الظلمة.

غابت الشمس وما زال الفهدان نائمين. وجاءت الحمير الوحشية تمرح وتنهق في الهواء المنعش، وحلقت طيور القطا فوق الجيوب المائية البعيدة. أينما ينظر المرء لا يرَ أثراً لانسان، كل ما هناك طيور في الريح وعالم عشب وسماء.

قريباً يعود موسم الجفاف وتبدأ القطعان المهاجرة رحلتها الطويلة الى الشمال. بل ها هي غيوم من طيور اللقلاق تطير لولبياً كرقائق ثلج اذ تركب تيارات الهواء الساخن لتزداد ارتفاعاً في طريق عودتها الى أوروبا.

وأنا أيضاً آن الاوان لكي أعود.

بريان جاكمان ■

صور من روسيا

عرض لنا أستاذ الجغرافيا شرائح مصورة التقطها خلال عطلته الصيفية. وطلب منا تحديد المكان الذي التقطت فيه. وظهر في الصورة الاولى جمع من الناس أمام بناء قرميدي خال من أي علامة تعين موقعه، فرفعت يدي وأعلنت أن الصور التقطت في روسيا، مما أذهل أستاذنا فسألني كيف عرفت ذلك.

قلت: "حسناً، ذلك الرجل وتلك المرأة في الصورة هما عمي وزوجته. وهما سافرا هذا الصيف في عطلتهما الى روسيا."

ك.م.

شيبة المدير

كنا جميعاً مرهقين بعد اجتماع عمل. فقال المدير الذي رأس الاجتماع شاكياً: "هل لاحظتم هذه الشعرات البيض في رأسي؟ وهل تعرفون أنني قبل أربع سنوات، حين تسلمت هذا المنصب، كان رأسي خالياً من أي شعرة بيضاء؟"

فرد موظف قديم أصلع: "لا تحسب ذلك مشكلة. افعل كما فعلت أنا. كلما بانت لك شعرة بيضاء، اقتلعها."

ج.ر.ن.

تحيي المتاحف في أنحاء العالم الذكرى المئوية لوفاته
لكن لوحاته الزاهية المشرقة تخالف ما آلت اليه نهايته المأسوية

فَان غوغ: الأيّام الأخيرة

عندما وصل فنسنت فان غوغ الى باريس آتياً من جنوب فرنسا في ١٧ مايو (أيار) ١٨٩٠ استقبله أخوه تيودوروس (تيو) بحفاوة في منزله الجديد بحيّ بيغال في أسفل مونمارتر. وكان فنسنت أرسل اليه لوحات على مدى سنوات حتى ضاقت بها جدران شقته وأرضيتها. وكانت تلك المرة الاولى يُجمع هذا العدد الكبير من لوحات فنسنت في مكان واحد، فأعطت مشهداً فنّياً رائعاً.

في ذلك اليوم تأمل فنسنت ما رسمت يداه فأشرق وجهه فرحاً وثقة. وكانت عروس تيو الجديدة، جو، سمعت عنه حكايات، فوجدته "قوياً عريض المنكبين متورِّد الوجه مرحاً ثابت العزيمة." لكنها ما لبثت أن علمَت ما أدركه فنسنت في صميمه، أن تلك ليست سوى لحظة عابرة من البهجة. فهو كتب الى أخيه قبل سبع سنوات: "أنا لم أبدأ الرسم متأخراً فحسب، بل ربما لن أعيش سنين عديدة، ما بين ست وعشر مثلا."

وها هو في السابعة والثلاثين من عمره ويشعر بأن أيامه تنفد بسرعة.

كانت موهبته الفنية في ذروة العطاء، فهو ملأ السنتين الماضيتين بفيض كثيف من ومض عبقريته، وهذا ما لم يعهده عالم الفن الا نادراً. وكان صديقه هنري دو تولوز - لوتريك ألح عليه في الذهاب جنوباً الى مدينة آرل القديمة حيث الشمس الساطعة والالوان الدافئة تحرر العين العاطفية للشاب الهولندي المزاجي الذي أدهش فناني باريس وأزعجهم. وبسرعة فائقة تخلص فنسنت من الالوان الكئيبة في لوحاته السابقة وبرع في نمط

جريء من الالوان الصافية المغايرة. فأنتج لوحات مليئة بالحيوية بسرعة لا تُصدق... أحياناً أكثر من لوحة يومياً، وعمل جنباً الى جنب مع بول غوغان الذي أعجب به أكثر من أي فنان آخر، فكان كل منهما يحفز الآخر على تحقيق اكتشافات مذهلة جديدة.

والى ذلك بدأ نجم فنسنت يسطع في عالم الفن. وقدّم اليه الرسامون الكبار في ذلك الوقت الصداقة والتشجيع، وبينهم ادغار ديغا ولوتريك وجورج سورا وكميل بيسارو. ووصفه الناقد الفني الكبير ألبير أورييه بأنه "الفنان الحقيقي النشيط الذي له يدان قاسيتان كيدي عملاق وأعصاب امرأة مجنونة وروح متصوف. انه أصيل جداً ومبدع جداً ووحيد جداً. انه الرسام الوحيد الذي يعي تلوُّن الاشياء بهذه القوة وبهذه الجودة الدُرِّية.

ولكن في مدينة آرل أيضاً بدت على فان غوغ علامات جنون. ونشأت على مر السنين نظريات لا تحصى حول طبيعة مرضه راوحت بين الصرع والزُهري (السفليس) الحاد والكآبة الهوسية. لكن باحثين طبيين يؤكدون اليوم أن الفنان لم يكن مجنوناً قط، بل مصاب بداء "منيير" وهو اختلال في الاذن الداخلية يؤثر في السمع والتوازن ويسبب نوبات متكررة من الدوار والغثيان والصمم مع طنين في الاذن. ولكن مهما يكن سبب تقلب فان غوغ فهو كان دائماً رجل المواقف المتطرفة الذي أجهد أعصابه وعواطفه فوق طاقتها. كان يعمل في آرل طوال النهار وفي الليل أحياناً كثيرة، ويأكل على نحو غير منتظم وغير واف، ويشرب أباريق من القهوة والافسنتين[1]، ويدخن باستمرار. كتب مرة الى تيو: "أنا أقرّ بكل ذلك. ولكن لكي أحصل على الشهرة التي بلغتها الصيف الماضي تعيَّن عليّ أن أكون مُثاراً تماماً." لذلك كان يجلس طوال النهار خارجاً متحملا حرارة الصيف الشديدة "وأشعة الشمس المحرقة من دون أي وقاء، وأستمتع بذلك كزيز حصاد"

كانت مشاعره دائماً في ذروة الانفعال، وهو ترجَّح بين النشوة واليأس والثقة العامرة والشك الذاتي الخانق. (ويفيد الباحثون أن نوبات الصرع الناجمة عن داء "منيير" تتخللها غالباً فترات خالية من الاعراض.) وفي ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٨٨٨ انهار اتزانه فقطع جزءاً من أذنه اليمنى وأرسلها الى حبيبة ومعها هذه الكلمات: "حافظي عليها بعناية." ومنذ ذلك الحين أصبحت حياته سلسلة من ابلالات وانتكاسات على فترات غير متوقَّعة. وقد روى الرسام بول سينياك الذي زاره يوماً في مصحّ أنه وجده سليم العقل تماماً، ولكن قبل أن يغادر المكان اضطر الى منع فنسنت من تجرع قارورة من مادة التربنتين.[2]

(١) الافسنتين عشبة طبية تستعمل للهضم والادرار ويصنع منها شراب مسكر.
(٢) التربنتين مادة تستعمل لتذويب الالوان وإرخاء الدهانات.

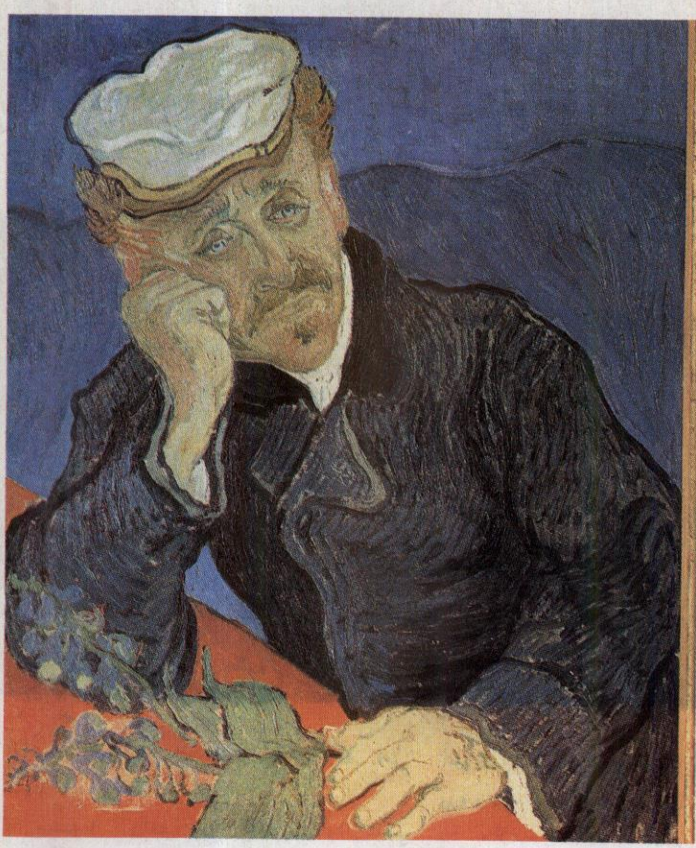

ABC PRESS, AMSTERDAM

الدكتور غاشيه الكئيب وفي يده عشبة طبية.

الطبيب الصديق. في ربيع ١٨٩٠ عندما وصل فنسنت الى شقة تيو كان يأمل أنه استعاد حاله الطبيعية. فهو ظن أن حدة الجنوب أثّرت فيه وأن سماء الشمال الرمادية المألوفة ستحسن أحواله.

واقترح عليه صديقه بيسارو أن يقصد الدكتور غاشيه وهو رسام هاوٍ اعتنى بكثير من الفنانين الباريسيينً. وكان غاشيه مقيماً في "أوفير – سور – واز" على بعد حوالى ٣٠ كيلومتراً من شمال المدينة، وأسعده كثيراً أن يداوي فنسنت. لذلك انتقل والرسام الى أوفير حيث استأجر مسكناً رخيصاً فوق مقهى يخص عائلة رافو، على بعد خطوات من منزل الطبيب. وطاب له الهدوء في القرية، وكتب الى تيو: "ان جمالها رزين، وتمثل الريف الحقيقي." كانت أوفير، ولا تزال، جاثمة على تلة ومطلة على مناظر جميلة لوادي واز الاخضر من جهة ولحقول

القمح الفسيحة الممتدة نحو الافق من جهة أخرى.

وحصل توافق بين الطبيب والرسام منذ البداية. وجده فنسنت "مثل أخ آخر، مع شبه كبير بيننا جسدياً وعقلياً." كان غاشيه فلمنكي[٣] الاصل، يشبه فنسنت بوجهه الناحل وشعره الاحمر ولحيته الحمراء. وكان فنسنت مقتنعاً بأن الطبيب يشاركه أيضاً في نزعته الى الانقباض والاضطراب العصبي. ورسم فنسنت لوحتين توأمتين للدكتور غاشيه معبِّرتين عن "مشاعر القلب المنسحق في هذه الايام" كما قال. ويبدو غاشيه في هاتين اللوحتين هزيل القوام، كئيباً، خائر العزم، يرفع رأسه بيده الممدودة، شاحب الوجه، ذا ملامح حادة وعينين ثاقبتين، مع مسحات زرقاء ملتفّة تمثل معطفه وخلفية لا شكل فيها. يبدو انساناً يسير على غير هدى.

كانت حماسة غاشيه للوحتين شيئاً جديداً لم يعهده فنسنت ومصدر تشجيع رائعاً، اذ كانت غالبية رسومه السابقة تخص أناساً غير مثقفين. كان منزل غاشيه مليئاً بلوحات من رسم سيزان

(٣) الفلمنكي من أبناء منطقة الفلاندر الممتدة في فرنسا وبلجيكا على بحر الشمال.

"غربان فوق حقول القمح."
لوحة شهيرة رسمها فان غوغ في أوفير.

تزينه الاعلام الثلاثية الالوان (الفرنسية) لمناسبة "يوم الباستيل" فيبدو بهيجاً وكأنه غير ذلك المبنى الكئيب الخالي من المعالم، والكنيسة القديمة الهادئة التي ملأها زخماً عنيفاً، ومرغريت بنت الطبيب غاشيه أمام البيانو في ثوبها الابيض المشرق، وأكواخ قديمة سقوفها من قش تذكره بأيامه الخوالي في هولندا، ونباتات الخشخاش وأشجار الكستناء والحدائق وحقول القمح الذهبية.

تحسنت حاله النفسية وارتفعت معنوياته. وكتب يوماً الى والدته: "أشعر بأنني مرتاح تماماً وفي وضع طبيعي. يقول الطبيب هنا أن علي أن أنغمس في عملي كلياً لكي أتسلى. ثم اني أعمل أحسن من قبل لاقلاعي عن الشراب، وهذا مكسب واحد على الاقل."

وبدأ فان غوغ يخطط للمستقبل ويفكر في استئجار منزل في أوفير. وفي يناير (كانون الثاني) ١٨٩٠ أنعم الله على تيو وجو بمولود سمياه فنسنت. وبعد مدة أخذاه لزيارة عمه الذي اهتم به كثيراً وأراه حيوانات المزرعة وعثر له على عش عصفور. وكتب فنسنت لاحقاً الى تيو: "بما انك كنت طيباً كفاية لتسمي الطفل باسمي، فانني أتمنى له نفسية أقل اضطراباً مني."

فعلى رغم كل شيء لم يكن فنسنت مطمئن البال في أوفير. وحتى زيارة ابن أخيه الذي أحبه كثيراً كانت مبعث

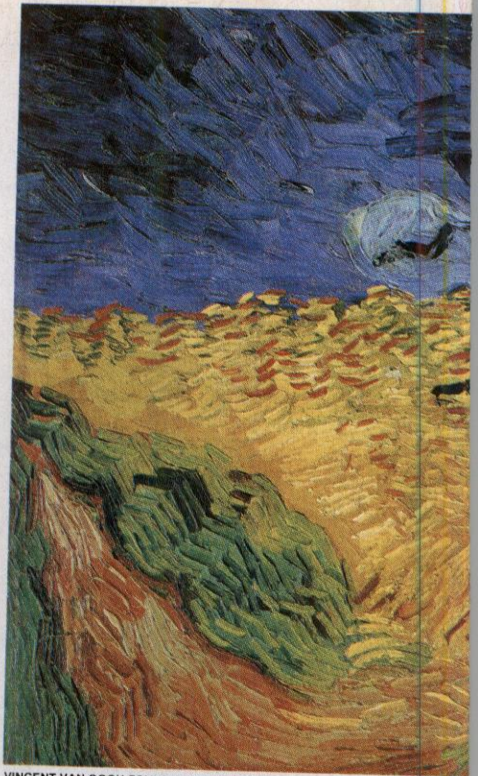
VINCENT VAN GOGH FOUNDATION / RIJKSMUSEUM VINCENT VAN GOGH, AMST

ومونيه وبيسارو قُدِّمت اليه بدل استشارات طبية، وهكذا أصبح لدى فنسنت نموذج (موديل) يحادثه حول رسومه.

طفل حبيب. انغمس فنسنت في عمله كمن به مس. وأكمل ٣٦ لوحة خلال ٧١ يوماً أمضاها في أوفير، علاوة على رسوم لا تُحصى. رسم في مزاجات عدة تراوح بين الصفاء والهستيريا: زهرات متفتحة بدقة نادرة حتى كأنها صورة مطبوعة، ومناظر طبيعية مضطربة يبدو كل ما فيها منحرفاً قليلا، والمبنى البلدي في أوفير

اضطراب بالنسبة اليه، اذ ذكّرته بأنه منذ سنين يتّقي غائلة العوز بالخمسين فرنكاً التي يضمّنها أخوه كل رسالة. وقد اعتبر الاخوان ذلك استثماراً يدفق الخير على تيو عندما تزهر أعمال أخيه. لكن فنسنت لم يبع اولى لوحاته الا حديثاً، والان توجّب على تيو أن يتحمل مسؤولية امرأته وطفله. شعر فنسنت بالالم لإنه عبء على أخيه الذي كان هو أيضاً غير آمن وغير مستقر. لذلك كتب اليه: "أنا لا أشعر بالحياة الا عندما أقف أمام مِنْصبي للرسم. هذه قسمتي التي أقبلها والتي لن تتغير، والآتي يبدو مظلماً أكثر. انني لا أرى مستقبلا سعيداً على الاطلاق."

لا رجاء. أصبح فنسنت هادئاً على نحو مضلل، كنمط مألوف منذ نوباته الباكرة. وكتب الى والدته في آخر يوليو (تموز): "أنا مستغرق كلياً في ذلك السهل العظيم المُغطى بحقول القمح." وبعد أيام قليلة أنتج واحدة من أكثر اللوحات عذاباً واضطراباً بعنوان "غربان فوق حقول القمح." وحقل القمح في اللوحة كتلة متشابكة من مسحات تشنجية مائلة صفراء. السماء زرقاء محمومة، وثمة ممرات حمراء وخضراء تقود الى برية السنابل لكنها لا تصل الى مكان، وغربان سود في الفضاء ترمز الى قرار لا يرحم. كتب فنسنت الى تيو واصفاً بعض المناظر الطبيعية في لوحاته: "لم أحتج الى بذل جهد كبير للاعراب عن الحزن والوحشة القصوى."

واستأثر به الحزن المألوف. وأدرك أن ذلك لم يكن مرضاً من الجنوب، وانما كُتب عليه أن يتحمل سلسلة من الاكتئابات المتكررة التي لا نهاية لها. كان وحيداً، وقد فقد ايمانه بنفسه وبكل شيء. وكتب في رسالته الاخيرة الى تيو: "في عملي الخاص، أُعرض حياتي للخطر وأفقد نصف صوابي."

وضع فنسنت الرسالة في جيبه والتقط مسدساً كان استعاره من رافو ومشى وسط الحقول. وصوّب المسدس الى صدره وأطلق النار وسقط. واذ وجد نفسه جريحاً ولم يمت، نهض وسار مترنحاً نحو البيت. وعندما تخلّف عن العشاء صعد رافو الى الطبقة العليا فوجده في الفراش. وبادره فنسنت: "حاولت أن أقتل نفسي، لكنني أخطأت."

استُدعي الطبيب غاشيه فأتى بسرعة. لكنه لم يجرؤ على نزع الرصاصة بل ترك مريضه "يرتاح" ويدخن غليونه بأمان. وأعلم أخاه بالامر فأتى صباح اليوم التالي وبقي معه طوال النهار. في هذه الاثناء كتب تيو الى زوجته: "مسكين أخي، انه لم ينل كثيراً من الحياة، ولم تبق لديه حتى أوهام. بعض الاحيان تكون الامور قاسية جداً. هو يشعر بوحدة رهيبة. ليتنا نقدر أن نشجعه قليلا لكي يعيش!"

لكن فنسنت استسلم لليأس. وكتب تيو لاحقاً الى أخته اليزابيث: "هو نفسه أراد أن يموت. عندما حاولت اقناعه بأنه سيشفى أجاب: "الحزن لن ينتهي." كان

هادئاً جداً. ومن كلماته الاخيرة: "ليتني أعود الى البيت الآن." وهكذا كان. في لحظات قلائل وجد السلام الذي لم يقدر أن يجده على الارض."

توفي فنسنت في الاولى من فجر ٢٩ يوليو (تموز) ١٨٩٠.

وأتى صديقه الرسام اميل برنار الى أوفير ليحضر الجنازة. وهو كتب في ما بعد: "جاء أناس كثيرون، ومعظمهم من لفنانين. كما جاء أهالي الجوار الذين أحبوه لانه كان انسانياً جداً وطيباً جداً. وفي الخارج كانت حرارة الشمس لا تطاق. تسلقنا تلة أوفير ونحن نتكلم عنه، عن الزخم الذي أعطاه للفن وعن المشاريع الكبيرة التي شغلت باله دائماً وعن الجميل الذي أسداه الى كل منا. وتحت سماء زرقاء رحبة احبها فنسنت كثيراً، وصلنا الى المقبرة المشرفة على الحقول الجاهزة للحصاد. ومن ثَمَّ ووري في الثرى."

غمر تيو حزن شديد ومرض مرضاً خطيراً. وقبل وفاته في ٢٥ يناير (كانون الثاني) ١٨٩١، وكان يُعالج في هولندا، أُخبر أن معرضاً أقيم لأعمال أخيه ارتجله اميل برنار بسرعة، وذكرت صحيفة "ألجمين هاندلسبلاد" الهولندية: "في يوم عيد الميلاد البارد هذا تجمّع رجال هولنديون في غرف صغيرة داخل شقة خالية في مونمارتر، يتأملون نحو ١٠٠ لوحة نالت اعجابهم الشديد. ولكن خالطَ حماستهم أسى، فهذه الكنوز الفنية هي تركة فنان اختفى قبل الاوان."

وجاء التقدير الرسمي سريعاً. ففي فبراير (شباط) ١٨٩١ عُرضت بعض لوحات فان غوغ في بروكسيل، ثم في باريس في شهر مارس (آذار). وفي ابريل (نيسان) من تلك السنة أقام برنار معرضاً في باريس ضمّ ١٦ لوحة للفنان ومنذ ذلك الوقت تكررت المعارض والكتب والمقالات والافلام حاملة اسم فنسنت فان غوغ الى أقاصي الارض. وعاش ابن تيو، فنسنت، ليشهد افتتاح "متحف فنسنت فان غوغ" في أمستردام عام ١٩٧١ حيث تم تكريس عمه على أنه الفنان الأشهر والأحبّ في الزمن المعاصر.

روبرت فرنيك ■

عيد الامهات

صباح عيد الامهات وقف شاب عند منضدة الدفع في مكتبة. وكان يحمل بطاقة معايدة في يده ويبحث في جيوبه، مرتبكاً، عن قطع نقدية صغيرة تكفي ثمناً للبطاقة. فقال له أمين الصندوق: "ان شراء هذه البطاقات يؤدي فعلا الى الافلاس، أليس كذلك؟"

فتمتم الشاب من دون أن يرفع نظره: "وعدم شرائها كذلك."

ك.س.

حذارِ المؤسسات التي يتطلب العمل فيها ثياباً جديدة.

هنري ديفيد ثورو

مأساة واقعية

شجرة تنقذ امرأتين من طوفان جارف

غرقت السيارة في مياه الفيضان وأمضت المرأتان ليلتهما معلقتين على أغصان شجرة. فهل يجدهما أحد؟

كان المطر يضرب زجاج السيارة بعنف في طريق ريفية مقفرة خارج كندايل في ولاية تكساس ليل السابع عشر من مايو (أيار) ١٩٨٩. وقالت جايمي ليمونز (٢٤ عاما) لرفيقتها تشيري جاكسون (٢١ عاما): "أكاد لا أرى طريقي." وهما كانتا عائدتين من زيارة، والبرق والرعد يقصفان خارج ملاذهما الصغير.

كانت عواصف هوجاء تضرب بقعة من تكساس يبلغ عرضها ٤٠٠ كيلومتر، وبلغ معدل المطر الساقط حوالى ٣٣ سنتيمتراً. وأقفل كثير من الطرق العامة والجسور نتيجة أسوأ فيضان شهدته المنطقة منذ عقود. وتسبب الفيضان في غرق شخصين.

تمسكت جايمي بالمقود موجهة سيارتها الـ"كامارو" الفضية في طريق كندايل - افرمان. ومع أنها تعرفت الى تشيري قبل ثلاثة أشهر فقط، فقد كانت سعيدة لوجود رفيقة معها في تلك الليلة

ILLUSTRATION: ALAN REINGOLD

الليلاء. وكانت جايمي منفصلة عن زوجها ومسؤولة عن تربية ابنة ذات ثلاث سنوات، وهي وجدت في تشيري مستمعة لطيفة وعطوفة، وراحت المرأتان تتحدثان بهدوء في محاولة لتجاهل شعورهما النامي بالخطر.

فجأة تدفق الماء على الطريق من ناحية فيليدج كريك. وقبل أن تتمكن جايمي من تفادي الدفق ضربت موجة عاتية السيارة فغمرتها. وحاولت جايمي السيطرة على السيارة لكن المحرك توقف

فجأة. وبينما هي تحاول باهتياج اعادة تشغيله، دفعت موجة أخرى السيارة الى قناة على جانب الطريق. فصرخت جايمي: "اننا نغرق! اخرجي!" ولكن لم تستطع أي منهما فتح الباب بفعل الضغط الهائل للمياه الثائرة.

انزلقت السيارة تحت المياه وهي تترنح يمنة ويسرة. وفكرت جايمي: النافذة! انها المهرب الوحيد! وأنزلت زجاج النافذة، فتدفقت المياه الباردة داخل السيارة. لم يكن أمامهما سوى دقائق قليلة قبل أن تغمرهما المياه. تسللت جايمي من الفتحة وتبعتها تشيري. وكان التيار مندفعاً بقوة نحوهما، الا أنهما تمسكتا بحافة سطح السيارة وتمكنتا من الصعود فوق غطاء المحرك. وهناك جثمتا مرتعبتين والمياه الداكنة آخذة في الارتفاع والسيارة تغرق شبراً شبراً.

شاهدتا حولهما منظراً مخيفاً. كانت الاشجار الساقطة وكتل الحطام تعبر قربهما مع السيول. لم تريا منازل أو أضواء أو أي علامة حياة في أي مكان.

وبعدما تعودت عينا جايمي الظلام شاهدت شجرة عالية ثابتة وسط المياه. فقالت لرفيقتها: "تعالي، تلك الشجرة فرصتنا الوحيدة للنجاة."

صراخ في العاصفة. نزلت المرأتان الى الماء يداً بيد، وظلتا متعلقتين بمقدم السيارة بضع دقائق مترددتين في ترك ملاذهما السابق. ثم لمعت في رأس جايمي صورة ابنتها بشعرها الاشقر وعينيها الزرقاوين اللامعتين، فاذا بخوفها يتحول تصميماً. ستفعل كل ما في مقدورها لتنجو.

صرخت جايمي: "هيا بنا!" ودفعتها تشيري نحو الشجرة. وراحت جايمي تضرب الماء وهي تعلم أنها ستضيع في الظلمة إذا التقطها التيار. ثم لمست لحاء الشجرة، فتمسكت بها والمياه تدفع رجليها والتيار يشدها الى أسفل.

وحان دور تشيري. ولكن ما ان أفلتت السيارة حتى حملها التيار بعيداً عن الشجرة. فصرخت: "جايمي!" وفي ثوان غمرتها المياه.

فجأة أحست قوة تجذب شعرها ويداً تطوق عنقها، واذا جايمي تسحبها نحو الشجرة. وتسلقت الرفيقتان الاغصان الى مكان آمن.

وقفت تشيري بين غصنين كبيرين حيث يتسع المكان لشخص واحد فقط. ووقفت جايمي على قدمي تشيري، وتمسكت كل منهما بغصن.

ومع انقضاء الليل ظلت المرأتان المصعوقتان متشبثتين بمجثمهما المتقلقل الذي لم يكن يعلو عن السيل الثائر أكثر من متر. فجأة شعرتا بلسعات على أيديهما ووجهيهما. كان النمل الاحمر اللاجىء الى الشجرة يزحف عليهما.

وكان البرق يمزق الظلام. فأخذت المرأتان تصليان لعل أحداً ينقذهما قبل أن ترتفع المياه. ولكن من يجدهما والطريق غارقة؟ وتطلعت جايمي الى

السماء الرصاصية مبتهلة: "نجِّنا يا رب!"

وكانتا تريان أضواء السيارات من بعيد، ثم تختفي الاضواء لدى انعطاف السيارات. وظلتا تصرخان طالبتين النجدة، الا أن صراخهما ضاع في العاصفة.

انقضت ساعات والمرأتان تنتظران بائستين والمياه المدومة آخذة في الارتفاع. وأخذتا تتحدثان عن آمالهما، وعن كيلي ابنة جايمي. فقالت جايمي: "أتمنى لو أحضنها الآن." ثم اشتدت الريح وعصفت بالشجرة التي راحت تهتز بعنف وكادت تسقط وتنضم الى الحطام المندفع بسرعة مع السيل.

جاهدت المرأتان للحفاظ على موطىء أقدامهما. وعندما أحست جايمي خدراً في قدميها حاولت أن تغير وقفتها، لكنها انزلقت وكادت تسقط لولا تمسكها بأحد الاغصان. وساعدتها تشيري في التسلق ثانية.

أخذت حرارة جسديهما في الهبوط. وشعرت جايمي بألم في ذراعيها وعضلات معدتها نتيجة تشبثها بغصن الشجرة. أما رجلاها فكانتا خدرتين. وتساءلت: "هل سيطلع علينا النهار؟"

"أخرجونا من هنا!" قرابة السادسة الا ثلثاً صباحاً كان دون هامريك متوجهاً في شاحنته الصغيرة الى عمله في شركة للتسقيف والالواح المعدنية. وهو اعتاد أن يعبر جسراً على طريق كندايل – افرمن، فيرى فيليدج كريك منخفضة حوالى ستة أمتار عن الجسر. أما الآن فالمياه تموج تحت الجسر تماماً.

أدرك دون أن الفيضان يغطي الطريق، فأنزل زجاج نافذته بحثاً عن مكان ينعطف فيه ويعود من حيث أتى. وخيل اليه أنه سمع أصواتاً تنادي، فحدق عبر الظلام، لكنه لم يرَ أحداً. هل يحاول السباحة ليتحقق من مصدر الصوت؟ رأى ان التيار فائق القوة، فلم يجد بدأ من طلب المساعدة. وأسرع الى مركز الشرطة في كندايل.

راحت المرأتان تصرخان: "النجدة! النجدة!" لكنهما شاهدتا أضواء الشاحنة تتلاشى بعدما استدارت. وكانت المياه أصبحت على مسافة ٦٠ سنتيمتراً تحتهما.

وصل دون الى مركز الشرطة في السادسة صباحاً. ولم تلبث أن انطلقت سيارة للشرطة وفيها رئيس دائرة الاطفاء جيم سميث ورئيس دائرة الشرطة ديفيد غيسلن ومحافظ المدينة تيد رو الذين كانوا يضعون خطة لاخلاء المنطقة. وعندما ترجلوا من السيارة وجدوا صعوبة في المحافظة على توازنهم وسط المياه المتدفقة التي غطت ركبهم.

رأت جايمي وتشيَري الرجال الثلاثة وقد انعكست عليهم اضواء السيارة. فصرختا: "أخرجونا من هنا!"

سلط الرجال أضواء مصابيحهم القوية على المكان، فشاهدوا جسمين صغيرين متمسكين بأغصان شجرة عالية.

صرخ سميث: "اصمدا. سوف نساعدكما."

في تلك اللحظة سمع غيسلن تقريراً على جهاز اللاسلكي الذي كان يحمله، مفاده أن عاصفة أخرى وشيكة ستحمل ١٣ سنتيمتراً اضافية من الامطار. واتصل سميث عبر اللاسلكي برجال الاطفاء في كندايل والمدن المجاورة.

واذ انتشر الخبر وصل اطفائيون ورجال شرطة ومتطوعون للمساعدة. ولكن كيف الوصول الى المرأتين المحتجزتين؟

كانت الخطوط الكهربائية ممدودة فوق الشجرة مما يعني استحالة استعمال الطوافة. فتقرر استعمال شاحنة إطفاء مزودة عقيفة وسلماً.

شد حبال. في السابعة صباحاً تحت أشعة الصباح الباهتة كانت مياه الفيضان تتلألأ بلون بني موحل. ابتسمت جايمي وتشيري بارتياح عندما شاهدتا شاحنة الاطفاء الكبيرة المزودة سلماً تشق طريقها نحوهما. واصطف ستة رجال على كل جانب في الطريق لهداية الشاحنة وسط الفيضان. لكن قوة التيار جعلت توجيه الشاحنة امراً مستحيلا.

ووقفت تشيري وجايمي مشدوهتين تراقبان الشاحنة وهي تتراجع. ثم صاحت تشيري: "ما المشكلة؟"

أجابها أحد الرجال صارخاً: "هدِّئا أعصابكما. كل شيء على ما يرام."

في السابعة والنصف بث جهاز اللاسلكي أن العاصفة الثانية ستضرب كندايل خلال ساعة. وفي تلك الاثناء كانت المياه ارتفعت وغمرت الرجال حتى أوراكهم، فباتوا هم أيضاً يحاولون التوازن وسط السيل الجارف. وبدا واضحاً أن تعاظم الفيضان سيؤدي الى استحالة عملية الانقاذ.

ربط المنقذون حبلين بأشجار على الطريق، وأمسك بكل حبل خمسة رجال. وارتدى الاطفائيان روكي كوري وكنت كيركباتريك سترتي نجاة، وربط كل منهما جسمه بطرفي الحبلين. ثم شقّا طريقهما بصعوبة عبر المياه محترسين من سياج الاسلاك الشائكة الذي غطته المياه. وغمرتهما المياه حتى الكتفين. وعندما وصلا الى بعد ثلاثة أمتار من الشجرة غطسا في مياه السيل الجارف. ونجحا في الوصول الى الشجرة، فربطا الحبلين حول جذعها. ثم تسلقا الاغصان الى المرأتين. وكأنما الصدمة أخرست تشيري فلم تنطق ولم تتحرك، فصرخ فيها كيركباتريك بصوت علا صفير العاصفة: "كلِّميني!"

أخيراً قالت تشيري بصوت خافت: "إنني بخير." لكنها أحست كأنما رجلاها مشلولتان، فقالت لجايمي: "اذهبي أنت أولا."

الانقاذ. ألبس كوري جايمي سترة نجاة وربطها بحزام جلدي سميك ينتهي بحلقة معدنية، وربط الحلقة بحبل شده المتطوعون. ثم ربط جايمي بالحبل الآخر وشرح لها أن المنقذين على الضفة

سيجرونهما عبر المياه. وأنزلها الى الماء حيث أمسكها كيركباتريك.

عندئذ أجهشت تشيري بالبكاء.

قالت لها جايمي: "لا تخافي. سأكون هناك في انتظارك."

أسند كيركباتريك جايمي الى صدره بينما كان المنقذون يجرونهما الى اليابسة.

حاولت جايمي جاهدة إبقاء رأسها فوق الماء. وأخيراً امتدت يدان قويتان سحبتاها الى بر الامان.

بعد دقائق عاد كيركباتريك الى الشجرة لمساعدة تشيري على اجتياز التيار. وكانت هذه مرتعبة الى حد أن كوري اضطر الى نزع أصابعها بقوة عن الغصن. وقال لها وهو ينزلها برفق الى كيركباتريك: "ستكونين بخير."

لكن كيركباتريك ألفى نفسه عاجزاً عن التحرك. فقد علق جوربه الايمن بالسلك الشائك. فصرخ في رفيقه: "أرجعها الى مكانها." وراح يرفس جامعاً كل قوته للثبات في وجه التيار الى أن تمكن من افلات قدمه.

وأنزل كوري المرأة المرتعبة الى رفيقه، فمضيا يشقان طريقهما عبر التيار وكيركباتريك يكلم تشيري مطمئناً، ليلهيها عن خوفها. وأخيراً سُحبا الى اليابسة.

بعد لحظات كانت جايمي وتشيري ممددتين جنباً الى جنب في سيارة اسعاف نقلتهما الى المستشفى، حيث عولجتا من هبوط الحرارة وجفاف الجسم والبثور المتورمة من لسعات النمل الاحمر.

وباتت المرأتان صديقتين حميمتين. فبعدما كانت تربطهما معرفة عابرة أصبحتا شريكتين لمدى الحياة في رابط فريد هو صراعهما المشترك.

وتقول تشيري: "اننا محظوظتان. فالله كان معنا."

رينا دكتور لوبلان ■

عطف الاقوياء

جلست قرب النافذة في أحد المقاهي لمشاهدة سباق للدراجات النارية. فجأة اصطفّت دراجات هادرة في الخارج واقتحمت المقهى مجموعة من المتسابقين الأشداء. وسألني أحدهم عن الهاتف فأرشدته اليه. عندئذ ران صمت على الجميع ترقباً للكلام الخطير الذي سيتفوه به الشاب القاسي الملامح. قال: "مرحباً يا أمي، سأتأخر في العودة الى البيت، فلا تقلقي."

س.ب.

التكهنات صعبة، وخصوصاً التكهن بالمستقبل.

ا.ل.

الحمّام ألطف مكان

ما سر النشوة التي تجتاحنا بعد كل حمّام؟

متع قليلة تضاهي الانتقاع والاسترخاء في حوض الاستحمام. وقد دأب الامبراطور الروماني غورديان الأول على "الغطس" أربع مرات أو خمساً يومياً. أما المستحم الامبراطوري الآخر نابوليون بونابرت فكان من عادته الانكفاء إلى حوض ماء ساخن جداً عند منتصف الليل، الأمر الذي استفظعه طبيبه الخاص.

نحن قد لا نستحم عدد المرات التي اغتسل فيها غورديان ولا بدرجة الحرارة التي استحم بها نابوليون، لكننا نفهم هوسهما. فنحن المولعين بالاستحمام نتريث طويلا بعد أن تنجلي القذارة عن

CONDENSED FROM NEW SCIENTIST (DECEMBER 24/31, '88), © 1988 BY NEW SCIENTIST, IPC MAGAZINES, LONDON. ILLUSTRATION: PAPER CHAMELON

الماء، يحدونا توق الى اختبار مؤثرات غامضة على أذهاننا وأجسامنا. ولدى فراغنا من الحمّام الامثل يهدأ روعنا ونسترد نشاطنا.

والأثر المرخي الذي نشعر به يرجع إلى أن أعضاء الجسم المثقلة "تطفو" في الماء، مما يرفع العبء عن العضل مسبباً انخفاضاً عاماً في الاجهاد العضلي. كما أن الحمّام الساخن يخفض ضغط الدم، اذ يفقد الجسم الحرارة بتوسُّع العروق المنتشرة على سطح الجلد، ويفضي ذلك إلى ضعف في مقاومة انسياب الدم والى تدنّ في الضغط.

والماء الحار جداً لا يبعث على الاسترخاء مثل الماء المعتدل. فالانغماس في حوض حرارته ٤٣ درجة مئوية كاف لزيادة حرارة الجسد درجة أو اثنتين ولزيادة سرعة النبض من ٧٥ في الدقيقة إلى ١١٥. وتستلزم عودة الجسم إلى درجة الحرارة الطبيعية نحو نصف ساعة.

ويجني هواة الاسترخاء في حوض ساخن منافع أخرى. وكان منهم أوديسيوس الذي وصف الشاعر هوميروس استحمامه في حوض حار قبل أن يقنع سيرس بفك اسر رفاقه. وتجزم الروايات بأن أرخميدس حقق اكتشافه العظيم وهو في حوض الاستحمام، وبيانه أن جسماً مغموراً في سائل ينقص وزناً بمقدار مساو لكمية السائل الذي يزيحه. لكن الروايات لا تذكر حرارة الماء في حوض أرخميدس.

ويعين الحمام الدافىء على استعادة النشاط بعد التمارين الرياضية. يقول كريغ شارب العالم بوظائف الاعضاء (الفيزيولوجيا) في شعبة علوم الرياضة البدنية بجامعة برمنغهام البريطانية، ان العضلات المنهكة تجني فائدتين من الاستحمام: الاسترخاء وتحسن جريان الدم. والثانية تساعد على تشتيت الحمض اللبني الناتج من التمارين اللاهوائية* وتضمن ابلالا سريعاً من الاعياء، وقد تساعد أيضاً في ازالة السوائل المتغلغلة عبر الاوعية الدموية الى العضل المجهد أثناء التمرينات، وبذلك تخف الاوجاع التي يقاسيها غير اللائقين بدنياً على أثر تمرين مضن.

لكن نقع الجسد في الماء مديداً يتيح للجلد أن يتشرب الماء، فينتفخ ويظهر التجاعيد المألوفة على أصابع اليدين والقدمين.

وللاستحمام بالماء البارد أنصاره أيضاً. فالوثبة المباغتة في المياه الباردة تستل شهقة أفلت زمامها ويصحبها ارتفاع في ضغط الدم. وهي توقف عمل القلب أحياناً. وقد أعد شارب اختباراً عقد فيه مقارنة بين ارتياح الرياضيين المعافين بعد عَدْو تلاه حمام (دوش) بارد وآخر من دون حمّام وثالث بعد حمّام لم يسبقه عدو. فجاء الارتياح بعد الحمام البارد وحده أدنى منه بعد الحمّام الذي يتلو عدواً. لكن ما فاجأ الجميع أن هذا الارتياح الاول كان أعلى مرتبة منه بعد

(*) Anaerobic exercise

العدو من دون استحمام. ويبدو أن الاحساس بالماء البارد مسفوحاً على الجلد كاف لاحداث شعور بالغبطة.

وقد أفادت منتجعات المياه المعدنية أجيالا لا تحصى من المرضى. ومن المنجذبين الى مائها المصابون بالرثية (الروماتيزم) وبأمراض جلدية مزمنة.

ويأخذ الاستحمام الطبي أنماطاً تثير الاستغراب، مثل لجوء بعض المصابين بالرثية الى استعمال الشمعِ أو الرمل الساخن أو النبات شبه المتفحِّم أو الوحل في استحمامهم. وتصادف مغاطس الشوفان والكبريت هوى عند المصابين بأمراض جلدية.

وعمد المستحمون إلى بدائل أخرى في سعيهم الى تجارب ذات نكهة خاصة. فكانت بوبايا زوجة نيرون الثانية تستحم في حليب قطيع من ٥٠٠ أتان كانت تملكها. وكانت لحمامات الدم استعمالات شتى عبر السنين، فقد دأب محاربو بعض المجتمعات في غابر الأزمان على تلطيخ أجسادهم بدماء أعدائهم، واعتبر حمام الدم علاجاً شافياً من الجذام حتى العصور الوسطى.

ولعل الحمامات المعطرة مستساغة لأذواقنا اليوم. ويلقي أنصار العلاج بالعطور بضع قطرات من الزيت في الماء أملا بتنقية المزاج وتفريج الكرب.

نحن اليوم نرمق الاستحمام بايجاب، لكن الناس لعصور خلت اعتبروا أن كثرة الاستحمام بالماء الحار توهن الجسد.

لكن بعض المحاذير حقائق لا ريبة فيها. فبعض الاشخاص يغمى عليهم في الماء الحار، اذ ان تحوُّل الدم الى الجلد قد يخل بانسيابه الى الدماغ. والسكتة القلبية احتمال وارد عند الاستحمام في ماء شديد السخونة، وخصوصاً اذا ما كانت حجرة الحمام عابقة بالبخار فتمنع تبخر العرق المبرِّد للجلد. وبلوغ حرارة جسم الانسان ما بين ٤٢ و٤٣ درجة مئوية قد يكون قاتلا.

وجـرائم القتل تمتُّ بصلـة الى الحمامات. ولعل المثال الأشهر ما وقع عام ١٧٩٣ حين طعنت شارلوت كورداي العالم والسياسي جان بول مارا الذي ذاع صيته ابان الثورة الفرنسية. وكان الاستحمام شغله الشاغل آنذاك، اذ كان مصاباً بتهيج جلدي استوجب الغمس في ماء بارد. وقد سُجي جثمانه – والحوض قربه – في مكان عام للوداع الاخير. وصوَّر الرسام الفرنسي جاك لوي دافيد ذلك الحدث في لوحته "مقتل مارا".

وعلى رغم مصير مارا تبقى الحمامات أماكن آمنة، أليفة، يتسنى للمرء فيها أن يتفكر من دون تفرق خاطر. واذ ننتقل الى سكنى بيت جديد تظل الملكية منقوصة حتى ننظف المرحاض ونطهره وندشنه على نحو لائق. ومن قبيل ذلك توقنا الشديد الى الاستحمام حالما ندخل حجرتنا في أحد الفنادق.

الحمّام، غسلاً كان أو تحللاً من التبعات، قوة يحسب لها حساب على الدوام.

ستيفن يونغ ■

اضواء من عالم الطب

جراثيم تسبب القرحة

■ تشير أدلة حديثة جمعها الاطباء الى أن جرثومة (باكتيريا) صغيرة تصيب بطانة المعدة قد تكون السبب الرئيسي للقرحة لدى أناس كثيرين. وفي بعض الحالات يؤدي تناول مضادات حيوية (انتيبيوتيك) الى الشفاء.

اكتُشفت الجرثومة "هليكوباكتر بيلوري"(*) في معظم المرضى المصابين بقرحة المعي الاثني عشري (الجزء الاول من المعي الصغير) ولدى ٧٠ في المئة من المصابين بقرحة المعدة. ولكن ليس كل من يحمل الجرثومة يصاب بالقرحة، لذا فالاطباء ليسوا على يقين من أن الجرثومة هي وحدها مسببة الداء.

وتُحدث القرحة حُفَراً صغيرة في المعدة أو الامعاء، وتراوح أعراضها الشائعة بين الوجع وعسر الهضم والنزف الخطير. وان تكن الادوية المتوافرة حالياً مثل "زانتاك" و"تاغاميت" فاعلة في ضبط القرحة، الا أنها لا تشفي المرض.

ويستخدم بعض الباحثين تركيبة من المضادات الحيوية لمعالجة المرضى الذين يعانون قرحات حادة متكررة. وقد أفيد عن شفاء ما بين ٨٠ و٩٠ في المئة من الحالات، لكن هذه المعالجة مثيرة للجدل اذ ليس فيها دواء واحد يشفي التهابات المعدة، كما أنها تسبب أعراضاً جانبية. ومهما يكن، فمن المنتظر تطوير فحوص أفضل لكشف الاصابات وتوافر عقاقير مختصة لمعالجتها على نطاق واسع في غضون سنتين أو ثلاث سنوات.

صحيفة "نيويورك تايمز"

(*) Helicobacter pylori

للخائفات من تخلخل العظام

■ لقد بات في الامكان إخطار النساء باكراً باحتمال اصابتهن بداء ترقُّق العظام (تخلخلها) من طريق أخذ مقاييس عظمة واحدة. فقد عمدت عالمة الاحصاء الأحيائي سيو هوي من "معهد ريجنستريف للعناية الصحية" في انديانابوليس، الى اجراء دراسة على مجموعة من ٥٢١ امرأة بيضاء دامت ١٥ سنة. فتبين لها أن قياس كتلة عظم الكعبرة - أحد عظمي الساعد - في بداية تلك الدراسة أنبأ بأي منهنّ قد تصاب لاحقاً بكسور في المعظم خارج العمود الفقري. فكلما كبرت الكتلة العظمية ازدادت الوقاية من كسور العظم.

ففحص الكتلة العظمية (وهو اجراء سهل وغير مؤذ) يمكن اجراؤه قرابة انقطاع الدورة الشهرية (ما يُسمّى "سن اليأس") حين تتسارع خسارة العظم. فاذا تبين أن المرأة معرَّضة للكسور، ففي وسع طبيبها وصف المعالجة الوقائية الملائمة.

صحيفة "لونغيفيتي"

عيون اصطناعية

■ مهما بلغ الشبه بين العين الاصطناعية وتلك الطبيعية، فإن محدودية حركة الاولى غالباً ما تكون مصدراً لارتباك صاحبها. لكنّ مادة جديدة تستعمل في زرع العين الاصطناعية يمكنها تأمين حركة شبه طبيعية.
والنسيج المزروع الذي طوّره الدكتور آرثر بري من مستشفى سكريبس التذكاري في لاهولا بولاية كاليفورنيا، مصنوع من مادة عظمية اصطناعية تدعى هيدروكسياباتايت*. وهو يشبه العظم الطبيعي الى حد بعيد. فيمكن تثبيت عضلات العين اليه مما يوفر حركة طبيعية أكثر للعين الاصطناعية ويسمح للأنسجة المجاورة بالنمو داخل النسيج المزروع. وتعلَّق العين الاصطناعية بهذا النسيج بواسطة "وتد" ساند يسهل الحركة ويمنع الجفن السفلي من الارتخاء وهو ما يحدث عادة بعد مرور زمن على اجراء الزراعة التقليدية للعين الاصطناعية.
ولقد أجري أكثر من ١٥٠ زراعة ناجحة.

صحيفة "ميديكال تريبيون"

فحص التليُّف الكيسي

■ ثمة فحص جديد لـ"الخطأ الوراثي" او التغيار الأحيائي[١] الذي يتسبب في معظم حالات التليّف الكيسي.[٢] ويَعِد هذا الفحص بكشف ٧٠ في المئة من الناس الذين يواجهون خطر انجاب أولاد يحملون المرض. والتليّف الكيسي هو المرض الوراثي القاتل الاكثر انتشاراً بين الأحداث الامريكيين.
وتقضي "الغربلة" بأخذ عيّنة دم من كل شخص وتحليل الحمض النووي الوراثي «DNA».[٣] وهي قد تبين للناس ما اذا كانوا يحملون التغيار الاحيائي قبل أن يقرروا الانجاب. وان واحداً من كل ٢٥ أمريكي أبيض يحمل نسخة من مورثة (جينة) المرض. فاذا تزوج حاملٌ امرأة حاملا، فثمة احتمال بمعدل واحد من أربعة أن يولد طفلهما مصاباً بالمرض. ويمكن فحص الجنين أيضاً.
يتسبب التليف الكيسي في افراز مادة مخاطية كثيفة قد تسفر عن التهاب في الرئتين ومشاكل معدية ومعوّية. وفي وسع الاطباء تلطيف بعض الاعراض، ولكن لا شفاء من المرض، والمصابون قد يموتون قبل بلوغ الثلاثين.

وكالة "اسوشييتد برس"

(١) Mutation

(٢) Cystic fibrosis

(٣) Deoxyribonucleic Acid

السمّ يشفي الفالج

■ يبدو أن سم الافعى الماليزية القاتلة* قد يكون فاعلا في تخفيف العجز الناتج من السكتة الدماغية (الفالج).
ويحتوي سم هذه الافعى على خميرة (أنزيم) توقف تخثر الدم مما يتسبب في وفاة الضحية الملدوغة من جراء نزف داخلي. لكن جرعات صغيرة من السم ذاته قد تذيب الجلطات الدموية في دماغ المصاب بالسكتة. وهذه الجلطات تسبب ٧٥ في المئة من مجموع السكتات وقد تخلّف تلفاً في الدماغ.
والعقار الاختباري "أرڤين" يستخرج باستحلاب السمّ من الأفاعي الماليزية، ويتعين اعطاؤه في غضون ساعات قليلة بعد حصول السكتة. وهو الآن في قيد التجارب السريرية.

صحيفة "أومني"

(*) Agkistrodon rhodostoma

صديقة الشمبانزي

عاشت ثلاثين سنة في عالم القرود وروت عنها قصصاً مثيرة نقضت مفاهيم علمية سادت قروناً

كان الهواء ثقيلا ورطباً ونحن نرتقي الممر الشديد الانحدار في محمية غومبي الوطنية المنتشرة على مساحة ٣٢ ألف كيلومتر مربع من الغابات الخصبة في تانزانيا على الضفة الشمالية الغربية من بحيرة تنغانيكا. وحثثت الخطى محاولة اللحاق بالقامة الرشيقة التي كانت تشق أمامي ستائر الغابة الكثيفة. كنت أسير متتبعاً خطى جين غودول التي كرست معظم حياتها لدراسة قرود الشمبانزي في هذا المنتجع الحيواني المترامي الأطراف.

ولدى وصولنا الى فسحة في الغابة توقفت جين فجأة وطلبت مني الجثوم. ثم قالت بصوت خفيض مشيرة الى أنثى شمبانزي جلست على بعد ثلاثة أمتار منا: "هذه سكوشا." وتابعت مشيرة الى

PHOTO: JACK DYKINGA / BRUCE COLEMAN INC.

قردين لحقا بالانثى: "وهاهما ويلكي وفرويد،" وهما ذكران ضخمان يزن الواحد منهما نحو ٤٦ كيلوغراماً ولكل منهما كتفان مكتنزتان ورقبة كرقاب المصارعين. وأضافت جين محذرة: "تفوق قوة الشمبانزي أربعة أضعاف قوة الرجل. وهو، إن شاء، قادر فعلا على ايذائك. لذا اخلدي ساكنة ولا تنبسي ببنت شفة ولا تحدقي اليها." وهنا مرَّ الذكران بنا سراعاً، ثم توقفا فجأة بمحاذاة شجرة وراحا يمضغان ثمار الجوز بصوت طاحن.

وما هي الا لحظات حتى مرَّ بنا ذكر آخر لامست ذراعه جين برفق وهو يمشي متثاقلا. ثم انطرح أرضاً على ظهره وغط في نوم عميق. فقالت جين مبتسمة: "إنه فرودو العجوز الطيب. لطالما عجبت لهذه الثقة. كل ما عليك هو إبداء الاحترام."

ذكاء الشمبانزي. لا أحد يعرف حيوانات الشمبانزي كما تعرفها هذه العالمة الطبيعية التي لا تعرف الكلل. وجين غودول هي اليوم في السادسة والخمسين من عمرها وما زالت تحتفظ بطلة شابة، اذ تعلو محياها ابتسامة فتية وشعرها معقوص بتسريحة "ذيل الفرس" السائدة بين الفتيات. وهي أمضت، ثلاثة عقود في حلّ وترحال في هذه البقعة النائية من افريقيا. وتبعد محمية غومبي مسافة ٢٠ كيلومتراً في القارب من شمال كيغوما، البلدة الأقرب اليها والتي يمكن بلوغها في رحلة شاقة بسيارة "جيب" تستغرق يومين أو ثلاثة أيام، أو في قطار أو عبر خط جوي غير نظامي من العاصمة التانزانية دار السلام الواقعة على بعد ١٠٠٠ كيلومتر شرقاً.

كانت جين تستيقظ مع الفجر وتتسلق الجبال الوعرة المطلة على البحيرة حيث تقبع ساعات، وأحياناً أياماً، تراقب سلوك قرود الشمبانزي وتسجل بيانات عن أنماط حياتها وطعامها وشجارها وتناسلها وعنايتها بأولادها ونفوقها. وهي نشرت، استناداً الى هذه الدراسات، ستة كتب وأعداداً وافرة من المقالات العلمية التي تناولت ما يزيد على مئة شمبانزي عبر ثلاثة أجيال. وتعتبر جهودها أطول مشروع أبحاث أُجري علىحيوانات برية.

يقول ريتشارد رانغام أستاذ علم الانسان (الانثروبولوجيا) في جامعة هارفارد وأحد أبرز الخبراء في شؤون الشمبانزي: "لقد جمعت غودول في عملها بين عناية العالم ورهافة حس الباحث الانثروبولوجي." أما عالم الاحاثة (بليونتولوجيا) جاي غولد فوصف عملها بأنه واحد من أبرز المنجزات العلمية في العالم الغربي."

وتقارير غودول التي جُمعت بادىء الامر كملاحظات وصور فوتوغرافية وعززت لاحقاً بآلات تسجيل وكاميرات فيديو – ليست دراسات أكاديمية باردة بل مؤرَّخات لأفراد مميزين. فقد عمدت غودول منذ البداية الى تسمية قرود الشمبانزي التي درستها بأسماء اصدقائها وأفراد عائلتها (مثل أولي التي

ماثل فروها الأبيض شعر عمتها أولين) أو بأسماء صاغها مزاجها. وتقاريرها الدقيقة التي سردت مغامرات ونكل وولفي وساتن وسبروت فتنت القراء من علماء وعامة على السواء في أنحاء العالم. وتُرجم كتابها "في ظل الانسان"[1] الصادر عام ١٩٧١ الى ١٧ لغة. وفي يوليو (تموز) ١٩٩٠ صدر لها كتاب "عبر نافذة"[2] الذي جاء متمماً لكتابها السابق. ولا تزال تحفتها الرائعة "شمبانزي غومبي"[3] الصادرة عام ١٩٨٦ تحقق رواجاً منقطع النظير.

والى القصص المثيرة التي أوردتها، تمكنت غودول من نقض عدد من الخرافات عن سلوك الشمبانزي. وكانت شاهدت عام ١٩٦٣ ديفيد غرايبيرد (صاحب اللحية الرمادية) وهو أول شمبانزي عرفته جيداً وكان يمزق بأنيابه الحادة جيفة حيوان بري. وهي المرة الاولى يرى عالم قرد شمبانزي حراً في البرية يأكل لحماً. واستنتجت غودول لاحقاً ان الشمبانزي يقتل ويأكل طائفة من القرود وصغار بقر الوحش، ويصطاد ضمن مجموعة تشارك في افتراس لحوم الطرائد.

واكتشفت جين كذلك أن الشمبانزي يصنع أدوات ويستعملها، وهذه ظاهرة ذكاء لطالما قُصرت على الانسان. وقد راودتها هذه الفكرة للمرة الاولى عندما رأت ديفيد غرايبيرد يقتلع ساق عشبة طويلة ويدخلها في قرية نمل ابيض، ثم يخرجها من الثقب ويزدرد ما علق بها من حشرات. أما أكثر الادوات إثارة للفضول فهي "اسفنجة الورق" التي يصنعها الشمبانزي بمصنعه عدداً من الأوراق

(١) In the Shadow of Man

(٢) Through a Window

(٣) The Chimpanzees of Gombe

فيفي، "ريِّسة" غومبي، وصغير في حمى الغابة.

PHOTO: © GERRY ELLIS / ELLIS WILDLIFE COLLECTION

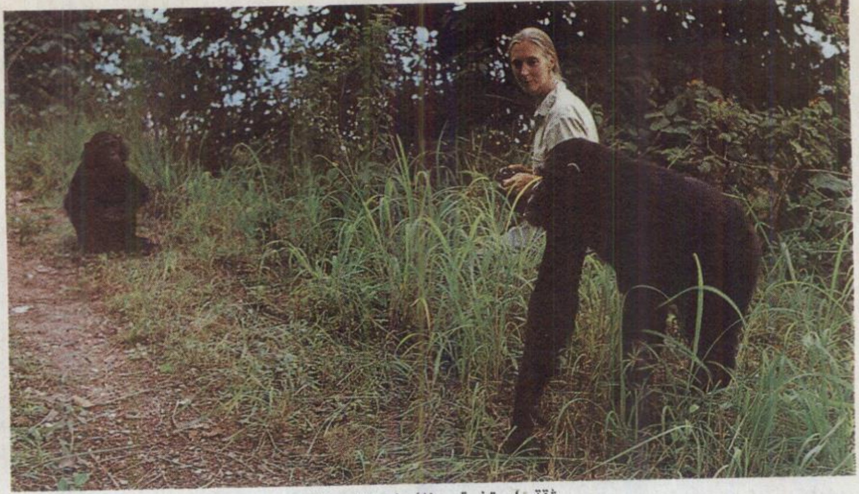

ثقة استغرق بناؤها ٣٠ سنة.

النباتية حتى تصبح كتلة لينة، ويستعملها للحصول على ماء المطر من تجاويف في الاشجار لا يستطيع الوصول اليها بفمه. وهو يدخل "الاسفنجة" في الثقب لتتشرب الماء ثم يمصّها حتى تنشف. والشمبانزي، كما تقول جين، "يستعمل تشكيلة أكبر من الاشياء لأغراض مختلفة أكثر مما يفعل أي كائن آخر، ما عدا الانسان."

ووجدت جين أنها كلما طالت مراقبتها لقرود الشمبانزي ازدادت ملاحظة لشبهها بالانسان. تقول: "يتشارك الانسان والشمبانزي في مادة وراثية تصل نسبتها الى ٩٩ في المئة تقريباً. والشمبانزي أقرب الى الانسان بيولوجياً منه الى الغوريلا." وتماثل دورة حياة الشمبانزي دورة حياة الانسان. فهو يمر بمرحلة طفولة تستغرق خمس سنوات، وبمرحلة صبا، وبمرحلة مراهقة بين التاسعة والثالثة عشرة من العمر، وبمرحلة أبوة، وبمرحلة كهولة بين السن الخامسة والثلاثين والسن الأربعين، ويبلغ متوسط عمره في البرية ٥٠ عاماً. ويعبر الشمبانزي عن مشاعر الخوف والحزن والغضب والغيرة، كما ينزع الى ارساء روابط لمدى الحياة مع أعضاء عائلته وأصدقائه. وقد راقبت جين أمهات الشمبانزي وهي تهدهد صغارها، كما رأت الاصدقاء يتعانقون ويتماسكون بالأيدي بعد فراق، والصغار يتوسلون الطعام بأيد ممدودة. وحزن الشمبانزي حقيقي كحزن الانسان. وحين تهاوت "العجوز الطيبة فرو" التي كانت أماً مثالية، ونفقت وهي تجتاز ممراً مائياً، جلس ابنها فلنت لأيام على ضفة النهر الى جانب جثتها، وانقطع عن الطعام

PHOTOS: © GERRY ELLIS / ELLIS WILDLIFE COLLECTION

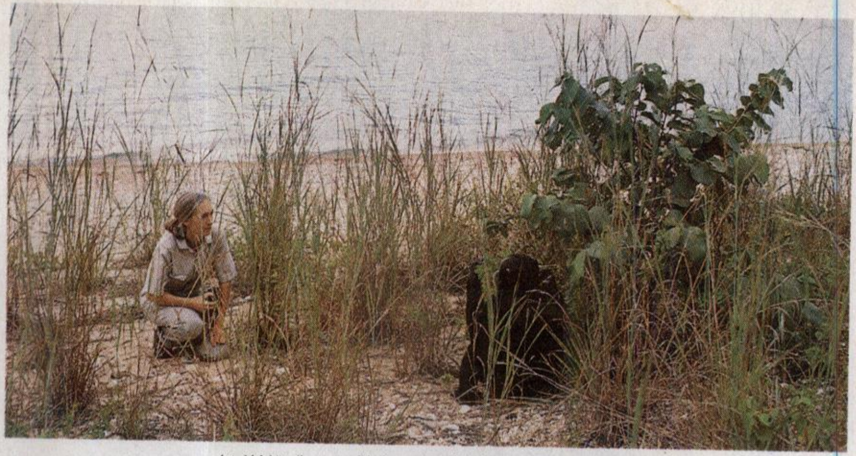
جين غودول و"أصدقاؤها" على ضفة بحيرة تنغانيكا.

وتمدد قانطاً في المكان لمدة شهر... حتى نفق.

سلام الأيدي. ولدت جين غودول في لندن عام ١٩٣٤. وكان والدها عضواً في "جمعية المهندسين الملكية." وحين أرسل الى فرنسا ثم الى ماليزيا ابان الحرب العالمية الثانية، انتقلت جين وشقيقتها مع أمهما فان الى منزل جدتهما في الريف. وحين كانت جين في الخامسة من عمرها اختبأت مرة لساعات في قن الدجاج لترى كيف يتم وضع البيض، واستنجدت أمها المرتاعة بالشرطة للبحث عنها. وفي سنوات لاحقة أكبت جين على قراءة كتب عن الحيوانات، وخصوصاً "مغامرات الدكتور دوليتل" للكاتب هيو لوفتنغ، وقد أحبت على الأخصّ أحد فصوله المتعلقة برحلة "دوليتل" الى أفريقيا لمعالجة ألوف القردة المصابة بوباء. وتذكر جين: "كنت في الثامنة من عمري، لكني عرفت منذ تلك اللحظة أني أود العيش مع الحيوانات البرية في أفريقيا."

تركت جين المدرسة وهي في الثامنة عشرة من عمرها. وكانت تعمل في أحد الاستديوهات السينمائية في لندن حين دُعيت عام ١٩٥٦ لزيارة مزرعة في كينيا تخص عائلة احدى صديقاتها. فقبلت الدعوة على الفور.

وفي رحلة الى نيروبي (كينيا) التقت جين عالم الانسان الذائع الصيت لويس ليكي الذي كان آنذاك قيِّماً على متحف كينيا للتاريخ الطبيعي. فعرض عليها العمل سكرتيرة لديه. وفي العام ١٩٥٧ أخبرها عن طائفة من قرود الشمبانزي عند شاطىء بحيرة تنغانيكا، وسألها ان كانت على استعداد لقضاء بضعة أشهر هناك بهدف تدوين تحركاتها. فاستثارها

عرضه وعادت على الفور الى لندن حيث قضت ١٨ شهراً تدرس تقاليد الشمبانزي، فيما انصرف ليكي الى جمع الاموال اللازمة للمشروع.

وفي يونيو (حزيران) ١٩٦٠ عادت جين الى أفريقيا برفقة أمها. وفان غودول اليوم سيدة مرحة مفعمة بالحيوية في الرابعة والثمانين من عمرها، وهي تذكر ساعة وصولهما الى ما كان يسمى "محمية نهر غومبي للشمبانزي." فقد توجهتا برفقة دليلين الى منبسط قرب ضفة بحيرة تنغانيكا حيث نصبتا خيمتين. تقول فان: "لم نَرَ أي مظهر للحياة سوى بضعة سعادين كانت تلعب على الشاطىء. وكان واضحاً أن الحضارة بعيدة عن ذاك المكان." وكانت جين عند بزوغ كل فجر تتسلق قمة الجبل القريب التي تعلو ٧٦٠ متراً بحثاً عن الشمبانزي، فلم تحظَ طوال أسابيع بسوى رؤية خاطفة لهذه الحيوانات عبر منظارها. وحتى بعدما بدأت تخيم ليلا في القمة كانت القرود تهرب فور رؤيتها.

وذات يوم، بعد مضي ثمانية أشهر على وصولها الى غومبي، كانت تشق طريقها وسط الأدغال، فرأت شمبانزياً أحدب قاطعاً طريقها. ثم سمعت صوت "هوو!" من ذكر كبير اعتلى غصناً قريباً. ثم سمعت جلبة الى يسارها تراءت بعدها عينان سوداوان تلتمعان أمامها. ومن الخلف تردد صوت "هوو!" فنظرت جين حولها لتجد نفسها محاصرة من كل جهة.

وهنا أطلق الشمبانزي الذي في الشجرة صوتاً كالرعد تقشعر له الابدان: "وراااه!" وأخذ يهز الغصن الذي يعتليه بعنف. فرددت القرود الاخرى صيحته المريعة. وما هي الا لحظات حتى انطلق من الأجمة شمبانزي آخر انتصب شعره غضباً، وهجم في اتجاه جين، لكنه في اللحظة الاخيرة حوَّل مساره نحو الغابة، وانطلق الآخرون في إثره.

تقول جين: "حين نهضت لم أسمع في الغابة صوتاً سوى خفقان قلبي." بيد أن ارتياعها تحول شعوراً بالابتهاج اذ أحست أن خوف الشمبانزي منها تضاءل. أما الفرحة الحقيقية فحصلت عندما اقترب من خيمتها ذات يوم ذكر وسيم له لحية رمادية ونشل بعض ثمار الموز. ولم تمض بضعة أيام حتى عاد مع صديقين، مما أتاح لجين مراقبة الشمبانزي من مسافة قريبة.

ولم يكن هذا سوى ديفيد غرايبيرد الذي كان أول شمبانزي يسمح لجين بمقاربته. وذات يوم فيما كانت تراقبه عند جدول، تناولت جوزة يانعة وقدمتها اليه على راحة يدها. فنظر القرد الى الثمرة، ثم الى جين، ثم تقدم ووضع يده على يدها وشدَّ عليها برفق لبضع ثوان. تقول جين: "لم أكن في حاجة الى تفسير علمي لكي أفهم إشارة الطمأنة تلك. وهي مكافأة فاقت أقصى ما تمنيته."

أصدقاء في خطر. كان لأبحاث جين التي نقلها ليكي الى الاوساط العلمية، وقع عظيم أتاح لها العودة الى بريطانيا

في مطلع العام ١٩٦٢ حيث أعفيت من مرحلة الدراسة الجامعية وبدأت تحضر لنيل درجة دكتوراه في علم السلوك الحيواني (ايثولوجيا) في جامعة كامبردج. وعادت الى غومبي بعد ١٨ شهراً. وفي العام ١٩٦٤ أسست "مركز غومبي ستريم للأبحاث." فوفد عشرات الطلاب من أوروبا وأمريكا للعمل معها. الا أن هذا المشروع توقف فجأة عندما أجتازت مجموعة من المسلحين القادمين من زائير بحيرة تنغانيكا ودخلت المخيم بحثاً عن جين. وعندما رفض الحارس ارشادهم الى مكانها، على رغم تهديده بالسلاح، عمد المسلحون الى أسر ثلاثة أمريكيين وباحث هولندي واحتجزوهم مدة ثلاثة أشهر في زائير قبل إطلاقهم بفدية.

أوقفت هذه الصدمة وفود الباحثين الأجانب الى غومبي، الا أنها لم تثنِ عزيمة جين التي تولت تدريب عدد من المساعدين الميدانيين التانزانيين، وبات لديها اليوم فريق من ٢٢ مساعداً متفانياً. تقول عنهم انهم يحبون حيوانات الشمبانزي "كما أحبها أنا. ويتحدثون عنها في قراهم ويأتون بعائلاتهم لمشاهدتها."

وفي العام ١٩٦٤ تزوجت جين مصور البراري هوغو فان لافيك الهولندي المولد. وفي العام ١٩٦٧ رزقا ابناً سمياه غروب، ترعرع في غومبي ويجري اليوم أبحاثاً على الحياة البرية في أفريقيا الشرقية. لكن زواج جين الاول انتهى بالطلاق. فتزوجت عام ١٩٧٥ دريك بريسون النائب في البرلمان التانزاني ومدير المتنزهات الوطنية في البلاد. لكنه ما لبث أن توفي في العام ١٩٨٥ بداء السرطان.

واليوم تقضي جين - أو "ماما بريسون" كما يدعوها المسؤولون المحليون - ردحاً من كل سنة في منزلها المتاخم للبحر في دار السلام حيث ترد على الرسائل الكثيرة التي تتلقاها وتكتب التقارير والكتب متيحة لمناصريها متابعة أبحاثها. وهي تمضي نحو ثمانية أشهر من كل سنة في السفر عبر أمريكا وأوروبا، حيث تلقي محاضرات في الجامعات والمتاحف وجمعيات علم الحيوان متوخية جمع المساعدات المالية لمتابعة أعمال التدريب في غومبي. وهي، الى ذلك، لا تألو جهداً في شن حملات للرفق بقرود الشمبانزي والتنبيه الى الاخطار التي تتهدد "أصدقاءها."

ولا شك في أن عالم الشمبانزي يتعرض لضغوط متنامية، فعدد هذه الحيوانات الذي فاق المليون في نهاية القرن التاسع عشر، تناقص على نحو مأسوي بحيث لم يبق منها سوى ١٧٥ الفاً متناثرة في ٢١ بلداً عبر افريقيا الاستوائية. فالمزارع وشركات التحطيب لا تنفك تدمر مواطنها، كما أنها تُصاد في بعض البلدان كمصدر للطعام. أما ألدّ أعدائها فهم اللصوص الذين يسرقون صغارها لبيعها الى السيركات والمرابع الليلية وحدائق الحيوان ومراكز الابحاث الطبية. تقول جين: "قد ينفق أكثر من

عشرين من صغار الشمبانزي خلال عملية الأسر والنقل، في مقابل كل ناج." وبفضل مساعي جين أدرج الشمبانزي على لائحة "الحيوانات المعرضة للانقراض" لدى "مصلحة الاسماك والحياة البرية" في الولايات المتحدة، فباتت هذه الحيوانات تحظى بمزيد من الحماية بعدما كانت أدرجت على لائحة الحيوانات التي يحميها "مؤتمر التجارة الدولية الخاص بالحيوانات المعرضة للانقراض." وتعتقد جين أن "هذه الاجراءات لن توقف الاتجار بالشمبانزي، لكنها ستبطىء هذه النشاطات حتماً."

وتكافح جين أيضاً من اجل تحسين ظروف عيش الشمبانزي في حدائق الحيوان ومختبرات الابحاث. وأسلوبها فاعل وان يكن هادئاً. فهي تحدثت عن ذكاء الشمبانزي في العام ١٩٨٩ أمام طائفة من علماء الطب الاحيائي في واشنطن. وفي إثر ذلك اللقاء أعلن غيزا تيلكي الخبير الأمريكي بقرود الشمبانزي: "لقد أدرك كثيرون، للمرة الاولى، أن هذه الحيوانات مختلفة عن فئران المختبر." ولدى انتهاء جين من محاضرتها تلك وقف الحضور وصفقوا لدقيقتين والدموع تترقرق في مآقي كثيرين منهم.

واليوم توزع جين نشاطاتها بحيث لا تعود الى غومبي الا ثلاث مرات في السنة. لكنها تعتز بهذه الزيارات وتقول: "أحب أن أقضي الوقت وحيدة مع حيوانات الشمبانزي. فهي تنسيني مكدرات الحياة وتمنحني انتعاشاً روحياً." وعلى رغم أن تجوال جين الكثيف حول العالم كفيل بارهاق كثيرين، فليس هناك ما يشير الى رغبتها في الاعتزال بعدما احتفلت هذه السنة بالذكرى الثلاثين لوصولها الى غومبي. تقول: "لقد منحتني حيوانات الشمبانزي كثيراً من الفرح ونفاذ البصيرة، ومن واجبي أن ألفت أنظار الآخرين الى روعتها وأن أساعد في انقاذها لتبقى للأجيال القادمة."

ديبرا كاولي ■

موظف مثالي

أوكل الي في مختبر الالكترونيات تصميم دارة كهربائية تضيء مصابيح معينة بترتيب مواضع أربعة مفاتيح. ولدى انتهائي من العمل - كما اعتقدت - أشرت الى معلمي الذي راح يتفحص التركيبات الى أن عثر على واحدة لا تعمل كما يجب.

فعدت وتفحّصت الأسلاك ووجدت أحدها فالتاً فوصَلْته. ثم عاد المعلم وتفحص التركيبات وقال لي: "انت الآن مؤهل للتخرج وتسلم وظيفة حكومية، فباصلاحك المشكلة الاولى أوجدت مشكلتين غيرها."

د.ف.

كتاب الشهر

الطريق إلى الحريّة

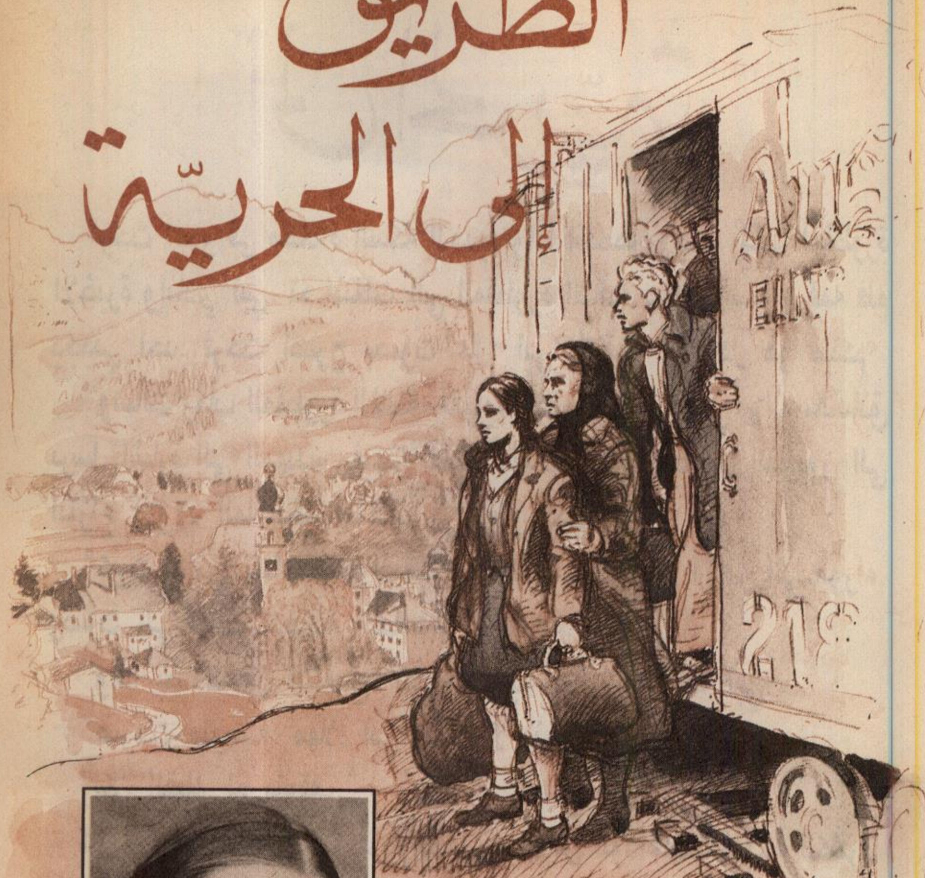

ملخص من كتاب "رحلة نينا"

بقلم نينا ماركوفنا

الطريق إلى الحريّة

"رحت أعدو في محاذاة السكة الحديد وأنا أتفحص وجوه ركاب المقطورة الاخيرة وأنادي أبي. ثم انتقلت الى المقطورة التالية مرددة اسمه ورقمه فلم يجبني أحد. فرحت أصرخ بصوت عال: أبي! الرقم ٤١٠! هل هو بينكم؟

"وسألت ركاب المقطورة الثالثة، فالرابعة، فلم أعثر على أبي. واذا بالسائق يرسل اشارة الى المهندس فيهتز القطار بعنف. وعمد الحراس النازيون الى انتزاع الاولاد الملتصقين بأهلهم في عناق أخير.

"كررت ندائي: بابا! بابا! واذ تحرك القطار شعرت كأني أركض الى الوراء. وصرت الى جانب الحافلة الخامسة فالسادسة.

"واذا بيد تحاول التلويح. ثم ظهر وجه قلق. انه وجه أبي!

"صرخت متوسلة: مهلا! أبي! مهلا! لا تذهب.

"لكن القطار لم يتوقف."

كان افتراق نينا ماركوفنا عن والدها واحداً من الوداعات الفاجعة الكثيرة. وها هي تروي في مذكراتها معاناة أهلها وشعبها خلال فترة مروّعة من التاريخ. وقصتها هي قصة الشعب الروسي بأسره الذي وقع بين فكّي كماشة في الصراع الدائر بين جبارين هائلين هما أدولف هتلر وجوزف ستالين. انها ملحمة عذاب ومعاناة وخسارة وضياع، لكنها أيضاً قصة محبة وعطف وإلهام وارادة بقاء قوية في وجه الموت.

CONDENSED FROM «NINA'S JOURNEY,» COPYRIGHT © 1989 BY NINA MARKOVNA, IS PUBLISHED BY REGNERY GATEWAY, WASHINGTON, D.C. ILLUSTRATIONS: JAMES NOEL SMITH

كان الليل هادئاً. وتناهى الي هدير السيارة كأنه هزيم رعد هادر. فلا أحد يقتني سيارة في بلدتنا دولوفو الباعدة ١٠٠ كيلومتر عن موسكو. فلا شك اذاً في أنها "غراب أسود." وهذه سيارة طويلة رسمية كانت تستخدم في نقل المعتقلين الى أقبية الشرطة السرية (NKVD) . كان ذلك في منتصف ليل ٩ مارس (آذار) ١٩٣٨.

وهدرت السيارة وتوقفت خارج منزلنا.

قفز والدي من الفراش وشرع في ارتداء ملابسه التي كان هيأها على كرسي قريب. انها أدفأ ثياب لديه: سترة مبطنة، سروالان رماديان، قبعة فرو، قفازات، ولفاع صوفيّ. هي ثياب "الحالات الطارئة."

وقفت وأخي سلافا نراقب أبي وهو يرتدي ثيابه. كنا نرتجف، وبدا وجه أمي مغضنا وقد حز فيه الالم.

ثم أخذت أمي ترنِّم بنغم رتيب شجيّ كما تفعل النساء الروسيات حين يواجهن مصيبة شديدة: "يا زوجي العزيز مارك، حاول أن تنتبه لنفسك وترجع الينا حياً. يا عزيزي مارك."

ارتدى أبي ثيابه بسرعة. وبدا أنفه بارزاً دقيقاً شاحبا. وتغير لون عينيه اللتين كانتا في دكنة الكرز الناضج الى سواد قاتم قاس. فيه كل معاني الكآبة الصامتة.

وسمعنا خطى الجزمات الجلدية الثقيلة وهي تغوص في الثلج. واقتربت الخطى من مدخل دارنا، وعلا صوت: "افتحوا! الشرطة!" وارتجّ الباب تحت وابل اللكمات وركل الجزمات.

هرع أبي الى أمي وضمّها اليه بقوة وأخذ يردد كأنه يحاول اقناع نفسه: "سأبقى حيا، سأبقى حيا، ولن أستسلم لليأس." وأضاف محاولا أن يبتسم: "وأنت يا ناتاشا، لا تستسلمي، من أجل الاولاد."

تكرر القرع العنيف. فضمّني أبي أنا وسلافا مودعا، ثم رفع مزلاج الباب وفي احدى يديه رزمة وفي الاخرى جواز سفره.

اندفع شرطيان الى الداخل. فأزاحا جواز السفر الذي تعيّن على كل مواطن روسي تسليمه الى السلطات لدى القبض عليه، وصاحا غاضبين: "اللعنة عليك وعلى جواز سفرك. نريد مطرقة لاصلاح السيارة."

تسمّر أبي في مكانه عاجزاً عن الفهم وكأنه يسمع لغة أجنبية لا يفقهها. فسدد أحد الرجلين لكمة الى فكه مزمجراً: "مطرقة!"

عندئذ فقط أدرك أبي أن هذين الرجلين لم يأتيا للقبض عليه. فأسرع الى زاوية في البيت ورجع بمطرقة. فخرج الشرطيان الى سيارتهما من دون أن ينبسا بكلمة. تشبثنا نحن الاربعة بعضنا ببعض عند الباب المفتوح غير مصدقين أن في إمكاننا

غلقه. وبعد طرقات صامة وشتائم كثيرة بدأ المحرك بالدوران ثم انطلق "الغراب الاسود" المرعب هادراً، وتوارى. عندئذ أجهشنا بالبكاء.

نمنا قليلا وأفقنا شاحبين مرتعبين لنواجه يوماً جديداً. كانت موجة من الرعب تجتاح البلاد. وإن تجاوزتنا تلك الليلة فقد كنا نعلم أنها ستدق بابنا ثانية.

الهرب الى الجنوب

في الليلة ذاتها اعتقلت الشرطة السرية عمي فانيا الذي كان مريضاً بداء السل. ثم ورد أمر رسمي بمنعه من استقبال زائرين أو تسلم رسائل أو رزم. وليلة بعد ليلة كنا نشاهد "الغراب الاسود" تدهم منازل مواطنين آخرين في القرية. وفي ٢٧ مارس (آذار) توقفت السيارة امام البيوت المحيطة بنا يمنة ويسرة. وكان جميع الذين اعتقلوا غير منتسبين الى الحزب، مثل أبي وأمي.

ذات مساء في أوائل ابريل (نيسان) قالت أمي، ونحن جالسون الى مائدة العشاء: "اليوم فرغ كرسي آخر في مكتبي. أينما تطلعت فاني أرى الكراسي تفرغ الواحد بعد الآخر، فتتملكني رغبة ملحة في النزوح الى مكان ما. أي مكان يكون بعيداً عن قبضتهم!"

في تلك اللحظة قرر والداي أن نحاول الهرب. فرأينا أن نذهب الى فيودوسيا في

شبه جزيرة القرم على البحر الاسود حيث يساعدنا بعض الاصدقاء القدامى على السكن والاستقرار بعيدين عن موسكو. لكن الانتقال كان يتطلب جهوداً جبارة، اذ لا يحق للمواطن السوفييتي تغيير مكان اقامته من دون اذن. وقرر أبي أن يقصد الدكتور مويزي غريغوريفتش عله يعطيه شهادة طبية تبرر انتقالنا الى الجنوب.

كان أبي أملنا الوحيد. فهو مديد القامة يبلغ طوله ١٩٠ سنتيمتراً، لكن وزنه لم يتجاوز ٧٠ كيلوغراماً. ولما كان شقيقه مصاباً بداء السلّ، فليس بعيداً أن يصاب هو أيضاً بالمرض القاتل، وكان كثيرون يعتقدون أن هذا المرض متأصل في بعض العائلات وينتقل بالوراثة.

طلب والدي اجازة يومٍ من عمله لكي يذهب الى المستوصف المحلي ويخضع لفحص طبي. ورافقته علّني أساعده بطريقة ما.

انتظرنا ثلاث ساعات الى أن دعي والدي الى الفحص. واستقبلنا الطبيب الذي عرف عائلتنا لسنوات، وأغلق الباب وراءه بعدما تفحص الرواق. قال: "بلغني الخبر عن أخيك. يا للعار! ألا يسمحون لرجل مريض بأن يموت في بيته؟"

قال والدي بصوت متهدج وهو يكاد يختنق: "لعلهم كانوا يقصدون اعتقالي أنا، فخلطوا بين الاسمين. هذه الفكرة عذاب دائم لي. لذلك قصدتك. أخذوا فانيا أولا، فهل يأتي دوري بعده؟ أنا في حاجة الى شهادة طبية منك ليُسمح لي بالانتقال الى الجنوب... للهرب." واذا بصوت دلو يسقط في الغرفة المجاورة.

وضع الطبيب اصبعه على شفتيه وهو يشير الى الجدار الرقيق الفاصل بين الغرفتين.

وساعد والدي على نزع قميصه، ثم راح يدق على ظهره العاري وعلى صدره مصغياً الى نبض قلبه.

قال الطبيب: "إنك ناحل جداً يا مارك. ولديك أسباب للقلق ما دام السل متأصلا في سلالتكم." وكان يرفع صوته كمن يخاطب شخصاً آخر بعيداً عنه.

وتابع: "إنك على حق يا مارك. فالمناخ الدافىء سيكون سبيلا الى خلاصك. سنفتقدك، لكننا نحتاج الى مواطنين أصحاء منتجين. أنا أرى أن مناخ القرم سيفيدك. وأنت مؤهل للحصول على شهادتي. إذهب الى الجنوب." وأضاف هامساً: "وابقَ هناك يا مارك."

غادرنا دولوفو الباردة الرمادية. وبعد يومين طالعتنا معالم القرم بمناخه المعتدل اللطيف. البحر الاسود زاخر بالسمك، والشواطىء منثورة بالحصى اللامع والصدف.

هتفت أمي: "فيودوسيا، نحن هنا! أسرع يا مارك. هيا يا أولاد. تعرفون ما عليكم أن تحملوه. سأجلب الساموفار. احملوا فرش الريش."

وما هي الا لحظات حتى ارتجّ القطار وتوقف. فقفزت وسلافا الى رصيف المحطة ورحنا نلتقط الامتعة الصغيرة التي راحت أمي ترميها لنا من النافذة. وكان رجال الميليشيا يطردون القادمين الجدد عن الرصيف، فصاح احدهم بأبي: "أنقل أمتعتك البالية من هنا! لا تكوّموا الاشياء في المحطة. تحرّكوا". وسدد جزمته الى السامو فار وهو غلاية شاي، لكن أمي التقطته ثم حملنا رزمنا وأمتعتنا وخرجنا من المحطة.

كانت تحفّ بالشارع الرئيسي في فيودوسيا أشجار حور تعود الى مئة سنة وتظلل مقاعد خشبية. وحين جلسنا على أحدها رفع أبي رأسه نحو السماء الزرقاء الصافية وقال مغتبطا: "أقدر أن أبقى هنا الى الأبد." كذلك فكرت أنا، وتمنيت لو أن لمسة سحرية تحول ذلك المقعد حجرة لنا نحن الاربعة.

كلام الغجرية

قدمت الينا امرأة متوسطة العمر حفنة من بزور دوّار الشمس. وفيما كنا نتذوقها اقتربت منا غجرية عجوز سمراء ترتدي طبقات من التنانير (الجونلات) الزاهية الالوان وصفوفا من عقود الخرز الزجاجي، وفي اذنيها قرطان طويلان متدليان. فوقفت أمامنا وأمسكت بيد أمي.

وبعد نظرة سريعة الى راحتها أعلنت بصوت سلطوي واثق: "سيدتي، أتعتقدين أنك ستكونين سعيدة هنا؟"

فهزت أمي رأسها ايجابا. فتابعت الغجرية: "كلا، يا سيدتي. لا سعادة. مشاكل كثيرة. ستفقدين زوجك."

عبس أبي في وجه الغجرية بعدما كان مسترخيا، وسحب يد أمي من قبضتها. لكنه لم يستطع محو المخاوف التي أثارتها كلمات الغجرية في صدر أمي. ومعروف عن الشعب الروسي، منذ القدم، أنه ينظر برهبة واحترام الى فن العرافة.

حدّقت العجوز الشمطاء الى عيني أمي بنظرة ثاقبة وتابعت: "مصائب كثيرة لكليكما." ثم تطلعت الى سلافا وإليّ، وتابعت: "مصائب لكم جميعا."

عندئذ هب أبي عن المقعد وقال بصوت مهتاج غاضب: "كفي عن نعيقك وهذرك الفارغ يا عجوز الشؤم. ألا يكفيك أنك أرعبت زوجتي، والآن تخيفين ولديّ؟ أغربي عنا!"

وقالت لها أمي بصوت هادىء: "كفى، كفى."

واستدارت الى والدي وهمست: "هنا أيضا اعتقالات."

سمعت الغجرية تلك الكلمات المهموسة فأقحمت نفسها على الفور قائلة: "لا اعتقالات... ولكن مثلنا نحن معشر الغجر.. تسافرون وتتنقلون من هنا الى هناك...

تركضون، تركضون. ولن تعرفوا عنه شيئاً." ودلّت باصبعها الاسمر على أبي.

وضع أبي روبلا في يد العجوز وصَرَفها راكضاً وراءها على رغم احتجاج امي: "اذهبي أيتها المرأة الكاذبة. لم تخرج من فمك كلمة صالحة واحدة."

أخذت الغجرية الروبل وراحت تغني والتحدي في نبراتها: "سترون أن كلامي ليس أكاذيب."

رائحة الدم

سكنّا مع أصدقاء لنا في شارع كارل ماركس، الرقم ٧، وتسجلنا أنا وسلافا في المدرسة المحلية. هناك التقيت مايا ذات الشعر الرمادي. كانت رفيقتي في الصف، وقد أجلستنا المعلمة الى طاولة واحدة. كانت مايا تقيم مع والدتها وجدَّتها بعد طلاق والديها. وما لبثنا أن أصبحنا صديقتين حميمتين.

وأصبحت أنا وسلافا ومايا "روّاداً" أي أعضاء في تنظيم الشبيبة، وهذا واجب إلزامي، وتلفَّعنا بمناديل قطنية حمراء دمغتنا كمستكشفي المستقبل. كنا نمضي ساعات بعد انتهاء الدروس في اجتماعات سياسية نردد: "لتسقط الفردية! تحيا الجماعة!" وفي المدرسة عُرض علينا "رائد" حي الضمير مثلا أعلى نقتدي به. واسمه بافليك موروزوف. انه "بطل" لكل الاولاد السوفييت. وكانت قصته مألوفة لدينا:

إبان المجاعة التي اجتاحت البلاد بعد اقرار النظام الجماعي* الزراعي في أوائل الثلاثينات، رفض كثيرون من المزارعين التخلي عن أملاكهم. وكان والد بافليك أحدهم، فبدلا من تسليم كل شيء الى السلطات الحكومية راح يخبىء البطاطا لكي يطعم زوجته الحامل وابنه. عرف بافليك بأمر أبيه فذهب الى ممثلي الحزب ووشى به ودلّهم على مخبأ البطاطا.

أعدم الوالد رمياً بالرصاص. ورأى المسؤولون في الحزب أن بافليك "بطل"، فيما اعتبره سكان القرى خائناً. وفي احدى الأمسيات هاجمه القرويون الناقمون وقتلوه ضرباً بالهراوات.

صار بافليك شهيد الدولة السوفييتية. فسميت مدارس وشوارع وقرى باسمه وأقيم له نصب في موسكو.

وعلى رغم محاولاتي اليائسة عجزت عن ايجاد مبرر لوشاية بافليك بأبيه. ولكن حين كنا في دولوفو كدت أحذو حذوه.

في ذلك الوقت كان حكامنا يعلنون أنهم ضد هتلر. وذات يوم كانت معلمتنا تدرِّسنا – نحن الصغار الاربعين – عن وحشية الفوهرر الألماني.

(*) Collectivization

قالت معلمتنا: "يا أولاد، الشعب الالماني جائع، حتى انه لا يتذكر طعم السكر! ألمانيا النازية سيئة كروسيا القديمة حين كان القياصرة وأشرافهم الطفيليون وحدهم قادرين على الحصول على السكر!"

جلست في البيت ذلك المساء أمصّ بهدوء قطعة سكر. فتذكرت الدرس وهتفت لأمي: "ماما! من الآن فصاعداً سأعطيك قسماً من حصتي من السكر."

غلب التأثر على والدتي لهذه البادرة الرقيقة، فالسكر غالي الثمن. وسألتني: "ولماذا تفعلين ذلك يا نينا؟"

فرويت لها بأمانة ما قالته المعلمة في الصف.

ضحكت والدتي وهزت رأسها وهي تنظف المائدة، وقالت: "سكر؟ هذا هراء! كان هناك سكر كثير. وكنت أمنع نفسي عنه حفاظاً على رشاقتي. في الماضي كان السكر أرخص كثيراً. يا لاولئك المعلمات!"

كانت تلك أحجية صعُب عليّ حلّها وأنا في التاسعة من عمري، خصوصاً لأني كنت أثق بوالديَّ وبمعلمتي. ورحت أتقلّب في فراشي وقد قضّني هذا التباين الفاضح في أقوالهم، وفي الصباح قررت أن أصارح معلمتي بغية توضيح سوء الفهم الذي شوش ذهني. فرفعت يدي في الصف وقلت بشجاعة: "تذكرين ما قلته لنا البارحة عن السكر في روسيا القديمة؟ لكن أمي ضحكت حين أخبرتها ذاك الكلام."

سألتني المعلمة: "لماذا؟"

فضحكت مثل أمي وتابعت بجرأة: "قالت أمي ان السكر كان متوافراً بكميات كبيرة آنذاك، وانها خشيت أن تأكل منه فوق حاجتها وتصبح بدينة."

لم تبادلني المعلمة الضحك. لكنها انصرفت لبضع دقائق بعدما أمرتنا بالصمت في غيابها. كانت تلك الدقائق حاسمة تقرر فيها مصير أمي. فحين عادت معلمتنا الى الصف كان أحد رجال الشرطة السرية يدخل مكتب أمي في المعمل ويأمرها بهدوء: "نا دوپروس!" (أي "الى التحقيق.") كلمتان تكفيان لتصبب العرق البارد من كل مواطن سوفييتي. "نا دوپروس" قد تكون الخطوة الاولى في مسيرة الموت الى مخيمات العمل الشاق.

لم تعد والدتي من عملها في الخامسة عصراً، بل زارتنا احدى زميلاتها وأخبرت والدي باختفائها. ومرت الساعات ونحن ننتظر مشلولين. وعادت في ساعة متقدِمة من الليل بعدما أويت أنا وسلافا الى فراشنا. وسمعناها تتكلم مع والدي بهدوء وتقول: "الأطفال الأبرياء... كلهم ثقة..."

ثم هرعت الي وأخذت وجهي بين يديها وقبلتني بوقار، فلاحظت في وجهها شيئاً غير مألوف. كان فمها متورماً تنبعث منه رائحة قوية، رائحة دم. أبعدت وجهها عني كي اراه

بوضوح. ويا للهول! في الصباح الفائت ابتسمت لي أمي وبانت أسنانها بيضاء لماعة، وها أنذا أرى في مكانها فجوة فاغرة وسواداً، همست: "ماما، أين سِنّاك، ولماذا ينزف فمك؟"

حاولت أمي أن تتمالك نفسها فقالت: "لا شيء يا نانا." ثم أضافت بانفعال: "دوبروس! لا تقولي شيئاً لمعلماتك يا صغيرتي. لا شيء أبداً!"

ومنذ ذلك اليوم لم تعد لنا أنا وسلافا ثقة بالمعلمات. وأصبحنا متحفظين بدافع الغريزة حفاظاً على حياتنا. لم نغضب على معلمتنا، لان واجبها الاعلى لم يكن تعليمنا القراءة والكتابة فحسب بل كذلك طبعنا جميعاً بطابع بافليك موروزوف.

الذهاب الى الحرب

عقب توقيع "معاهدة الصداقة" التاريخية مع الالمان النازيين في أغسطس (آب) ١٩٣٩، بدأت الصحف وصالات السينما السوفييتية تعرض صور الفوهرر "العطوف" وهو يقبل الأولاد الالمان الفاتنين. وظهرت على الفور كتب مدرسية جديدة بدلت الصور البشعة لهتلر والنازية. وتعلمنا التحية النازية. وأعلنت معلمتنا أنها "التحية التي كان أعضاء مجلس الشيوخ يؤدونها في روما القديمة."

وأتاحت معاهدة الصداقة للجيش الاحمر دخول بولونيا الشرقية وفنلندا التي لاقى فيها مقاومة شرسة فانسحب منها مكتفياً بانتصارات هزيلة. ثم دخل ليتوانيا ولاتفيا واستونيا وأخضعها، ونشر رايته فوق بيسارابيا. وحرصت الحكومة على اتحافنا المتواصل بحسنات "اتحاد الشيوعية والنازية" وكيف سيغير العالم الى الافضل.

لكن المعاهدة عنت لنا نقصاً مخيفاً في المواد الغذائية حاولنا سدّه بالبحث عما نقتات به. ومرّ صيف ١٩٤٠ بهدوء، وتابعت مايا دروس البيانو بحماسة وقُبلت في المعهد الموسيقي المحلي. وبدأت أنا أتقدم في رقص الباليه، وكانت الموسيقى لكلتينا سبيلا الى نسيان الذات والهرب من الواقع.

لم يوهن شيء حماستي لتعلم الرقص، وان كنت أعلم أنني قد لا أدخل مدرسة باليه مرموقة، اذ أُبلغت أن جميع المدارس ترفض قبول فتيات يزيد طولهن على ١٦٥ سنتيمتراً، وكان طولي ١٧٠ سنتيمتراً وأنا في الثالثة عشرة بعد وما زلت أنمو.

في ٢١ يونيو (حزيران) ١٩٤١ رافقني والداي وأخي الى المحطة لركوب القطار الى بلدة مجاورة حيث تعرض مسرحية راقصة. وكنت عُيِّنت للاشتراك في "أولمبياد باليه القرم." وفيما نحن جالسون على المقعد طالعتنا الغجرية ذاتها بوجهها الاسمر البرقوقي الداكن، وكانت عيناها شاردتين تبحثان عن زبائن جدد.

دلّت عليها أمي وضحكت كأنها تتحداها هي وتكهناتها. ونادتها: "أيتها الغجرية! لم

يتحقق شيء مما ذكرته قبل ثلاث سنوات. الحمد لله!"

مرت بنا الغجرية وتمتمت من دون أن تتوقف: "بحر من الدموع، محيط من الدموع سيأتي علينا جميعا."

صباح اليوم التالي أثناء التمرين الاستعدادي للباليه دوى صوت رجل مذعور عبر مكبِّر الصوت معلنا: "هوجمت بلادنا. هاجمها الالمان."

بدأ غزو هتلر للاتحاد السوفييتي تحت شعار "عملية بربا روسا" فألغي الاولمبياد وأُمرنا بالعودة الى منازلنا. وحين وصلت الى فيودوسيا كان سلافا ينتظرني في المحطة، وأخبرني: "أن أمي قلقة جداً على أبي. سيذهب الى الحرب... وقد يقتل، ولا يعود."

سألته: "وكيف يأخذون أبي الى الحرب؟ انه في الثامنة والاربعين!"

قال سلافا: "وسأبلغ أنا السادسة عشرة في السنة المقبلة، واذا طالت الحرب فسأدعى أنا أيضا الى الخدمة العسكرية."

بدأ معنى كلمة "الحرب" ينطبع ببطء في عقلي الخالي من الهموم والمشغول بالمضض الشخصي الذي سببه الغاء أولمبياد الباليه.

وفي اليوم التالي لاختراق الالمان الحدود السوفييتية غطّت جدران فيودوسيا ملصقات تعلن مصادرة جميع أجهزة الارسال اللاسلكية. وبعد ثلاثة أيام أعلنت مصادرة السيوف وبنادق الصيد والآلات الكاتبة والمناظير والدراجات الهوائية.

وتعاقبت الاحداث على غير ما اشتهى الكرملين، اذ لم تنقضِ ستة أشهر على بداية الحرب حتى كان أكثر من ثلاثة ملايين جندي من الجيش الاحمر استسلموا للالمان. وتوالى الاستسلام حشوداً بعد حشود من الجنود مما دفع الكرملين الساخط الى أخذ تدابير صارمة تمنح المفوَّضين الحزبيين ورجال الشرطة السرية سلطة مطلقة لاعدام أي جندي يقبض عليه من دون سلاحه، على أنه جندي فار. وشمل القرار أفراد عائلات الجنود "غير الوطنيين" الذين أجيزت معاقبتهم هم أيضا.

في ١٨ أغسطس (آب) بدأت معاناة عائلتنا الحرب، اذ بُلِّغ والدي أمراً بالالتحاق بالجيش. كان جواز سفره الداخلي يتضمن اشارة الى أنه مريض بالقلب، وكنا متأكدين من أنه سيعفى من الخدمة العسكرية. ولكن خاب فألنا.

في اليوم التالي حملت أمي مكنسة صغيرة مصنوعة من أغصان طرية، ولوح صابون، وحوضي استحمام من صفيح، وقالت: "هيا يا زوجي العزيز، استحم. وسأفرك ظهرك لكي تذهب اليهم نظيفا."

ثم أخذت ملاءة وربطتها الى حبل الغسيل وأقامت شبه خيمة في فناء المنزل. واذ هممت بادخال مزيد من الماء الساخن الى الخيمة نهرني سلافا هامسا: "أيتها

الحمقاء، اتركيهما وشأنهما. ألا تعلمين أنهما سيفترقان؟ ومن يدري كم يطول الفراق؟"

ساد الهدوء الخيمة بعد أصوات الغسل، وسمعنا أبي يقول لأمي ملاطفاً: "عزيزتي ناتاشا، كيف أتركك على هذه الحال مع الاولاد..." ثم غاب صوته وخنقته العبرات.

وسمعنا أمي تتلو كلمات لم أسمعها قبلا... كلمات صلاة. وشاركها أبي في ذلك.

قلت: "سلافا، انهما يصليان!"

واستجاب سلافا وانضم اليهما في الصلاة.

الالمان قادمون

كانت بلدتنا في حال غليان واضطراب. فقد اقترب الجيش الالماني وبدأ أعضاء الحزب وعائلاتهم ينزحون عن فيودوسيا. كذلك فعل اليهود وعلى رأسهم الاعضاء في الحزب، ولكن بقي في البلدة نحو ألف يهودي.

وما لبث جنودنا أن رحلوا هم أيضاً. وكانت الشاحنات المليئة برجال الشرطة السرية والمفوضين المنسحبين تمر مسرعة على الطريق. وحين شاهدهم سكان البلدة هكذا خرجوا من بيوتهم مفعمين بحيوية غريبة. واقترح احدهم: "لننظف فناء منزلنا." وراح آخر يغسل النوافذ. وانبعثت رائحة الخبز الطازج شهية من عدة مساكن. وكانت العادة السلافية القديمة الترحيب بالغرباء بتقديم الخبز والملح اليهم.

أخرجت والدتي الدقيق والخميرة قائلة: "نينا، حضري العجين. اشعر بصداع شديد وأرى بعينيَّ ألوان قوس قزح، خصوصاً بعيني اليمنى."

كانت أمي تصاب غالباً بتلك النوبات الغامضة. لكنها لم تقلق لأن الاطباء عزوا ذلك الى انقطاع الدورة الشهرية.

وفيما كنت أعجن بنشاط نظرت الي أمي، وبعدما راقبتني قليلا قالت، وقد بان عليها الارتباك: "نينا، أنت جميلة، وطويلة جدا. تبدين كأنك في السادسة عشرة من عمرك. وهؤلاء الالمان جنود بعيدون عن نسائهم. من يدري كيف سيتصرفون؟ هيا، ارتدي سترتي البنية. ها هي. واليك تنورتي بدلا من هذه القصيرة."

عملت بما قالته أمي. وفي اليوم التالي وقفت واياها في الشارع مع الرجال والنساء المحتشدين في انتظار الالمان. وراح بعضهم يهتف: "الالمان قادمون!" فيما كان

آخرون يبكون ويضحكون في آن ويرددون: "محررونا قادمون!" وركع بعضهم على الرصيف وفي الطريق للمرة الاولى منذ سنين وبدأوا يصلّون جهاراً غير وجلين، وتساءلت ماذا أفعل، أأجثو على ركبتيّ؟

في تلك اللحظة اذ هممت بثني ركبتي قفز سلافا من فناء منزلنا حيث كان منزوياً وأمسكني حائلا دون ركوعي، وهمس في أذني: "لا تكوني حمقاء!" ثم جرني الى أمام سلمنا وتابع: "أتذكرين كيف كان جارنا يتكلم عن الثورة وعن التغيير الذي سيعمّ روسيا؟ ان الثورة لم تحرر أحداً يا نينا."

"اذاً، الالمان لن يكونوا محررين هم أيضاً. ولن يجلبوا لنا الا فجراً كاذباً آخر."

تفرست في وجوه جيراننا فرأيتهم فرحين يفيضون حماسة ومرحاً ورجاء. فقلت لأخي: "وأنت لست سوى فتى متشائم بالفطرة."

ثم سمعت مايا وأمي تهتفان: "أسرعي يا نينا، قد اقترب الالمان، اننا نراهم!"

حمل سكان فيودوسيا الخبز والملح الى الجنود المشاة. وأحنى بعض المسنين رؤوسهم وفق التقليد السلافي قائلين: "أهلا بكم الى روسيا الأم."

عند الغسق رجعتُ ومايا الى ساحة دارنا، فتبسمت لنا جدتها وقالت: "هؤلاء الالمان جماعة طيبون، فلا داعي الى القلق بعد الآن."

استقر الالمان في فيودوسيا، وجنّد الاشخاص الملمون بالالمانية للعمل في وظائف كتابية في مركز القيادة أو كمترجمين. ونظمت الجوامع والكنائس وأعيد فتحها للمؤمنين.

وظهرت حشود من الخياطات والنجارين وصانعي الاحذية وراحوا يطوفون مبتهجين من مسكن الى آخر. وكان العمل بهذه المهن محظوراً الا تحت مراقبة الدولة. وأعلن اليهود استعدادهم لتعليم الالمانية والموسيقى. وانتظم البعض في خدمة الالمان

كمصلحي ساعات وأحذية. كذلك فعل الخياطون مبدين استعدادهم لاصلاح بذلات الجيش الالماني.

جمع الشمل

مرت ثلاثة أسابيع على الاحتلال الالماني خالية من الاحداث. وأطل ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) بارداً منعشاً. واذا بجارتنا تهتف بأعلى صوتها في فناء منزلها: "يا نساء الحي!" فامتلأ الفناء بالنساء اللواتي أقبلن على الفور لاستطلاع الاخبار. صاحت الجارة: "ان المئات من رجالنا موقوفون في الساحة... أسرى حرب!" كانت الساحة تعجّ بالرجال. فشققنا طريقنا بين الأسرى. قالت أمي: "انظروا!"

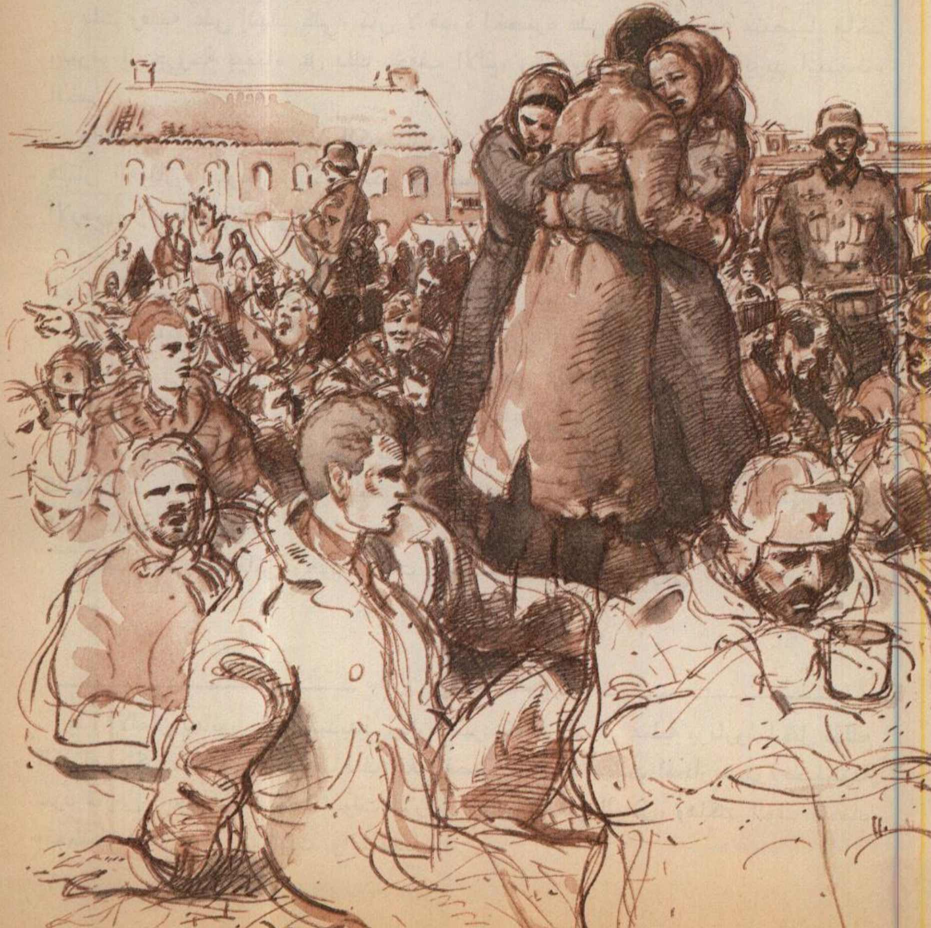

وأومأت بحنان الى سجين يهرول نحو صبيَّة ويعانقها ويبكيان كلاهما فرحاً. وقال أحد الحراس الالمان للصبية: "خذيه، فتوفرين علينا اطعامه. ولكن حذارِ أن تخبئيه، لاننا قد نستدعيه ثانية."

رحنا نمشي هنا وهناك ونتفرس في كل رجل يشبه والدي ونسأل تكراراً هل أحد يعرفه. واذا برجل غاف يتحرك فجأة ويحاول النهوض. كان مصاباً في يده اليسرى وأصابعه سوداء متورمة وبارزة من تحت ضمادة رمادية فاحمة. فتحامل على نفسه ونهض وخطا في اتجاهي.

بدا في الستين من عمره وقد غطى وجهه سالفان رماديان أشعثان. وعلى صدره رقم ثبته الالمان، فهو الاسير الرقم ٤١٠.

دلت وقفته على إنهاك كلي، كأن لا قدرة لخصره على ابقاء جسمه منتصباً. فأخذ يسراه المجروحة بيمناه علّ ذلك يخفف الالم، وظل يقترب مني كأنه يريد استعطاء الخبز.

واتسعت عيناه السوداوان الكبيرتان عاكستين في أعماقهما الفرح والالم والدموع. هاتان العينان الملوّنتان بدكنة الكرز الناضج. اني أعرفهما من بين كل العيون على الارض. إنهما عينا أبي.

صرخت: "أمي! تعالي!" وجمدت أرتعد في مكاني غير مصدقة، حتى سمعت صوته العذب الحميم يتغلغل في حواسي. كان كما عهدته، لم يتغير أبداً.

قال: "نينا هذا أنا." وبسط يديه ليعانقني.

أسندت رأسي الى صدره وانهمرت دموعي وأنا أردد: "أبي! أبي!"

وهرعت أمي الينا دافعة الجمع في طريقها:

"عزيزي مارك!" وراحت تمرر يدها برفق على خده المنهك ويده اليسرى في يدها كأنها تريد مشاركته في ألمه. قالت: "أتذكر الغجرية يا مارك؟ كانت على خطأ! آه، كم كنت خائفة أن أفقدك."

ووقفنا نبكي ونتعانق وحولنا مئات الغرباء ينظرون الينا وفي عيونهم شيء من الحسد.

مثل رقاقة ثلج

بدأ الألمان يعانون عَوَزاً شديداً. وكان هتلر يخطط لاكمال عملية بربروسا قبل مطلع الشتاء، ولكن شاء القدر خلاف ذلك. ففي فصل الخريف هطلت أمطار غزيرة مصحوبة ببرد قارس أرجف العظام. فتحوّلت الارض محيطات من الوحل، وهلكت ألوف الجياد وتعطلت أرتال من الدبابات والشاحنات.

وحلّ الشتاء منذراً بأنه أبرد شتاء عرف الى الآن. وحين اقترب الالمان من موسكو انقطعت عنهم الامدادات الغذائية لسوء أحوال الطرق، مما دفع الجنود الجائعين الى التهام جيادهم. ورافقت أكل اللحم النيء اضطرابات معدية خطيرة مصحوبة بتقيؤ شديد. وفي نهاية ديسمبر (كانون الاول) بلغ عدد ضحايا حرب هتلر الخاطفة ٨٠٠ ألف قتيل.

في غضون ذلك كانت سلطة فرق "الصاعقة" (الشرطة العسكرية النازية) امتدت الى فيودوسيا، الى شارع كارل ماركس وفناء منزلنا.

صباح اليوم الاول من ديسمبر (كانون الاول) وجدنا ملصقاً على بوابتنا يعلن أن على كل السكان اليهود الحضور الى الساحة خلال ٧٢ ساعة بغية "اعادة توطينهم" وألا يحملوا معهم الا "أغلى مقتنياتهم الشخصية." كان والدي جالساً، متجهماً على عتبة بابنا، فقال: "اليهود عندنا محكوم عليهم بالهلاك. لقد سقط المنجل على حجر."

فقاطعه أحد الجيران: "كفّ عن الثرثرة يا مارك، قل لنا ماذا تعني."

قال والدي: "أعني أن هتلر صنف شعبه على أنه الشعب المختار، وليس اليهود. هو منجل الحصاد، وهم الحجار. وتتعيَّن ازالة الحجار. هل تفهم؟"

أعقبت ذلك مناقشة حامية، وسأل أحدهم: "إذا كان هتلر يسعى الى إبادة اليهود، فلماذا تتركهم الحكومة السوفييتية هنا؟"

أجاب آخر: "لقد رحَّل السوفييت كل أعضاء الحزب من اليهود، وهم لا يهتمون للباقين."

واذا جارتنا ناديا تسرع نحونا هاتفة: "هناك اشاعة مفادها أن كل اليهود في فيودوسيا سيرحَّلون الى فلسطين!"

وسرت هذه الاشاعة كالنار في الهشيم.

مرت ٧٢ ساعة. وجلست في بيت مايا أودعها وقد غمرني الحزن لفراقها. رأيتها مرتدية معطفها الفرو الأبيض وجزمتها الجلدية وقبعتها البيريه البيضاء مائلة على رأسها. فحسدتها، بل شعرت بقليل من الامتعاض.

قلت: "ها أنت مهيأة للسفر الى العالم الواسع، وستشاهدين الكثير." وحدقت الى عينيها المتوهجتين.

قالت "أوه، نعم انها مغامرة." ثم تغيرت نبرتها فجأة وغابت عنها الابتسامة وأمسكت بيدي وقالت وجلة: "ولكن ماذا لو... ماذا لو..."

قاطعتها: "ماذا" وتلاشى فيَّ كل حسد.

قالت: "ماذا لو قرر الألمان قتلنا. ماذا لو صحَّت الاشاعات؟"

ساد الغرفة سكوت. فقالت أمي مواسية مطمئنة: "مايا، فكري يا ابنتي. لماذا يريد

أحد أن يؤذيك؟" ثم ضمتها اليها وراحت تمرر يدها على شعرها المجدول.

بعد لحظات اقتحم الغرفة عسركيان من "الصاعقة" من دون أن يقرعا الباب آمرين: "اليهود! الى الخارج! حانٍ وقت الرحيل."

تبادلنا القبل الاخيرة. ولحقتُ جيراننا الى الشارع فشاهدت مايا تجتاز المنعطف حاملة رزمتها بيد ويدها الاخرى في يد أمها.

مثل رقاقة ثلج! ذلك كان انطباعي الاخير عن مايا: مجلببة بالبياض، هشة، ذائبة، متلاشية، كرقاقة ثلج.

ازدحمت الطريق الرئيسية باليهود السائرين، وكانوا يمشون على مهل والى جانبيهم حراس من فرق "الصاعقة." وكانوا جميعهم مرتدين أحسن ما لديهم كأنهم في طريقهم الى حفلة عيد.

ورأيت معلِّم الرياضيات، والطبيب الذي لم يحمل الا حقيبته السوداء، وكلاهما سائران مع الجمع. فتبعناهما بأنظارنا الى أن غابا في بُعد الطريق.

جلست في رواقنا أتأمل منزل مايا الفارغ وقد سدّ بابه ونوافذه بألواح خشبية متصالبة. واذ بدأ الظلام ينسدل تناهت الينا أصوات رشاشات كتمها بعد المسافة. وهتفت أمي قلقة: "الأنصار أيضاً."

فقال أبي: "كلا، الرصاص غير متقطِّع." وهمس في أذن أمي: "أصدقاؤنا. أرجو ألا يكونوا يموتون في هذه اللحظة."

لكنهم كانوا يموتون!

وكانت الشاحنات تنتظر في الساحة لنقلهم الى الميناء، كما ادعى النازيون. لكنهم كلهم، وعددهم ٩١٧، اقتيدوا الى منطقة خارج البلدة محاطة بصفوف من الخنادق العميقة المضادة للدبابات. فأُمروا بالقاء رزمهم وخلع ملابسهم وتسليم كل ما معهم من مجوهرات. ونقل الاولاد الى حافلات الصليب الاحمر. وهناك كانت عناصر طبية من "الصاعقة" في انتظارهم. فلقي الصغار حتفهم بسرعة وهدوء ووجوهم مغطاة بأقنعة مشبعة بمادة الاتير المخدرة كي لا يقلقوا والديهم بصراخهم.

وصُفَّ الباقون في مواجهة الخنادق. ثم انهمرت الطلقات الرشاشة التي سمعتها وأنا جالسة في رواق منزلنا. فتفجرت في حياتي وفي كياني ألماً صارخاً.

في ٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤١ وقع الهجوم الياباني على بيرل هاربور في جزر هاواي. كان ذلك يوماً مأسوياً للأمريكيين، أما بالنسبة الي فكان يوماً كئيباً مملا. كانت تلك الاحداث التي وقعت بعيداً جداً عن فيدوسيا عاملا بالغ الأهمية في تقرير مصيري، لكنها لم تغير نهاري ذاك.

في الايام الاخيرة من الشهر أمر الالمان والدي وبقية الأسرى بالتجمع في المحطة لنقلهم خارج فيودوسيا. وكم تمنيت لو أن يده شفيت، لو أنه أصغر سناً. رحت أعدو في محاذاة القطار وأنادي: "أبي، أبي!" واذا بيد تحاول التلويح، ثم ظهر وجه أبي وقد بان عليه القلق الشديد. وناداني من باب المقطورة السابعة بصوت أجش تخنقه العبرات: "نينا! نينا! الوداع!"

صرخت متوسلة: "مهلا! أبي! مهلا! لا تذهب. أوقفوا هذا القطار!"

لكن القطار لم يتوقف.

المسلولة

في غضون ذلك كانت البوارج الحربية السوفييتية تتسلل الى شواطئنا. وبعد بضعة أيام من رحيل والدي بدأت القنابل تسقط على فيودوسيا.

شمل القتال الضاري كل بناء وكل سلَّم وكل جزء من فيودوسيا. واحتمى بعض الجنود الالمان خلف بوابتنا ومعهم قنابل يدوية ورشاشات لقتال العدو الزاحف، وهم قُتلوا في مواجهة حامية. وكان سياج منزلنا مرصوفاً على الجانبين بالجنود القتلى.

في الحادية عشرة صباحاً كان شارع كارل ماركس نُظِّف من الجنود الالمان.

ساد الهدوء فترة قصيرة قبل قدوم الموجة التالية من الجنود. وكانت أمي متخوفة، فارتدت هي ملابس قديمة رثة وقصّت شعرها الكثيف المتموج حتى جلدة الرأس وألبستني تنورة طويلة بشعة.

حضنتني أمي كأنها تبغي حمايتي من العالم، وقالت: "نينا، أتذكرين ليدا صديقتك في دولوفو وشقيقتها كاتيا؟ لقد ماتتا بداء السلّ. وكانت كاتيا شاحبة وشفتاها زرقاوين والبقع الحمراء تغطي خديها والحمى تنهشها. هؤلاء الجنود يخشون داء السل أكثر مما يخشون الرصاص."

لذا عمدت الى تحويلي فتاة مسلولة بعملية تنكّرية دقيقة. فلزمتُ الفراش الذي عُلّقت حوله ملاءة تقي أهل المنزل الجراثيم الفتاكة. وأمسكتُ بيدي منديلا مدمّى، وكُسي أعلى الملاءة القريب من وجهي ببقع حمراء قانية من دم سلافا الذي جرح رجله بموسى أبي. وأطَّرت عينيَّ ظلال عميقة قاتمة. وبانت على خدَّي بقع حمراء في أماكن متفرقة من عصير الشمندر المبشور ممزوجاً مع الماء.

قبيل الظهر دخل الجنود ساحة بنايتنا، فتفرقوا مجموعات واندفعوا الى الشقق السكنية، فتعالى صراخ النساء وكان ينفذ الى أعماق القلب. وكان الاولاد يبكون. وفي الشقق التي يسكنها مسنّون سمع تحطم صحون ونوافذ بأعقاب بنادق. ونهبت أكياس الاغذية فيما الناس يتوسلون الى الجنود: "اتركوا لنا بعض الغذاء! سيعضنا الجوع."

فيجيبهم هؤلاء: "موتوا جوعاً أيها الاشقياء! تستقبلون الجنود الفاشيست الألمان بالخبز والملح!"

واندفع ثلاثة جنود الى شقتنا. وحاول أولهم انتزاع الملاءة التي تحجب ركني فبادرته أمي بحزن: "ابنتي المسكينة! أنها تحتضر. ستموت بداء السل قريباً."

أزاح الجندي الملاءة وراح يحدق الي.

فحركت شفتي الملطختين بالدم متذكرة منظر ليدا وهي على فراش الموت. وفتحت عينيَّ بعياء وقد غاب خوفي وغضبي خلف قناع المرض المهلك. وقلت لامي بصوت كاد لا يسمع: "ماما... عطشانة."

واذا بالجندي المقتحم يبصق علي ويخرج من بيتنا مع رفيقيه.

ركعت أمي الى جانب السرير وبكت. ورفعت شكرها الى الله مصلية فيما كان سلافا يردد: "يا للأشقياء! يا للأشقياء!"

وصليت أنا أيضاً وحمدت الله. وداخلي شعور غامض ممزوج بالأسى لنجاتي من المهانة التي أصابت كثيرات.

بعد ثلاثة أسابيع من الاجتياح والاهتياج والوحشية انسحب الجيش الأحمر وعاد الالمان الى احتلال فيودوسيا.

في اليوم الاول من مايو (أيار) ١٩٤٢ وجدنا ملصقاً جديداً على سياج دارنا يدعو كل سكان فيودوسيا الاقوياء الذين تراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والخمسين الى تسجيل أسمائهم للعمل في ألمانيا، وسيكونون أحراراً في العودة الى منازلهم بعد انتهاء الحرب. وأمل الألمان أن يبلغ عدد المسجلين ألفاً في الدفعة الاولى، ولكنه تم تسجيل ثلاثة آلاف.

عمال من الشرق

بعد بضعة أيام من ظهور الملصقات كانت صديقتنا الممرضة تانيا تتناول الشاي معنا. واذا بأمي تئنّ ألماً، وقالت: "عزيزتي تانيا، هل عندك شيء لهذا الصداع؟ أرى أقواس قزح. وأشعر بأني سأفقد بصري."

وضعت تانيا فنجان الشاي على الطاولة وقالت بنبرة حازمة: "لا تهلعي يا ناتاليا. لكني أعتقد أنك تفقدين بصرك فعلا. فهذه أعراض داء الزرق (غلوكوما). لماذا لا تسجلون أسماءكم أنتم الثلاثة للذهاب الى ألمانيا؟ فهناك تمكن مداواة عينيك. يجب أن تفعلي شيئاً والا استيقظت ذات صباح لتجدي نفسك عمياء تماماً!"

فهتفت أمي: "وماذا عن مارك؟ قد يعيدونه الى البلدة في أي يوم."

فطوقتها تانيا بذراعيها سائلة: "أتريدينه أن يقوم بأود زوجة عمياء؟ ها هو زوجي أيضاً في الحرب، وأنا أدرك شعورك. ولكن اذا رجع مارك فأنا هنا. أرسلي الي عنوانك وسأتصل بك."

شعرت أمي بخجل من هذه المرأة الأصغر منها سناً والتي حطمت الحرب حياتها هي أيضاً. فوقفت وأعلنت بعزم أننا سنسجل أسماءنا في الغد للذهاب الى ألمانيا.

رحلنا في ٢٥ مايو (أيار) على متن قطار مؤلف من ٣٣ مقطورة لنقل المواشي. وكان هناك دلو قرب الباب كمرحاض. مررنا ببولونيا ويوغوسلافيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا. وفي اليوم الخامس توقفنا في بقعة جبلية رائعة. ففتح الحراس أبواب المقطورات صائحين: "انزلوا، لقد وصلتم!"

كنا في بافاريا في بلدة ماركتردفيتز القريبة من الحدود مع تشيكوسلوفاكيا. رحنا نتمطى، ونزلنا ومعنا رزمنا. ووقفنا على أرض المانية للمرة الاولى.

وما عتمنا أن اكتشفنا أننا "عمال من الشرق" محرومون الحقوق وأفضل قليلا من العبيد. كان الملصق المليء بالوعود في فيودوسيا مجرد غش وكذب.

ومع ذلك تدبَّر مُستخدمنا الاول - وهو صاحب معمل للخزف الصيني (البورسلين)

بالقرب من ماركتردفيتز - إجراء جراحة داء الزرق لأمي. فأرسلنا نحن الثلاثة الى ريغا، مسقط رأس أمي في لاتفيا، لان الاطباء الالمان في بافاريا لا يسمح لهم بمعالجة عمال من الشرق. وبعد الجراحة وضعنا ثانية في قطار انطلق من ريغا الى جهة مجهولة.

في القطار جلس قبالتنا زوجان متوسطا العمر وابنتهما التي كانت في عمر سلافا واسمها زينيا. كانت والدتها رايسا ميخائيلوفنا ووالدها بوريس فيودوروفيتش كلاهما معلمين في المدرسة الثانوية في لينينغراد. وقد طردت العائلة من ريغا حين انتهت مدة الاذن الذي مُنحه أفرادها لزيارة أقربائهم.

وبعد يومين توقف القطار. ففتحتُ النافذة لاقرأ اسم البلدة. كنا في بولونيا، في مكان يدعى لودز. قال لنا بوريس فيودوروفيتش: "في هذه البلدة معامل نسيج." تطلعنا حوالينا فبانت لنا المعامل مهجورة.

انكشاف كنز

سمح لأمي، بسبب الزَرق في عينها، بالبقاء في المخيم والاهتمام بأمور المطبخ وتنظيف الثكنة. واقتيد سلافا وبوريس فيودوروفيتش للعمل في مصنع للفرو حيث تعالج جلود الارانب لتبطين البذلات الرسمية ولصنع القفازات والقبعات. وأُرسلت أنا وزينيا الى بناء قرميدي من طبقتين كان في الماضي معمل نسيج وحوِّل مستودعاً للملابس المستعملة. وغلبت علينا الرهبة أنا وزينيا. كانت هناك غرف واسعة ملأى بألوف الالبسة من قمصان وفساتين وسترات من أجود الفراء وأفخر المخمل، فمن أين أتت كل هذه الملابس؟ ومن كان يرتديها؟

"يا بنات! توقفن عن التحديق. اطبقن أفواهكن." كانت تلك رئيستنا، المشرفة علينا وهي تصفق بيديها لتخرجنا من ذهولنا. قالت: "أنا السيدة إيما، ناظرتكن الرئيسية. أنتن من لاتفيا، من بلدان البلطيق."

ولأننا لاتفيات لا روسيات بدا كأننا سنعيَّن للقيام بأعمال "امتيازية."

كان عملنا اصلاح الملابس، كما أخبرتنا السيدة إيما. ورمت الى زينيا تنورة فيها ثقوب عدة وقالت: "بما أنكما لا تحسنان الخياطة، فسأدعكما تفتّقان مثل هذه التنورة. فتِّقيها واطوي قطعها بترتيب. سنخيط منها ثوباً لاحد الاولاد. وأنتِ، اليك هذا الفستان، ابدأي تفتيقه." ورمت الي ثوباً رثاً. أما رايسا ميخائيلوفنا فأسند اليها اصلاح الهوامش والاطراف.

وأكببنا أسبوعاً بعد أسبوع على تفتيق الملابس المستعملة. وكنت أتساءل من أين تأتي هذه الملابس كلها. ثم أسرت الينا إحدى الخياطات البولونيات التي وثقت بنا بعد

رفقة طويلة أن الحمولات الجديدة آتية من قرية أوشفيتز. لم يعنِ الاسم شيئاً لي، لكن العاملة البولونية وضعت اصبعها على فمها كأنها تأمرني بالسكوت.

وكنت أعمل على تفتيق سترة قذرة، فمررت اصبعي على شيء غير عادي. أهي رسالة؟ كنت على وشك مناداة السيدة إيما، واذا بورقة خضراء تنبسط في يدي وقد طبع عليها اسم "الولايات المتحدة الامريكية" بالأحرف اللاتينية وفي كل من زواياها طالعني الرقم مئة. انها ورقة مالية بقيمة ١٠٠ دولار.

تابعت عملي، لكن راحتيَّ ندَّتا عرقاً لشدة تأثري. ثم لمست أصابعي انتفاخاً في لفقة السترة واذا فيها مئة دولار أخرى. يا الهي! في هذا الوقت كانت رايسا ميخائيلوفنا لاحظت الارتباك على وجهي وأدركت أن أمراً غير عادي قد حدث. فمالت زينيا نحوها وهمست كلمة واحدة: "كلاد" أي كنز. وفهمت رايسا على الفور، اذ ترددت اشاعات عن العثور على قطع نقود ذهبية وساعات ومجوهرات مخبأة في لفقات الملابس.

أيا تكن صاحبة تلك السترة، فقد كانت لها غاية في تخبئة الكنز.

وحين شاهدت رايسا ميخائيلوفنا شدة اضطرابي هتفت الى الخياطات: "هيا يا فتيات! لننشد أغنية للسيدة إيما." وفيما الجوقة تنشد لناظرتنا بحماسة عدت الى تفتيق السترة فوجدت ورقة أخرى بقيمة ١٠٠ دولار وورقتين كلا بعشرة دولارات وثلاث أوراق كلا بخمسة دولارات.

صرفت أمي بعضاً من هذه الدولارات لترشو أحد الحراس عله يأتينا بخبر عن أبي. أهو ميت أم حي؟ ولكم تحرّقنا لمعرفة مصيره.

انهيار سلافا

في ابريل (نيسان) من عامي السادس عشر نقلنا الى مخيم في كروفنكل حيث عملنا عشر ساعات في اليوم من غير أن نرتاح حتى في بعض الآحاد.

وتعاقبت الأيام رتيبة. وأمضتنا العزلة التامة في الثكنة أكثر من رائحة حساء الملفوف ومن البطانيات التي تعج بالقمل ومن دلاء المراحيض. وخسرنا كلنا من وزننا بسبب الانهاك الجسدي، ولكن لم يكن ذلك وحده ما أثر في صحتنا. كانت كروفنكل مصنع ذخيرة حيث عملنا في تجميع ما يشبه القنابل اليدوية. وذات يوم سرت اشاعة أننا نصنع قنابل «V-1» الفتاكة.

وساءت صحة سلافا يوماً بعد يوم. وبلغ منه العياء والضعف حداً فكاد لا يقوى على الوصول الى سريره مساء. وذات صباح وهو ذاهب الى العمل قال لي: "يا أختي، أشعر بغثيان وارتخاء وكأن الارض تنهار تحت قدمي."

أمسكته من جانب وأمسكته زينيا من الجانب الآخر. ثم تبادلت العمل واياه، فانتقلت الى طلي الحلقات التي توضع على القنابل، وكنت أستنشق الأبخرة الكريهة.

وقبل اطلاق صفارة استراحة الظهر ترنح سلافا وسقط عن كرسيه. فأسرع الينا الناظر صائحاً: "عودا الى العمل!"

قلت: "أخي مريض! دعني أخرجه الى الهواء المنعش." وباشرت سحب سلافا الى الباب. لكن الناظر رفع هراوته المطاطية وضربني، ثم انهال على سلافا مستهدفاً رقبته وأعلى رأسه.

صرخت: "توقف!" ورفع سلافا يديه فوق رأسه محاولا اتقاء الضربات العنيفة. ولم يتوقف الناظر عن ضربه كمسعور حتى كاد يغمى عليه.

كان سلافا منطرحاً على الارض شبه مائت وهو ينزف وعيناه مغمضتان. وراعني أن أتركه في هذه الحال. فركضت باكية الى مكتب الكولونيل، رئيسنا، وقلت له: "سيدي الكولونيل! الحارس ضرب أخي!"

قال الكولونيل: "العقوبة الجسدية القاسية ممنوعة في هذا المكان. أسرعي بأخيك الى الطبيب!"

بقي سلافا في غرفة الانتظار في العيادة طوال بعد الظهر. وقال لي الطبيب: "من الضروري أن يرتاح من العمل، ولكن ليست لي سلطة إعفاء أي منكم أنتم عمال الشرق لأكثر من أسبوعين."

بعد بضعة أيام جاء حارس في طلب أمي. ولدى دخولها مكتب الكولونيل ناولها شهادة ظهرت فيها كلمة "أوردروف" واضحة تماماً.

تملك الذعر أمي فقالت للكولونيل: "هل يتعين على ابني الذهاب الى أوردروف؟ الى مخيم الاعتقال؟ هذا يعني موت فتايَ المريض حتماً."

ظل الكولونيل هادئاً جامد القسمات كأنه يأبى اشراك نفسه في الصراع الداخلي العاصف بهذه الروسية المنكوبة شبه العمياء الموشكة على فقد ولدها. ثم أدار لها ظهره وقال بهدوء: "الحرب قاربت الانتهاء. وقد تلقيت أوامر بارسال ثلاثين شخصا الى بلدة تريبتيس. ستذهبين أنت أيضاً."

أصغت والدتي من دون تعليق ومن دون أن تفهم ما شأن ذلك بمصير سلافا. ثم سألت الكولونيل: "وماذا لو كانت مصانع الذخيرة في تريبتيس تحتاج الى عمال؟ لن يكون ابني قادراً..."

فانحنى الكولونيل فوق المكتب وقال لها بصوت خفيض: "لا مصانع ذخيرة في تريبتيس. سأزودكم أوراقاً موقتة تثبت أنكم من البلطيق. وفي امكان عائلة أخرى من تكنتكم الذهاب الى تريبتيس أيضاً. والله معكم."

المختار

اربحوا ٣٣٪

الرجاء ارسال القسيمة والشيك بالبريد المسجل (المضمون)
الى احد العنوانين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

يسر "المختار" ان تعرض
على المشتركين الجدد فيها
بين ١/١٢/١٩٩٠ و٣١/١٢/١٩٩٠
اربعة اعداد اضافية مجاناً
مع كل ١٢ عدداً.
فالمشترك لمدة سنة
(١٢ شهراً) يتلقى
١٦ عدداً خلال ١٦ شهراً
اي انه يربح ٣٣٪
فكونوا من الرابحين.

اذا اردتم ان تصلكم "المختار"
الى عنوانكم،
بادروا الى ملء
هذه القسيمة وارسلوها
مرفقة بشيك مسحوب
على مصرف في نيويورك
باسم "المختار من ريدرز دايجست"
بقيمة ٣٠ دولاراً امريكياً.
وارسلوا القسيمة والشيك
بالبريد المضمون (المسجل)
الى احد العنوانين المذكورين
خلف هذه القسيمة

الاسم ________________________________

____

العنوان ________________________________

____

التاريخ ________________________________

التوقيع ________________________________

في مطلع فبراير (شباط) ١٩٤٥ تعيَّن تقرير مصيرنا في المؤتمر الخطير الذي سيعقده قادة الحلفاء الثلاثة في يالطا. مصيرنا نحن؟ يقرره ثلاثة غرباء؟ ومن يضمن لنا الحرية إن عدنا الى حكم ستالين؟

بعد انتهاء مؤتمر يالطا بدأ الحلفاء قصف ألمانيا بعنف لم يسبق له مثيل.

بروشكاي! بروشكاي!

قرابة الثانية فجراً في ١٤ فبراير (شباط) انطلقت صفارات الانذار تدعو الناس الى الملاجىء. وفي الشمال الشرقي توهج الأفق بلون وردي. أهو شروق الشمس؟ لكن الشمس لا تطلع في الثانية صباحاً.

قال بوريس فيودوروفيتش الذي جاء معنا من تريبتيس: "سمع أحدهم أن درسدن قصفت بالقنابل، ولكن من الصعب التصديق ان ذلك الوهج ناجم عن قصفها لأنها تبعد عنا ١٥٠ كيلومتراً."

وقال سلافا مفكراً بصوت مسموع: "اذا كانت تلك حرائق في درسدن فلا بد من أنها تكتوي بجحيم أرضي." وكان ذلك فعلا ما حدث، اذ أفيد أن مئة ألف قتيل ذهبوا ضحية القصف المدمر.

ثم وردت أخبار أن الامريكيين غير بعيدين عن تريبتيس. وأقبل الربيع واكتست المروج حلّة سندسية خضراء. ووافانا شهر أبريل (نيسان) حاملا الأماني والوعود البراقة. ومرّ أسبوعان، واذا بصوت بوريس العميق يدوي كجرس قوي. "الامريكيون هنا! انظروا جميعكم!"

شخصت الى الطريق العامة وقد اتسعت عيناي دهشة. كانت الطريق تموج بالرجال والعتاد من دبابات وسيارات "جيب" ودراجات نارية. كان ذلك صباح الاحد في ١٥ ابريل (نيسان) ١٩٤٥، وكان لنا يوم خلاص وحرّية. هرعنا جميعاً الى الطريق نهتف الكلمات الانكليزية التي نعرفها: "أمريكيون! أصدقاؤنا! شكراً لكم. أنتم محررونا!"

عدت بذاكرتي الى ذلك اليوم من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤١ في فيودوسيا حين قال لي سلافا ان النازيين ليسوا محررين حقيقيين وأن فجرهم الموعود ليس الا فجراً كاذباً. ولكم كان محقاً يومذاك. وها هو الآن متكىء على ساعد أمي، شاحباً عليلا وهو بعد في الثامنة عشرة من عمره. واستدار نحوي كأنه قرأ أفكاري وقال: "يا اختي، ان فجر هذا اليوم هو فجر حقيقي. انه فجر تحرير حقيقي."

أغدق الامريكيون على مخيمنا بطانيات وملاءات ومناشف وأدوية وفيتامينات. وحلّ بيننا أطباء وممرضات. وكانت اليخنة الدسمة تقدم الينا يومياً، ولم يعد ينقصنا الحليب والبيض والدهن.

تبسّم لنا المستقبل. ولم يعتزم أحد في المخيم العودة. لم نكن شعباً كسولا، بل كنا متشوقين الى العيش بجهدنا الذاتي ولا نطلب سوى السماح لنا بالبقاء على أرض حرة واثبات جدارتنا.

ذات يوم في مطلع يونيو (حزيران) قدم الى مخيمنا ضابط أمريكي كبير فدعانا جميعاً الى المقهى معلناً أن لديه أخباراً مهمة. وكان يرافقه مترجم أمريكي هو رقيب في أواسط العشرينات من عمره يدعى جوليوس.

أعلن الضابط: "يا إخوان! سيأتي الى المخيم غداً ضباط سوفييت لتدوين أسمائكم وأماكن ولادتكم واقامتكم قبل مجيئكم الى ألمانيا. سيقابلون كل واحد منكم ويشرعون في اعادتكم الى أوطانكم."

فصاح الجميع غاضبين: "لن نعود!" وكنا نرتعد خوفاً.

بدا الامريكي مستاء وقال: "ماذا في الامر؟ هل أنتم مجرمون أم خائفون لتعاقبوا كمجرمي حرب؟"

وكان بوريس بشخصيته القوية وصوته الغاضب يطغى على كل من في البناء. فصاح: "لسنا نحن المجرمين."

ثم سمعتُ صوتاً حميماً مألوفاً عرفته صوت أمي. تقدّمت وتوسلت الى الضابط الامريكي: "سيدي الضابط، أتوسل اليك، لا ترغمونا على العودة."

قال الضابط: "بحق السماء! كفّي عن هذه العاطفية المثيرة."

خيّم غمّ عميق على الجميع. فما العمل؟ والى أين نذهب؟ لكي نغادر المخيم كان يتعين علينا الحصول على اذن وجواز مرور من الامريكيين الذين لم يأذنوا لأحد لأن المطلوب منهم تسليمنا الى السوفييت.

جاءنا جوليوس ذات مساء تحدوه رغبة صادقة في تفهّم واقعنا. وسألني: "نينا، لماذا يبدي شعبك هذا الخوف الكبير من العودة؟"

كيف أشرح لرجل أمريكي مدى الشر والقساوة في واقعنا؟ أأخبره عن الجوع والوحشية والخوف المتواصل من السلطة الغاشمة والعزلة القسرية المطلقة عن بقية العالم؟

في تلك الليلة قلت لسلافا: "سنرحل بعد غد نحن الثلاثة. ولن نحمل معنا شيئاً. لا حقائب ولا رزماً. سنحشو جيوبنا سجائر أمريكية للمقايضة عند الحاجة." قلت له ذلك همساً وبصوت أجش قوي، كرئيس يصدر أمراً.

قال: "ولكن يا نينا، ما المسافة التي تعتقدين أننا سنقطعها قبل أن أنهار كلياً؟"

أجبت: "لهذا السبب لن نحمل شيئاً. ستسندك أمك من جانب وأنا أعضدك من الجانب الآخر، واذا عجزتَ عن المشي فسأحملك. لست سوى قزم بالنسبة الي."

صباح اليوم التالي قدم جوليوس لرؤيتي. قال: "هناك كثير من الناجين في تريبتيس سيعودون الى موطنهم في منطقة الراين. ويُعمل الآن على اصلاح حافلة ركاب قديمة لنقلهم الى هناك. وثمة مقاعد متوافرة، ففي إمكانكم السفر معهم الى فرنكفورت أو ماينز."

وزودني جوليوس جوازات مرور حررها بنفسه من دون تفويض رسمي. ثم قبّلني بلطف وأسرع الى سيارته الجيب.

غلي عليّ التأثر، فانسكبت دموعي بصمت وأنا أردد له كلمات الوداع الروسية: "بروشكاي، بروشكاي جوليوس."

بيت الضِيْق

أعيد الملايين من مواطنينا الى الاتحاد السوفييتي، وها نحن مسافرون في حافلة راجين الخلاص من ذلك المصير البغيض، ولا يفصلنا عن تريبتيس الا ٣٠٠ كيلومتر.

توقف السائق في محطة للسكة الحديد وسألنا: "أتريدون النزول هنا؟" وأشار الى جسر متهدّم يقطع نهر الراين: "أنظروا، هناك ماينز عبر النهر."

كانت معاهدة يالطا تضغط تفكيرنا ككابوس، فأملنا أن يكون النهر سداً عائقاً في حال قرر الجيش الاحمر دخول هذا الجزء من ألمانيا.

أضاف السائق: "لكني أحذركم. لقد سمعت أن ماينز ستسلّم الى الفرنسيين. وعلى هذا الجانب من النهر سيبقى كل شيء في أيدي الامريكيين."

سألناه بقلق: "الفرنسيون؟ هل كانوا في يالطا؟"

أجاب السائق وقد حيَّره سؤالنا: "لا أعتقد أنهم كانوا هناك." كانت تلك نعمة، فاذا لم يشترك الفرنسيون في مؤتمر يالطا فمعنى ذلك أنهم لم يعقدوا اتفاقاً مع ستالين لاعادتنا عنوة الى الاتحاد السوفييتي.

فقلنا للسائق: "خذنا الى محطة السكة الحديد في ماينز!"

لكن الفرنسيين وقعوا اتفاقاً منفرداً يقضي بتسليمنا. وبدأت السلطات تفتش عن الرعايا السوفييت. وفي ٨ يونيو (حزيران) ١٩٤٦ توقفت سيارة جيب أمام بنايتنا وفيها رجلان سوفييتيان يرافقهما ضابط فرنسي.

ارتعشت يدا امي وامتقع وجهها. قالت: "لن يطلبوا سلافا. وسأقول لهم اني من لاتفيا. ولكن أنت!"

قرع الباب، فوثبت واختبأت في خزانة الملابس وأقفلتها باحكام. سمعت كلمات الضابط الفرنسي في سكون الغرفة كأنها لسع سياط. قال لأمي بألمانية ركيكة: "سيدتي، انت وولدان ستعودون الى الاتحاد السوفييتي. هذا أمر!"

"لماذا؟" سألته أمي بصوت قوي هادىء، "أنا لست سوفييتية. أنظر!" وأبرزت للضابط شهادة ولادتها دالّة باصبعها على الكلمة "ريغا." وتابعت: "أترى يا سيدي؟ ريغا. أنا مولودة في ريغا وليس في الاتحاد السوفييتي."

أجال الضابط بصره ناحية الخزانة ذات البابين والمرآتين. فعرفت أمي أننا كلنا في خطر. ثم شَخَصَ الضابط نحوها وعلى شفتيه سؤال صامت، فرأى في عينيها توسلا واستعطافاً ينفذان الى عمق ضميره في رجاء يائس: "كن إنسانياً. لا تسلّمنا."

مشى الضابط نحو الخزانة، فسددت أذنيّ كي لا أسمع وقع خطواته المقتربة. واذا بباب الخزانة يقفل باحكام. يا الهي! أسند الضابط مرفقه الى المرآة ورفع أمر الترحيل وكتب بتأن: "لا ذهاب الى الاتحاد السوفييتي، هم لاتفيون."

وهكذا قدرت لنا النجاة.

وعملت أمينة صندوق في "نادي الصليب الاحمر." وكانت ليلة رأس السنة تقترب، فملأت حقيبتي بالكعك المحلى والبسكويت والشطائر التي تركها الامريكيون. وعرض علي جندي اسمه هنري أن يوصلني الى منزلي في سيارته الجيب.

حين دخل هنري الى علّيتنا أخذته الشفقة وقال: "يا لصعوبة عيشكم في هذا الفقر المدقع!"

ولكن هل كنا حقاً عائشين في حال فقر؟ لو كنا في الاتحاد السوفييتي لكانت غرفتنا الصغيرة نموذجاً للوفرة والخصب.

لقد خرجت روسيا منتصرة من الحرب، لكن المجاعة كانت تجتاح البلاد جمعاء. وشدد ستالين القيود التي كان أرخاها ابان الحرب، وراح يدفع الناس الى المزارع الجماعية الحكومية. وكانت لستالين قوة لا حد لها.

وها هو هنري، صديقي الامريكي، يرثي لحالي ولعائلتي في تلك الغرفة الصغيرة الدافئة التي تشعرنا فيها كأننا في النعيم. فعلى مائدتنا شاي ساخن وقطع سكر وطبق عارم بالكعك المحلى. رفعت كأسي الى أمي وسلافا وشربت نخب "بقائنا أحياء!"

رفع هنري كأسه أيضاً قائلا: "وأنا أشرب نخبكم. لقد عاينتم الكثير من ويلات الحرب ووحشية النازيين."

أضفت: "ويالطا أيضاً."

تساءل هنري: "يالطا؟" فهو لم يفهم ماذا تعني لنا تلك الكلمة.

لكن كثيرين من مواطنيَّ الذين لم ينجوا من الترحيل القسري يعرفون جيداً المغزى العميق لهذا النخب! وبين هؤلاء زينيا ورايسا وبوريس. أما نحن الذين أسعدنا الحظ في البقاء أحياء فكانت كأسنا مترعة تفيض سعادة وحبوراً ولدينا بنعمة الله كل ما نحتاج اليه.

ثم دخل "نادي الصليب الأحمر" شاب أمريكي دخل حياتي أيضاً. وهو فهم - خلافاً لهنري - أبعاد مؤتمر يالطا. وفهمني. وتزوجنا. وعبرنا الاطلسي الى الولايات المتحدة.

وأرجو أن تكون قصتي يوماً جسر عبور للتفاهم بين شعبين عظيمين: الروسي شعب أسلافي والامريكي الذي تتحدر منه سلالتي.

وعسى أحفادي يفهمون رحلة المعاناة الطويلة القاسية التي قطعتها، وحياة الرعب والجوع واليأس التي عشتها، قبل أن يقودني القدر الى شواطىء الحرية والنور.

نينا ماركوفنا ■

ترجمة الياس عقل

● عاشت والدة نينا ماركوفنا في الولايات المتحدة حتى وفاتها عن ٩٠ عاماً. وبقي سلافا في المانيا الغربية للمعالجة في مؤسسات متخصصة، وما زال يعاني آثار المعاملة الوحشية التي تعرّض لها خلال الحرب. ولم تعرف العائلة شيئاً عن مصير الاب. تقول نينا: "لا يمر يوم من دون ان افكر في ذاك الرجل الوديع الطيب، وفي العذاب الرهيب الذي كابده مثل ملايين آخرين في ظل حكم الطاغية ستالين والطاغية هتلر وساظل اذكر ابي وابكيه الى الأبد."

مغامرات في ألاسكا

سوزان بوتشر بطلة سباقات المزالج التي تجرها الكلاب. وهي تصف السباق ما بين انكوراج ونومي في ألاسكا لمسافة ١٨٥٠ كيلومتراً بأنه "أقسى اختبار" للعيش في القفر لكن أول ما يتعلّمه المرء في قفار ألاسكا الجميلة والقاسية هو فن البقاء.

وتروي سوزان: "كنت ذات يوم أقتفي خط أشراك يقود الى كوخ. واذا بالجليد الرقيق ينهار تحتنا، فسقطتُ والمزلجة والكلاب في الماء. لكن الكلاب القوية تمكنت من الخروج وجرتني أنا والمزلجة الى بقعة صلبة. وبقي علينا أن نجتاز أكثر من ٤٠ كيلومتراً للوصول الى الكوخ حيث الدفء. ونجحنا في ذلك بعدما كادت رحلتنا ان تتحوَّل كارثة. ان ألاسكا لا تغفر الأخطاء دائماً. قد لا يكون المرء أكثر من نقطة في رحاب قفارها، ولكن عليه في هذه الحال أن يكون نقطة مفكّرة."

ف.ا.ف.

إطراء طفل

يتلقى الرسام ومؤلف كتب الاطفال موريس سنداك رسائل كثيرة من معجبين صغار. وهو يقول: "تضمنت احدى الرسائل رسماً فاتناً من والدة طفل. فرسمتُ شكلا غريباً على بطاقة بريدية وأرسلتها الى الطفل. فجاءني الرد من أمه: لقد رأى جيم رسمك فأحبه وأكله."

ويضيف سنداك: "كان ذلك أحد أرفع الاطراءات التي نلتها طوال حياتي."

ب.ب.

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مشوقة

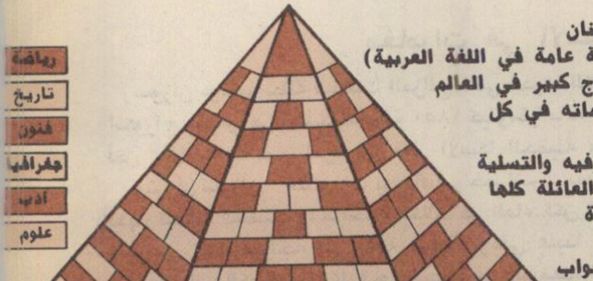

- ▲ هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- ▲ هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- ▲ هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- ▲ هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- ▲ هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- ▲ هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- ▲ هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- ▲ هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- ▲ هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

هرم المعرفة مسجلة في لبنان - جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٧

اكتب واربح

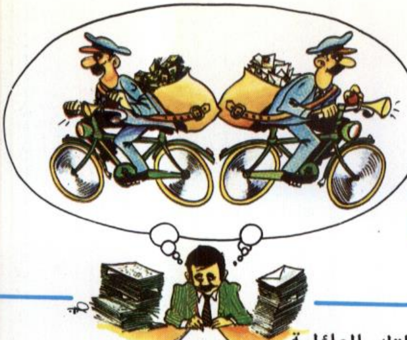

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت. شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.

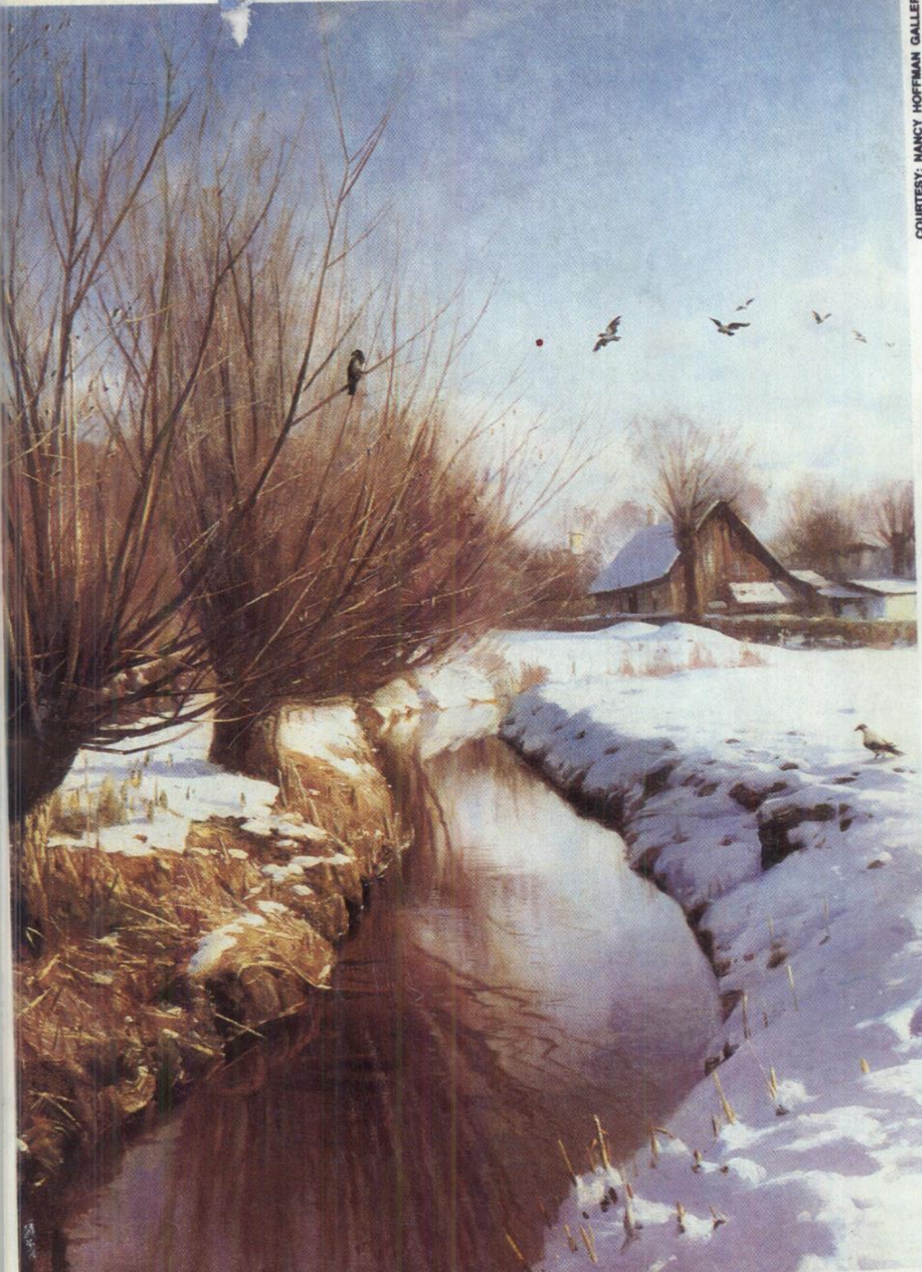

COURTESY: NANCY HOFFMAN GALLERY

"الشتاء" - زيتية للرسام الدانمركي بيدر مونستد.